



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلماء



عمر
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir



مع الركب الحسيني

الامام الحسين عليه السلام
في مكة المكرمة

تأليف :

نجم الدين الطيبي

جلد (٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمه ، مع الركب الحسينى

كاتب:

نجم الدين طبسى

نشرت فى الطباعة:

سپهر انديشه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٤	الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة ، مع الركب الحسيني المجلد ٣
١٤	اشارة
١٤	مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة (الجز الثالث)
١٤	مقدمة مركز الدراسات الإسلامية ص : ٣
١٦	الفصل الأول: الركب الحسيني في الطريق الى العراق ص : ٧
١٦	اشارة
١٧	سبع فوائد تحقيقية ص : ٩
١٧	اشارة
١٩	لماذا توجه الإمام الحسين عليه السلام الى العراق ؟ ص : ١٥
١٩	اشارة
١٩	(١)- العراق مهد التشيع ومركز معارضة الحكم الأموي ص : ١٥
٢٠	(٢)- العراق أرض المصراع المختار! ص : ١٨
٢١	(٣)- رسائل أهل الكوفة بعد موت معاوية ص : ٢٠
٢١	اشارة
٢٢	إشارة: ص : ٢٢
٢٣	(٤)- تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه و آله ص : ٢٤
٢٤	هلح السلطة الأموية من خبر خروج الإمام عليه السلام! ص : ٢٧
٢٥	محاولة السلطة الأموية في مكة لإرجاع الإمام عليه السلام ص : ٢٩
٢٥	اشارة
٢٦	دور عبدالله بن جعفر في المحاولة السلمية! ص : ٣٠
٢٦	اشارة
٢٦	تأمل وملاحظات: ص : ٣١

- ٢٨ المحاولة القمعية: ص : ٣٥.....
- ٢٨ اشارة.....
- ٢٩ اشارة: ص : ٣٦.....
- ٢٩ هل كانت هذه المحاولة إجراءً صورياً؟! ص : ٣٧.....
- ٣١ رسائل أموية إلى ابن زيادا! ص : ٤٢.....
- ٣٣ الفصل الثاني: حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ٤٧.....
- ٣٣ اشارة.....
- ٣٣ في البدء: ص : ٤٩.....
- ٣٣ مناقشة هذه المتون: ص : ٥٠.....
- ٣٣ اشارة.....
- ٣٤ اشارة: ص : ٥١.....
- ٣٥ استعراض أهم وقايح أيام الإعداد للثورة «١» ص : ٥٥.....
- ٣٥ اشارة.....
- ٣٥ البشرى بدرجة الشهادة! ص : ٥٧.....
- ٣٦ كتمان الأمر ص : ٥٨.....
- ٣٦ اجتماع الشيعة الأول مع مسلم عليه السلام ص : ٥٩.....
- ٣٧ توالى اجتماعات الشيعة مع مسلم عليه السلام ص : ٦٠.....
- ٣٧ رسالة مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام ص : ٦٠.....
- ٣٧ النعمان بن بشير وال ضعيف أم يتضعفا؟! ص : ٦١.....
- ٣٧ اشارة.....
- ٣٨ اشارة: ص : ٦٣.....
- ٣٩ عبيدالله بن زياد والى الكوفة الجديد ص : ٦٥.....
- ٣٩ القادم المتنكر في الظلام! ص : ٦٦.....
- ٤٠ الإجراءات الإرهابية الغاشمة! ص : ٦٩.....

- ٤١ تغيير مقر قيادة الثورة! ص : ٧٠
- ٤١ خطة اغتيال ابن زياد في بيت هانيء! ص : ٧١
- ٤١ اشارة
- ٤٢ تأمل وملاحظات: ص : ٧٣
- ٤٣ ابن زياد يستبق الأحداث فيقتل وجوه الشيعة ص : ٧٧
- ٤٤ حبس ميثم التمار (رض) وقتله ص : ٧٧
- ٤٥ قتل رشيد الهجرى (رض) ص : ٨٠
- ٤٦ إضطهاد مجاميع من رجال المعارضة وحبسهم ص : ٨٧
- ٤٦ قتل عبدالله بن يقطر (رض) «٤» ص : ٨٨
- ٤٦ اشارة
- ٤٦ وتفصيل القصة ص : ٨٩
- ٤٧ البحث لمعرفة مكان مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ٩١
- ٤٧ اشارة
- ٤٨ إشارة: ص : ٩٣
- ٥٠ اعتقال هانيء بن عروه (رض) ص : ٩٦
- ٥٠ اشارة
- ٥٢ تأمل وملاحظات: ص : ١٠١
- ٥٤ الخدعة المشتركة! ص : ١٠٨
- ٥٥ قيام مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ١١١
- ٥٥ اشارة
- ٥٦ المبادرة التي كان ينبغي أن تتحقق! ص : ١١٢
- ٥٨ حدود مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ١١٨
- ٥٩ الإضطرار .. والقرار الإستثنائي ص : ١٢٠
- ٦٠ وهكذا كان ص : ١٢١

- ٦١ ماذا صنع الأشراف الموالمون لابن زيادا؟! ص : ١٢٤ ١٢٤
- ٦١ وفي البدء كانت الحجارة والشائم! ص : ١٢٥ ١٢٥
- ٦١ ثم كان المَدَرِ والشَّاب! ص : ١٢٥ ١٢٥
- ٦١ ثم بدأت حملات التخذييل ورايات الأمان الكاذب! ص : ١٢٥ ١٢٥
- ٦٢ إعتقال المجاهدين عبدالأعلى بن يزيد وعمارة بن صلخب! ص : ١٢٦ ١٢٦
- ٦٢ مسلم عليه السلام يبعث بقوة عسكرية تدحر ابن الأشعث! ص : ١٢٧ ١٢٧
- ٦٢ فكان قتال وقتال! ص : ١٢٨ ١٢٨
- ٦٣ لماذا لم يقتحم الثوار القصر؟! ص : ١٢٨ ١٢٨
- ٦٦ وأقبل المساء يحمل النهاية الموسفة! ص : ١٣٥ ١٣٥
- ٦٦ ثم كان الإنهيار من الداخل! ص : ١٣٦ ١٣٦
- ٦٦ علّة الإنهيار المذهل والتداعى السريع! ص : ١٣٧ ١٣٧
- ٦٧ وأطبق الليل مرّة أخرى على الكوفة .. ومسلم عليه السلام وحده! ص : ١٣٩ ١٣٩
- ٦٧ إشارة ١٣٩
- ٦٨ إشارة وتأمل ص : ١٤٠ ١٤٠
- ٦٩ القائد المجاهد فى ضيافة المرأة الصالحة طوعه ص : ١٤٣ ١٤٣
- ٧٠ ابن زياد .. والمفاجأه السارة عند المساء !! ص : ١٤٥ ١٤٥
- ٧١ وفى ذلك الصباح الأسود! ص : ١٤٧ ١٤٧
- ٧١ المعركة الأخيرة .. حرب الشوارع! ص : ١٤٩ ١٤٩
- ٧٣ ورواية أخرى أشدّ صدقاً وحرارة! ص : ١٥٣ ١٥٣
- ٧٤ محمد بن الأشعث يسلب مسلماً عليه السلام سلاحه! ص : ١٥٦ ١٥٦
- ٧٤ كلمة الحقّ الجريئة تزلزل قصر الخبال والضلال! ص : ١٥٧ ١٥٧
- ٧٦ أوّل شهداء النهضة الحسينية من بنى هاشم ص : ١٦٢ ١٦٢
- ٧٦ وفخرأ عند الموت! ص : ١٦٣ ١٦٣
- ٧٧ وكم من آية لله أعرض عنها ابن زيادا!! ص : ١٦٣ ١٦٣

- ٧٧ مقتل هانى بن عروه (رض) ص : ١٦٤
- ٧٧ سحل الشهيدين فى الشوارع والسوق! ص : ١٦٥
- ٧٨ صلب الشهيدين منكسين! ص : ١٦٥
- ٧٨ انتقام ابن زياد من بقيّة الثّوار! ص : ١٦٧
- ٧٨ الثائر عبدالأعلى بن يزيد الكلبى ص : ١٦٧
- ٧٨ الثائر عماره ابن صلخب الأزدى ص : ١٦٧
- ٧٩ الثائر القائد عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندى «٢» ص : ١٦٧
- ٧٩ الثائر القائد العباس بن جعدة الجدلى ص : ١٦٨
- ٧٩ الثائران القائدان المختار وعبدالله بن الحارث ص : ١٦٨
- ٧٩ تقرير ابن زياد الأمتى إلى يزيد! ص : ١٦٩
- ٨٠ إغلاق ورصد المناطق والمنافذ الحدودية الكوفية! ص : ١٧١
- ٨٠ تعبئة الكوفة، وتجميد الثغور، استعداداً لقتال الإمام عليه السلام ص : ١٧٢
- ٨٠ الفصل الثالث: وقايع منازل الطريق بين مكّة وكربلاء ص : ١٧٣
- ٨٠ اشارة
- ٨١ (١)- بستان بنى عامر (أو ابن عامر) «١» ص : ١٧٣
- ٨٢ (٢)- التنعيم ص : ١٧٩
- ٨٢ اشارة
- ٨٢ هل صادر الإمام عليه السلام الّورس والحلّ فعلاً؟ ص : ١٨٠
- ٨٢ هل التقى الإمام الحسين ابن عمر فى التنعيم؟ ص : ١٨٠
- ٨٣ منطق ابن عمرا! ص : ١٨٣
- ٨٤ (٣)- الصفاح ص : ١٨٥
- ٨٤ اشارة
- ٨٥ أين لقي الفرزدق الإمام عليه السلام بالضبط؟ ص : ١٨٦
- ٨٦ (٤)- ذات عرق ص : ١٨٨

- ٨٦ اشارة
- ٨٦ لقاء بشر بن غالب الأسدی «٣» مع الإمام عليه السلام! ص : ١٨٩
- ٨٦ اشارة
- ٨٦ إشارة: ص : ١٩٠
- ٨٧ والفرزدق .. مزة أخرى؟! ص : ١٩٠
- ٨٧ هل لقي الإمام عليه السلام بذات عرق عون بن عبدالله بن جعدة؟ ص : ١٩١
- ٨٧ (٥)- الحاجر من بطن الرمة ص : ١٩٢
- ٨٨ اشارة
- ٨٩ قيس بن مسهر (رض) أم عبدالله بن يقطر (رض)؟ ص : ١٩٥
- ٩٠ اللقاء الثاني لعبدالله بن مطيع «٤» مع الامام عليه السلام ص : ١٩٨
- ٩٠ اشارة
- ٩١ إشارة: ص : ١٩٩
- ٩١ (٦)- الخزيمة ص : ٢٠١
- ٩٢ (٧)- زرود ص : ٢٠٢
- ٩٢ اشارة
- ٩٢ إنضمام زهير بن القين (رض) إلى الركب الحسيني! ص : ٢٠٢
- ٩٤ هل كان زهير بن القين عثمانياً؟ ص : ٢٠٧
- ٩٤ اشارة
- ٩٥ ولنا في كل هذا كلام: ص : ٢١٠
- ٩٨ (٨)- التعلبية ص : ٢١٥
- ٩٨ اشارة
- ٩٩ تأمل وملاحظات: ص : ٢١٧
- ١٠٠ إغفاء .. ورؤيا حقة! ص : ٢٢١
- ١٠١ مع أبي هزة الأزدي ص : ٢٢٢

- ١٠١ اشارة
- ١٠١ اشارة: ص : ٢٢٣
- ١٠٢ وبشر بن غالب الأسدى .. مرة أخرى ص : ٢٢٤
- ١٠٢ ومع زهير الأسدى من أهل التعلبية ص : ٢٢٥
- ١٠٣ ومع آخر من أهل الكوفة ص : ٢٢٥
- ١٠٣ لقاء رَما كان فى التعلبية أيضاً! «٢» ص : ٢٢٦
- ١٠٣ (٩)- الشقوق ص : ٢٢٧
- ١٠٣ اشارة
- ١٠٣ والفرزدق .. فى الشقوق أيضاً! ص : ٢٢٧
- ١٠٣ اشارة
- ١٠٤ إشارتان ص : ٢٢٩
- ١٠٥ (١٠)- زُبالة ص : ٢٣٠
- ١٠٥ اشارة
- ١٠٥ تأمل وملاحظات: ص : ٢٣١
- ١٠٧ (١١)- بطن العقبة ص : ٢٣٦
- ١٠٧ اشارة
- ١٠٧ لقاء الإمام عليه السلام مع عمرو بن لودان ص : ٢٣٦
- ١٠٧ اشارة
- ١٠٨ اشارة: ص : ٢٣٧
- ١٠٩ رأيت كلاباً تنهشنى أشدها على كلب أبقع! ص : ٢٣٩
- ١٠٩ اشارة
- ١٠٩ اشارة: ص : ٢٣٩
- ١١٠ (١٢)- شراف ص : ٢٤٠
- ١١٠ (١٣) ذو حُسم: ص : ٢٤١

- ١١٠ اشارة
- ١١٢ تأمل وملاحظات: ص : ٢٤٥
- ١١٢ (١) - تعامل الإمام عليه السلام- القائد الرباني- مع الظالين والمغرر بهم والمشلولين نفسياً من أبناء هذه الأمة ص : ٢٤٥
- ١١٢ (٢) - كان الإمام عليه السلام يريد أن يدخل الكوفة خراً وبالطريقة التي يختارها هو، وكان الحرّ يريد أن يأخذه إليها أسيراً! ص : ٢٤٦
- ١١٣ (٣) - لم يقصد الإمام عليه السلام التخلّي عن نهضته بقوله في خطبته بعد صلاة الظهر: ص : ٢٤٧
- ١١٣ (٤) من هو الحرّ بن يزيد الرياحي؟ ص : ٢٤٨
- ١١٣ اشارة
- ١١٦ تأمل وملاحظات: ص : ٢٥٤
- ١١٦ (١) يلاحظ المتأمل في هذه الخطبة القصيرة البليغة الوافية التي خطب الإمام عليه السلام أصحابه بها: ص : ٢٥٤
- ١١٧ (٢) ويستفاد أيضاً من قوله عليه السلام: ص : ٢٥٦
- ١١٧ (٣) من هو نافع بن هلال الجملي؟ ص : ٢٥٦
- ١١٩ (٤) - أمّا بُرَيْرُ بنِ خُصَيْرِ الهمدانيّ المشرقيّ (رض) ص : ٢٦٠
- ١٢٠ (١٤) - البيضة: ص : ٢٦٣
- ١٢٠ اشارة
- ١٢١ إشارة: ص : ٢٦٤
- ١٢١ (١٥) - عُدَيْب الهمجانات ص : ٢٦٥
- ١٢١ اشارة
- ١٢٢ خبر مقتل قيس بن مسهر الصيداوي (رض) ص : ٢٦٧
- ١٢٣ مجموعة المجاهدين الذين التحقوا بالإمام عليه السلام في عُدَيْب الهمجانات ص : ٢٦٨
- ١٢٣ عمرو بن خالد الأسدي الصيداوي (رض) ص : ٢٦٨
- ١٢٣ سعد (رض) مولى عمرو بن خالد الصيداوي (رض) ص : ٢٧٠
- ١٢٣ مجمع بن عبدالله العائذي (رض) وابنه عائذ (رض) ص : ٢٧٠
- ١٢٤ جنادة بن الحرث السلماني (رض) ص : ٢٧٠
- ١٢٤ واضح التركي (رض) مولى الحرث المذحجي السلماني ص : ٢٧١

- ١٢٤ إقتراح الطرماع وجواب الإمام عليه السلام ص : ٢٧٢
- ١٢٤ إشارة
- ١٢٥ إشارة ص : ٢٧٣
- ١٢٦ (١٦)- قصر بنى مقاتل ص : ٢٧٥
- ١٢٦ إشارة
- ١٢٧ إشارة ص : ٢٧٨
- ١٢٨ هل التحق الصحابيُّ أنسُ الكاهليّ بالإمام عليه السلام في قصر بنى مقاتل؟ ص : ٢٨٠
- ١٢٩ لقاء الإمام عليه السلام مع الرجلين المشرقيين ص : ٢٨٢
- ١٢٩ إشارة
- ١٢٩ إشارة: ص : ٢٨٣
- ١٣٠ رؤيا المنايا أيضاً .. بين قصر بنى مقاتل وبنوى! ص : ٢٨٣
- ١٣٠ (١٧)- بنوى: ص : ٢٨٤
- ١٣٢ أسماء بقتية الأنصار الملتحقين بالإمام عليه السلام أثناء الطريق ص : ٢٨٩
- ١٣٢ إشارة
- ١٣٢ سلمان بن مضارب البجلي (رض) ص : ٢٩٠
- ١٣٣ وهب بن وهب (ابن الحباب الكلبى) ص : ٢٩١
- ١٣٤ نعيم بن العجلان الأنصارى الخزرجى (رض) ص : ٢٩٣
- ١٣٤ زاهر بن عمر الأسلمى الكندى- صاحب عمرو بن الحمق (رض): ص : ٢٩٤
- ١٣٥ أبوتمامة عمرو بن عبدالله الهمدانى الصائدى (رض) ص : ٢٩٥
- ١٣٥ الحباب بن عامر بن كعب بن تميم اللاء بن ثعلبة، التميمى (رض) ص : ٢٩٦
- ١٣٥ جندب بن حجير الكندى الخولانى (رض): ص : ٢٩٦
- ١٣٦ سويد بن عمرو بن أبى المطاع الأنمارى الخثعمى (رض) ص : ٢٩٧
- ١٣٦ سعيد بن عبدالله الحنفى (رض) ص : ٢٩٨
- ١٣٦ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة ، مع الركب الحسيني المجلد ٣

إشارة

- سرشناسه : طبسى، نجم الدين، - ١٣٣٤
- عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسى
- مشخصات نشر : قم : سپهر انديشه ، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.
- مشخصات ظاهري : ص ٤٨٠
- فروست : (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثاني)
- شابك : ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X
- وضعت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی
- یادداشت : عربی
- یادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فیبا
- یادداشت : کتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنین به صورت زیر نویس
- موضوع : حسین بن علی (ع)، امام سوم، ٦١ - ٤٠ق. - سرگذشتنامه
- موضوع : واقعه کربلا، ق ٦١
- موضوع : مكة -- تاریخ -- قرن ١
- رده بندی کنگره : BP٤١/٤ م ٦٣ ج. ٢، ١٣٨٥
- رده بندی دیویی : ٢٩٧/٩٥٣
- شماره کتابشناسی ملی : م ٨٥-١١١٠٥

مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة (الجز الثالث)

مقدمة مركز الدراسات الإسلامية ص : ٣

التابع لممثليته الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ودليلاً على نعمه وآلائه، والصلاة والسلام على أشرف الخلائق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد: فهذا الكتاب هو الجزء الثالث المختص بوقائع طريق الركب الحسيني من مكة المكرمة إلى كربلاء المقدسة، وهو المقطع الثالث من مقاطع دراستنا التاريخية التفصيلية الموسعة (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة).

ولاندعى شططاً إذا قلنا إن هذا الجزء - كأخويه الأول والثاني - قد حوى من التحقيقات والنظرات والإشارات الجديدة ما يؤهله لسد ثغرات كثيرة في تاريخ النهضة الحسينية المقدسة كانت قبل ذلك مبهمه غامضة لم تتوفر الإجابة الوافية عنها.

وهنا لابد من أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى مؤلف هذا الكتاب سماحة الشيخ المحقق محمد جواد الطبسى لما بذله من جهد كبير في إعداد مادة هذا المقطع وإنجاز هذا البحث القيم.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الأستاذ المحقق على الشاوي الذي تولى العناية بهذا البحث مراجعه ونقداً وتنظيماً وتكميلاً

كعنايته من قبل بالجزء الثاني، داعين له بمزيد من الموفقيّة في ميدان التحقيق ومؤازرة المحققين، وفي مواصلة عنايته البالغة في خدمة الأجزاء الباقية من هذه الدراسة القيّمة.

مركز الدراسات الإسلامية

التابع لمثاليّة الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤

مقدمه الكتاب

«الإشارات المهمّة على الطريق بين مكّة وكربلاء»

على طريق الركب الحسيني من مكّة المكرّمة إلى كربلاء المقدّسة هناك إشارات مهمّة، ليست من نوع الإشارات التي توضع على جانبي الطريق ليستدلّ بها السائرون على معرفة الطريق، أو صحّة السير، أو مدى القرب أو البعد من الغاية المنشودة، بل هي إشارات من نوع آخر! ترسم في آفاق «المعاني السامية» لتحدّث عن «هويّة القاصد» على هذا الطريق لا عن «هويّة الطريق». وطريق الركب الحسيني إلى كربلاء مليء بهذه الإشارات .. فمنها مثلاً:

الإشارة: في خروج الركب الحسيني من مكّة يوم التروية (الثامن من ذي الحجّة)! والإشارة: في قول الإمام عليه السلام للفرزدق «لو لم أعجل لأخذت!» وفي قوله عليه السلام لأبي هرّة الأزدى: «وطلبوا دمي فهربت!». والإشارة: في تصديقه عليه السلام لقول الفرزدق ولقول بشر بن غالب الأسدي في أنّهما خلّفا الناس في الكوفة قلوبهم مع الإمام عليه السلام وسيوفهم عليه! والإشارة: في قوله عليه السلام لعمر بن لوذان: «يا عبدالله، إنّه ليس يخفى علىّ الرأي ما رأيت، ولكنّ الله لا يُغلب على أمره!». والإشارة: في احتجاجه المتواصل برسائل أهل الكوفة إليه، حتى بعد علمه بمقتل مسلم بن عقيل عليه السلام، وفي إصراره على التوجّه إلى الكوفة حتّى بعد منع الحرّ الرياحي (رض) الإمام عليه السلام من دخول الكوفة حرّاً! والإشارة: في قوله عليه السلام بعد إصرار آل عقيل على الطلب بثأر مسلم عليه السلام: «لاخير في العيش بعد هؤلاء!». والإشارة: في قراءته عليه السلام في منزل زباله بيانه الذي أعلن فيه للركب عن مقتل مسلم وهاني وعبدالله بن يقطر (رض) وترخيصه من معه في الركب بالإنصراف عنه بلاذمام!

والإشارة: في قوله عليه السلام: «.. وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم ..». والإشارة: في قوله عليه السلام: «ليرغب المؤمن في لقاء الله

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥

محقّقاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً!»، والإشارة: في قوله عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ... فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله ..!». والإشارة: في قوله عليه السلام لابن الحرّ الجعفي: «.. فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا بشيء من مالك، ولم أكن بالذي أتخذ المضلّين عضداً...».

وللقارى، الكريم أن ينعم بالتعرّف على هذه الإشارات وأخرى غيرها كثيرة بين دفتي هذا الكتاب!

لكنّي أحببت فيما تبقى من مساحة هذه المقدّمة التأكيد مرّة أخرى على أهمّ هذه الإشارات المهمّة: وهي كثرة الإمتحانات المتواليّة التي كان الإمام عليه السلام يمتحّن بها أتباعه!

لقد شرع الإمام عليه السلام بذلك - فضلاً عن الإخبارات الكثيرة المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام حول مصرعه عليه السلام في أرض كربلاء - حين خطب التّياس في مكّة قبيل رحيله منها خطبته المعروفه بقوله: «.. كآني بأوصالي تقطّعها عُسلان الفلوت بين النوايس وكربلاء ..»، بل قبل ذلك أيضاً، ثم لم يزل عليه السلام يواصل امتحان أتباعه - وكان قد تبع الحسين خلق كثير من المياه التي يمرّ بها لأنهم كانوا يظنّون استقامة الأمور له عليه السلام - فكان له في كلّ منزل من منازل الطريق

امتحان من خلال إشارة أو تصريح أو تصديق لخبر مخيب للآمال يأتي به قادم من الكوفة، حتى إذا بلغ عليه السلام زبالة قرأ على الركب خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانى (رض) وابن يقطر (رض) وقال: «.. وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الإنصاف فليصرف ليس عليه منّا ذمام!» ففرّق الناس عنه يميناً وشمالاً، حتى بقي في صفوة الأنصار الذين آثروا مواساته والقتل معه على التخلّي عنه! وقيل: إنّه عليه السلام إنّما أراد ألماً يصحبه إنسان إلماً على بصيرة! وقيل: إنه عليه السلام كره أن يسيروا معه إلأوهم يعلمون علام يقدمون! وقد علم أنّهم إذا بين لهم لم يصحبه إلماً من يريد مواساته والموت معه! وقيل: إن هذه الإمتحانات من ضرورات التخطيط مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦

الحربي، لأنه عليه السلام أراد أن يميز قوّته الحقيقية التي سيواجه بها العدو ويرسم خطّته القتالية على أساسها، من قوّته الظاهرية المتألف أكثرها من «أهل الطمع والإرتياب» الذين لا يصمدون ساعة الحرب والنزال! وكلّ هذه الأقوال صحيحة في نفسها ... لكننا نرى أنّ الإمام عليه السلام كان قد واصل هذه الإمتحانات حتى بعد ذلك، وعرض صفوة الأنصار لاختبارات متواليّة حتى ليلة عاشوراء!

فقد خطب فيهم بندي حسم قائلاً: «إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون! وإنّ الدنيا قد تغيرت وتكرت وأدبر معروفها...». وقال في عذيب الهجانات حين أتاه خبر مقتل قيس الصيداوي (رض): «.. منهم من قضى نجه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً..». وقال حين سمع بإسم كربلاء: «.. هاهنا محطّ رحالنا، ومسفك دماننا، وهنا محلّ قبورنا..». ودعاهم ليلة عاشوراء إلى الانصراف عنه قائلاً: «.. فجزاكم الله عنّي جميعاً خيراً، .. ألا وإني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل غشيكم فاتخذوه جملاً..». هذا فضلاً عن امتحاناته لبعض الأفراد كنافع بن هلال (رض) وبشر بن عمرو الحضرمي (رض)!

من هنا، نفهم أنّ هناك غاية علياً عند الإمام عليه السلام من وراء هذه التمحيصات- فوق الغايات الحربية- وهي الوصول بهذه الصفوة المقدّسة من الأنصار ذوى البصائر والعزائم الراسخة إلى أعلى منازل الآخرة، من خلال إرتقائهم في الدرجات بعد النجاح إثر كلّ امتحان، حتى بلغ عليه السلام بهم منزلة «سادة الشهداء»، ودرجته «.. فأني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ..»، ورتبة «.. عشاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من بعدهم ..». ثمّ نزل عليهم الفيض ليلة عاشوراء بالاستحقاقات، فكشف عليه السلام عن أعينهم الغطاء، وأراهم منازلهم ودرجاتهم في الجنّة!

وما أروع السلام الذي شرفّتهم به زيارة الناحية المقدّسة: «السلام عليكم يا خير أنصار! السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار! بوأكم الله مَبُوءَ الأبرار! أشهد لقد كشف الله لكم الغطاء! ومهدّ لكم الوطاء! وأجزل لكم العطاء! وكنتم عن الحقّ غير بطاء! وأنتم لنا فرطاء! ونحن لكم خلطاء في دار البقاء! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..».

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧

الفصل الأول: الركب الحسيني في الطريق الى العراق ص : ٧

إشارة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩

الفصل الأوّل: الركب الحسيني في الطريق الى العراق

بعد انقضاء ما يزيد على أربعة أشهر، «١» أي حوالي مائة وخمسة وعشرين يوماً، أقام الإمام الحسين عليه السلام خلالها في مكّة المكرمة بعد رفضه المبايعة ليزيد ابن معاوية بعد موت أبيه، بادر الامام عليه السلام الى الخروج عن مكّة بعد أن أحلّ من إحرام عمرته، مخافة أن يُقبض عليه أو أن يُغتال في مكّة- في ظروف وملابسات غامضة أثناء مراسم الحجّ- فتنتهك بذلك حرمة البيت

الحرام، وكان الركب الحسيني قد تحرك قاصداً نحو العراق سحراً أو أوائل الصباح من اليوم الثامن من ذي الحجة الحرام سنة ستين للهجرة.

سبع فوائد تحقيقية ص : ٩

إشارة

(١)- اختلف المؤرخون في يوم خروج الإمام عليه السلام من مكة المكرمة، فذكر بعضهم أن خروجه عليه السلام كان في اليوم الثالث من ذي الحجة، «٢» وذكر آخر أنه كان في اليوم السابع منه، «٣» وقال آخر إن ذلك كان في اليوم العاشر منه، «٤» والصحيح هو أن خروجه عليه السلام من مكة كان في اليوم الثامن من ذي الحجة، بدليل قول الإمام الحسين عليه السلام نفسه في رسالته الثانية إلى أهل الكوفة، إذ ورد فيها: «... وقد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠

شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان ماضين من ذي الحجة يوم التروية ..»، «١» وبدليل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في أكثر من رواية «٢» أن الإمام الحسين عليه السلام خرج من مكة المكرمة يوم التروية أي اليوم الثامن من ذي الحجة الحرام.

(٢)- خرج الامام عليه السلام من مكة بجميع الأعلام «٣» الذين قدموا معه إليها من المدينة المنورة، والذين انضموا إليه في الطريق بين المدينة ومكة، «٤» عدا مسلم بن عقيل عليه السلام الذي أرسله الامام عليه السلام إلى الكوفة قبله، وعدا سليمان بن رزين (رض) الذي أرسله الإمام عليه السلام برسالته إلى رؤساء الأخماس في البصرة وأشرفها. كما خرج الإمام عليه السلام بجميع من انضم إليه في مكة من الأعلام عدا قيس بن مسهر الصيداوي (رض)، وعبدالرحمن بن عبدالله الأرحبي (رض)، وعماره بن عبدالله السلولي، الذين بعثهم الإمام عليه السلام مع مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة، «٥» وعدا سعيد بن عبدالله الحنفي (رض) وهانئ بن هانئ الذين بعثهما الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة برسالته الأولى إليهم قبل إرساله مسلماً عليه السلام إليهم. «٦»

(٣)- لا يعني خروج الركب الحسيني من مكة في السحر أو في أوائل الصباح أن خروجه كان سرّاً لم تعلم به السلطة الأموية ولم يعلم به الناس، ذلك لأن الإمام عليه السلام كان قد أعلن عن موعد حركة الركب الحسيني وساعة خروجه في خطبته المعروفة بعبارة الشهيرة «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١

جيد الفتاة»، حيث قال عليه السلام في آخرها «فمن كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى»، «١»

وكان الإمام عليه السلام قد خطب هذه الخطبة في عموم الناس لا في أصحابه خاصة. «٢»

(٤)- من المعلوم تحقيقاً وان كان المواجهة العسكرية العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام داخل مكة أو على مشارفها لم تكن في صالح السلطة الأموية، وكانت السلطة الأموية تعلم ذلك جيداً، ألا أنهم بأمر يزيد صمموا لكي يغتالوا امام الحسين عليه السلام وان كان معلقاً باستار الكعبة ومع رحيل الامام الحسين عليه السلام من مكة فشلت نقشتهم كما أن هذه الحقيقة لم تكن لتخفى على الإمام عليه السلام، وذلك لأن الأمويين يعلمون مالالإمام الحسين عليه السلام من منزلة سامية وقداسة في قلوب المسلمين، فاغتيا له خفيتاً كان اولى عندهم من المواجهه فالمواجهه العسكرية معه داخل مكة أو عند مشارفها تعنى بالضرورة تأليب قلوب جماهير الحجيج عليهم، وتأيدهم للإمام عليه السلام، وانتصارهم له وانصوائهم تحت رايته، وهذا هو (تفاقم الأمر) «٣» الذي يخشاه الأمويون.

فضلاً عن أن الملتفتين حول الإمام عليه السلام- وهو لما يزل في مكة- كانوا كثيرين، بدليل أن الركب الحسيني الخارج من مكة كان

كبيراً نسبياً.

وفضلاً عن أن مكةً وهي مدينة دينية مقدّسة عند الجميع، لم تكن للسلطة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢

الأموية فيها بالفعل إلّا قوةً محدودةً تكفيها لتنفيذ وضبط الأمور الإدارية والقضائية، وتنظيم حركة الحجّ، وحراسة السلطان، وحفظ الأمن الداخلي فعليه فكان يمكن لهم ان ينجزوا اعتيال الامم ولا تكفيها لمواجهة تمرد أو انقلاب تقوم به جماعة كبيرة ذات عدّة واستعداد ان كان الاغتياال ممكن وهذا أيضاً شأن المدينة المنورة يومذاك - والدليل على ذلك أنّ كلّ الإنتفاضات الكبيرة التي حصلت في المدينة المنورة أو في مكة كانت السلطة الأموية قد واجهتها بجيوش استقدمتها من خارجها، او عيون قد سؤهم في بين الناس كما في قضية الامام الحسين لاغتياله (ع) وهذا تختلف عن انتفاضة أهل المدينة ووقعة الحرة الأليمة، وكما في مواجهة الأمويين لعبدالله بن الزبير في مكة. «١»

٥- وما قدّمناه لينا في حقيقة أنّ الامام عليه السلام خرج من مكة مبادراً - قبل شروع أعمال الحجّ - خوفاً من أن تغتاله السلطة الأموية في مكة، فنتهك بذلك حرمة البيت الحرام، ذلك لأنّ الأمويين إن لم يكونوا قد تمكّنوا من اختطافه أو اغتياله طيلة مدّة بقائه - الطويلة نسبياً - في مكة بسبب احتياطات الإمام عليه السلام وحذره، وحمايته من قبل أنصاره من الهاشميين وغيرهم، «٢» فإنّ فرصة الأمويين لتنفيذ

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣

خطّتهم ستكون مؤاتية بصورة أفضل عند شروع أعمال الحجّ، وستكون احتمالات نجاحها أكبر، ذلك لأنّ الإمام عليه السلام - على فرض بقائه في مكة - سيكون هو ومن معه وجموع الحجّ مشغولين في أعمال الحجّ وأجوائها العبادية، عزّلاً من السلاح، وسيساعد وجود الإمام عليه السلام في زحام الحجّ كثيراً على تنفيذ ما أرادته السلطة الأموية به من سوءٍ وشرّ، ولذا بادر عليه السلام إلى الخروج من مكة يوم التروية. «١»

٦- فإذا علمنا من كلّ ما مضى أنّ خروج الإمام عليه السلام لم يكن سرّاً، ولم يكن خوفاً من مواجهة حربيةٍ عنيفةٍ مع السلطة الأموية في مكة، أدركنا أنّ هناك لعله كان سبباً آخر رئيساً كان قد دفع الإمام عليه السلام إلى اختيار السحر أو أوائل الصبح في ستر الظلام موعداً للخروج، وهذا السبب لعله هو الغيرة الحسينية الهاشمية التي تأبى أن تتصّح أنظار الناس في مكة حرائر بيت العصمة والرسالة، والنساء الأخريات في الركب الحسيني، في حال خروج الإمام عليه السلام في وضوح النهار حيث تغصّ مكة بالناس.

إنّ هذا لعله هو السبب الأقوى في مجموعة الأسباب التي دفعت الإمام عليه السلام إلى الخروج في السحر، أو في أوائل الصبح.

٧- يُستفاد من بعض كتب السير والمقاتل أنّ الإمام عليه السلام كان قد اعتمر عمره

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤

التمتع ثم عدل عنها إلى العمرة المفردة لعلمه بأنّ الظالمين سوف يصدّونه عن إتمام حجّه. «١»

والصحيح تحقيقاً هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد دخل في إحرام العمرة المفردة ابتداءً، أي لم يكن أحرم لعمرة التمتع ثم عدل عنها إلى العمرة المفردة.

وقد تبنى هذا القول من الفقهاء السيّد محسن الحكيم قدس سره، والسيّد الخوئي قدس سره، والسيّد السبزواري قدس سره، وآخرون غيرهم. «٢»

يقول السيّد الحكيم قدس سره في مستمسك العروة الوثقى: «.. وأما ما في بعض كتب المقاتل من أنّه عليه السلام جعل عمرته عمرة مفردة، ممّا يظهر منه أنها كانت عمرة تمتّع وعدل بها إلى الأفراد، فليس ممّا يصحّ التعويل عليه في مقابل الأخبار المذكورة التي رواها أهل البيت عليهم السلام». «٣»

ويقول الشيخ محمد رضا الطبسي قدس سره: «المشهور بين الأصحاب رضوان الله عليهم أن من دخل مكة بعمرة التمتع في أشهر الحج لم يجز له أن يجعلها مفردة، ولا أن يخرج من مكة حتى يأتي بالحج لأنها مرتبة (مرتبطة) بالحج، نعم عن ابن إدريس القول بعدم الحرمة وأنه مكروه، وفيه أنه مردود بالأخبار». «٤»
«كما يضعف أيضاً القول بوقوع التبديل الى العمرة المفردة هو أنه لو كان لأجل الصد ومنع الظالم فإن المصدود عن الحج يكون إحلاله بالهدى، كما أشار

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥

إليه الشهيد الأول في الدروس، «١» والشهد الثاني في المسالك. «٢». «٣»

ولم يرد في خبر أو أثر أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد أحل من إحرام عمرته بالهدى.

لماذا توجه الإمام الحسين عليه السلام الى العراق؟ ص : ١٥

إشارة

إن أفضل من يجيب عن هذا السؤال هو الإمام الحسين نفسه عليه السلام، ويمكننا هنا التعرف على أبعاد هذا الجواب، وتحديد العوامل التي دفعت الإمام عليه السلام إلى اختيار العراق لاغيره من البلدان، من خلال تتبع واستقصاء جميع ما اثر من تصريحات الإمام عليه السلام في هذا الصدد، منذ إعلانه عن قيامه المقدس في رفض البيعة ليزيد بعد موت معاوية أمام الوليد بن عتبة والى المدينة آنذاك، حتى أواخر ساعات حياته في كربلاء في احتجاجاته على أعدائه قبيل نشوب القتال يوم عاشوراء.
وعلى ضوء تصنيف تصريحاته عليه السلام على أساس نوع الإشارة فيها يمكننا تحديد العوامل التي دفعت الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر، وهذه العوامل هي:

(١) - العراق مهد التشيع ومركز معارضة الحكم الأموي ص : ١٥

في إجابته عليه السلام عن سؤال عبدالله بن عتياش بن أبي ربيعة «٤» بالأبواب - بين

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦

المدينة ومكة: - أين تريد يا ابن فاطمة؟

قال الإمام عليه السلام: العراق وشيعتي!. «١»

وفي محاوره بينه وبين عبدالله بن عباس قال ابن عباس (رض): فإن كنت على حال لا بد أن تشخص فصّر إلى اليمن فإن بها حصوناً لك، وشيعة لأبيك، فتكون منقطعاً عن الناس!

فقال الإمام عليه السلام: لا بد من العراق!. «٢»

هذان النصان - ونظائرهما - يكشفان بوضوح عن أهمية العراق بذاته عند الإمام عليه السلام بمعزل عن أثر رسائل أهل الكوفة التي وصلت إلى الإمام عليه السلام في مكة بعد موت معاوية، وأهمية العراق بذاته عند الإمام عليه السلام من الحقائق التاريخية التي لا تحتاج لإثباتها إلى الاستشهاد عليها بنص.

فلقد كانت الكوفة «مهلاً للشيعة، وموطناً من مواطن العلويين، وقد أعلنت إخلاصها لأهل البيت في كثير من المواقف ... وقد خاض

الكوفيون حرب الجمل و صفيين مع الامام، وكانوا يقولون له: «سَر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت، فنحن حزبك وأنصارك، نُعادي من عاداك، ونشايح من أناب إليك وأطاعك»، «٣» وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يُثنى عليهم ثناء عاطراً، فيرى أنهم أنصاره وأعوانه المخلصون له، يقول لهم: «يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧

الحق، ومجيباً إلى جهاد المحلّين، بكم أضرب المدبر، وأرجو إتمام طاعة المُقبل»، «١» ويقول عليه السلام: «الكوفة كنز الإيمان، وجمجمة الإسلام، وسيف الله ورمحه، يضعه حيث يشاء». «٢». «٣»

وكانت الكوفة بعد أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام المقرّ الرئيسي لمعارضة الحكم الأموي، وكان الكوفيون يتمنون زوال الحكم الأموي، «ومما زاد في نقمة الكوفيين على الأمويين أن معاوية وليّ عليهم شُذاذ الآفاق كالمغيرة بن شعبه، وزياد بن أبيه، فأشاعوا فيها الظلم والجور، وأخرجوهم من الدعة والاستقرار، وبالغوا في حرمانهم الإقتصادي، واتبَعوا فيهم سياسة التجويع والحرمان ... وظلّت الكوفة مركزاً للمؤامرات على حكم الأمويين، ولم يُثنهم عن ذلك ما عانوه من التعذيب والقتل والبطش على أيدي الولاة». «٤»

وكان الشيعة في العراق - بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام - على اتصال بالإمام الحسين عليه السلام من خلال المكاتبات واللقاءات، ونكتفي للدلالة على ذلك بهذين النصين:

(أ) - نقل الشيخ المفيد (ره) عن الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السير أنهم قالوا: «لَمَّا مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا الى الحسين عليه السلام في خلع معاوية، والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك». «٥»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨

(ب) - روى البلاذري عن العتبي أن الوليد بن عتبة حجب أهل العراق عن الإمام الحسين عليه السلام (أى منعهم من اللقاء به، وهذا يعنى أنهم كانوا يأتون لملاقاته في المدينة المنورة، وبصورة ملفتة ومثيرة لانتباه السلطة)، فقال الحسين عليه السلام: «يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربّه، علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهلته أنت وعمّك؟!». «١»

(٢) - العراق أرض المصراع المختار؟! ص : ١٨

لَمَّا عزم الإمام عليه السلام على الخروج من المدينة أتته أم سلمة (رض) فقالت: يا بُنى لاتحزني بخروجك الى العراق، فإنني سمعت جدك يقول: يُقتل ولدى الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء! فقال لها: يا أمّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وأنتي مقتول لامحالة، وليس لي من هذا بدّ، وإنّي والله لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أُدفن فيها، وإنّي أعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أمّياه أريك حفرتي ومضجعي!». «٢»

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام قال لها (رض):

«والله إنني مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً..».

«وقد روى بأسانيد أنه لَمَّا منعه عليه السلام محمّد بن الحنفية عن الخروج إلى الكوفة قال: والله يا أخي، لو كنت في جحر هامة من هوامّ الأرض، لاستخرجوني منه حتّى

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩

يقتلونى». (١)

وفي رواية أنه عليه السلام قال لابن الزبير: لئن أَدَفَنَ بِشَاطِئِ الْفِرَاتِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُدْفِنَ بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ. (٢)
أو قوله عليه السلام: ولئن أُقْتِلَ بِالطَّفِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ بِالْحَرَمِ. (٣)

هذه النصوص - ونظائرها - تكشف لنا أن الإمام عليه السلام منذ البدء كان قد اختار العراق أرضاً لمصرعه!

وسرُّ ذلك هو أن الإمام عليه السلام بعد أن اختار موقفه المبدئي برفض البيعة ليزيد وبالقيام كان يعلم منذ البدء أنه مقتول لامحالة، خرج الى العراق أولم يخرج، فكان «من الحكمة أن يختار الإمام عليه السلام لمصرعه أفضل الظروف الزمانية والمكانية والنفسية والاجتماعية المساعدة على كشف مظلوميته وفضح أعدائه، ونشر أهدافه، وأن يتحرك باتجاه تحقيق ذلك ما وسعته القدرة على التحرك. وبما أن الإمام عليه السلام كان يعلم منذ البدء أيضاً أن أهل الكوفة لا يفون له بشيء من عهدهم وبيعتهم وأنهم سوف يقتلونهم: «هذه كتب أهل الكوفة إلي ولا أراهم إلّا قاتلي...»، (٤)

إذن فهو عليه السلام - بمنطق الشهيد الفاتح - كان يريد العراق، ويصرُّ على التوجه إليه لأنه أفضل أرض للمصرع المختار، ذلك لما ينطوي عليه العراق من استعدادات للتأثر بالحدث العظيم «واقعة عاشوراء» والتغير نتيجة لها، وذلك لأن الشيعة في العراق آنذ أكثر منهم في أي إقليم إسلامي آخر، ولأن العراق لم يغلُق إعلامياً ونفسياً لصالح الأمويين كما هو الشام، بل لعل العكس هو الصحيح. وهذه الحقيقة أكدتها الوقائع التي تلت واقعة عاشوراء، وأثبتت أيضاً صحة هذا المنطق، ولعل هذا هو

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠

السِّرُّ المستودع في قوله عليه السلام لما سأله ابن عتياش: اين تريد يا ابن فاطمة؟

حيث أجاب عليه السلام: العراق وشيعتي! (١)

وقوله عليه السلام لابن عباس: لا بد من العراق! (٢)

«٣»

(٣) - رسائل أهل الكوفة بعد موت معاوية ص: ٢٠

إشارة

ما إن علم أهل الكوفة بموت معاوية بن أبي سفيان، وبأن الإمام الحسين عليه السلام قد رفض البيعة ليزيد، وقد خرج من المدينة وأقام في مكة، حتى تقاطرت إليه رسائلهم ورسائلهم، يدعونهم إليهم، مظهرين استعدادهم لنصرته والقيام معه، حتى إنه اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب، (٤) ووردت إليه قائمة فيها مائة وأربعون ألف اسم يُعربون عن نصرتهم له حال ما يصل إلى الكوفة، (٥) وكان سفيره إليهم مسلم بن عقيل عليه السلام قد كتب الى الإمام عليه السلام - بعد وصوله الكوفة وأخذه البيعة له منهم - قائلاً: «أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولاهوى، والسلام»، (٦) وكان أهل الكوفة في آخر وفاداتهم إلى الإمام عليه السلام في مكة قد كتبوا إليه يقولون: «أما بعد، فإن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله، فقد اخضرت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١

الجبّات، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم علينا إذا شئت، فأنما تقدم على جند مجندة لك»، (١) وكتبوا إليه:

«إنّا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة، فاقدم إلينا فنحن في مائة ألف!». (٢)

لقد شكّلت رسائل أهل الكوفة حجّة على الإمام عليه السلام في وجوب الإستجابة لهم، وقد كان الإمام عليه السلام قد علّق عزمه في

التوجه إلى الكوفة على التقرير الميداني لمسلم بن عقيل عليه السلام عن حال أهل الكوفة، وقد صرح عليه السلام لأهل الكوفة في رسالته الأولى إليهم بذلك حيث قال:

«... فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملاكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإنى أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله...» (٣)

وعلى ضوء رسالة مسلم عليه السلام عقد الإمام الحسين عليه السلام عزمه على التوجه الى الكوفة محتجاً برسائلهم إليه، واحتجاجاته عليه السلام برسائل أهل الكوفة إليه كثيرة، نقلتها إلينا كتب التاريخ، منها- على سبيل المثال لا الحصر- جوابه عليه السلام لعبد الله بن مطيع وكان قد سأله عما أخرجه عن حرم الله وحرم جدّه صلى الله عليه وآله حيث قال عليه السلام:

«إنّ أهل الكوفة كتبوا إليّ يسألوننى أن أقدم عليهم...» (٤)

وقوله عليه السلام لعبدالله بن عمر- وكان قد نهاه عن التوجه الى أهل العراق- «هذه كتبهم وبيعتهم!». (٥)

وقوله عليه السلام ليزيد بن الرشك الذى سأله فى منزل من منازل الطريق قائلاً: ما

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٢

أنزلك هذه البلاد الفلاة التى ليس بها أحد؟! حيث أجاب عليه السلام:

«هذه كتب أهل الكوفة إليّ ولا أراهم إلّا قاتلّى..!». (١)

وقوله عليه السلام للطرمّاح وقد سأله أن يلجأ إلى جبل أجأ: «إنّ بينى وبين القوم موعداً أكره أن أخلفهم..» (٢)

وفى نص آخر: «إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الإنصراف..» (٣)

إشارة: ص: ٢٢

لاشكّ أنّ حجّة أهل الكوفة على الإمام عليه السلام- برسائلهم إليه وبيعتهم- كانت قد انتفت عملياً وانتهت تماماً بعد انقلابهم على مسلم بن عقيل عليه السلام وخذلانهم إياه، فلماذا لم يُعرض الإمام عليه السلام عن التوجه إلى العراق، بل أصرّ على التوجه إليهم، وواصل الاحتجاج عليهم برسائلهم وبيعتهم؟

وفى معرض الإجابة عن هذا التساؤل قد يُقال إنّ مسلم بن عقيل عليه السلام فى مستوى تأثيره على أهل الكوفة ليس كالإمام عليه السلام فى مستوى تأثيره لو دخل الكوفة وكان بين ظهراى أهلها، إذ إنّ المأمول والمتوقّع أنهم سيلتفون حول الإمام عليه السلام ويسارعون الى نصرته، وهذا التصوّر كان قد أشار إليه بعض أصحاب الإمام عليه السلام حين قال له: «إنّك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع..»، (٤) ولذا واصل الإمام عليه السلام الإصرار على التوجه إلى الكوفة حتى بعد مقتل مسلم عليه السلام!

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٣

لكنّ التاريخ يثبت أنّ الإمام عليه السلام لم يعتمد هذا النظر ولم يتحرّك على أساسه لعلمه عليه السلام بما سيؤول إليه موقف أهل الكوفة من قبل ذلك (لإعتقادنا الحقّ بأنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون بما كان وبما سيكون الى قيام الساعة)، ودلائل تاريخية عديدة أيضاً تؤكّد أنه عليه السلام كان يعلم منذ البدء أنّ أهل الكوفة سوف يخذلونه ويقتلونه، (١) ولأنّ أبناء الكوفة بعد مقتل مسلم عليه السلام تدافعت إلى الإمام عليه السلام بسرعة مؤكّدة على أنّ أهل الكوفة- إلّا من رحم الله- قد أصبحوا إلّاباً على الإمام عليه السلام بعد أن عبّاهم ابن زياد لقتاله.

فلا يبقى إذن إلّا أن نقول: «إنّ الإمام عليه السلام واصل التزامه بالوفاء بهذا الموعد والقول، واصرّ على التوجه الى الكوفة لا لأنّ لأهل الكوفة حجّة باقية عليه فى الواقع، بل لأنّه لم يشأ أن يدع أىّ مجال لإمكان القول بأنّه لم يفّ تماماً بالعهد لو كان قد انصرف عن

التوجه الى الكوفة في بعض مراحل الطريق، حتى بعد أن أغلق جيش الحرّ دونه الطريق إليها، ذلك لأنّ الإمام عليه السلام مع تمام حجّته البالغة على أهل الكوفة أراد في المقابل بلوغ تمام العذر وعلى أكمل وجه فيما قد يتصوّر أنّ لهم حجّة باقية عليه، بحيث لا يبقى مجال للطعن في وفائه بالعهد.». (٢)
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤

(٤) - تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ص : ٢٤

وفي مجموعة نصوص تصريحات الإمام الحسين عليه السلام بصدد علّمة اختياره التوجه الى العراق لا إلى غيره هناك فئة من هذه النصوص يصرح فيها الإمام عليه السلام بأنه إنما يخرج الى العراق بالذات امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد تلقى الإمام الحسين عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق (الرؤيا)، التي تكررت غير مرّة، وهي رؤيا حقّة لأنّ الرائي إمام معصوم عليه السلام، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنّ المرثي هو رسول الله صلى الله عليه وآله، والثابت في الأثر أنّ من رآه في المنام فقد رآه. «١»
وكان بدء هذه الرؤيا الحقّة في المدينة المنورة بعدما أعلن الإمام عليه السلام رفضه مبايعة يزيد بعد موت معاوية أمام الوليد بن عتبة والى المدينة يومذاك، تقول الرواية:

«فلما كانت الليلة الثانية خرج الى القبر أيضاً، فصلّى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول:
«اللهم إنّ هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم وإنّي أحبّ المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ هذا القبر ومن فيه إلّا ما اخترت من أمرى هذا ما هو لك رضى.
ثم جعل الحسين عليه السلام يبكي، حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعه، فرأى النبي صلى الله عليه وآله قد أقبل في ككبّه من الملائكة عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه، حتى ضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره، وقبل بين عينيه، وقال صلى الله عليه وآله:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥

يا بنّي يا حسين، كأنّك عن قريب أراك مقتولاً مذبحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمّتي، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي!، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، فما لهم عند الله من خلاق.
حبيبي يا حسين، إنّ أباك وأمّك وأخاك قد قدموا عليّ، وهم إليك مشتاقون، وإنّ لك في الجنّة درجات لن تنالها إلّا بالشهادة!
فجعل الحسين عليه السلام ينظر في منامه الى جدّه صلى الله عليه وآله ويسمع كلامه، وهو يقول:
يا جدّاه، لا حاجة لي في الرجوع الى الدنيا أبداً، فخذني إليك واجعلني معك إلى منزلتك!
فقال له النبي صلى الله عليه وآله:

يا حسين، إنه لا بدّ لك من الرجوع الى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنّك وأباك وأخاك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنّة.». «١»

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر أيضاً في آخر لقاء له مع أخيه محمد بن الحنفية (رض) في مكة المكرمة في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، تقول الرواية: «سار محمد بن الحنفية الى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخي، إنّ أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإنّ رأيت أن تقيم فإنّك أعزّ من في الحرم وأمنعه!

فقال عليه السلام: يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت فسرّ الى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنك أمتع الناس به ولا يقدر عليك أحد.

فقال عليه السلام: أنظر فيما قلت.

ولما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها، فقال له: يا أخي، ألم تعدني

النظر فيما سألتك؟

قال عليه السلام: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال عليه السلام: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً!

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟!

فقال له عليه السلام: قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهنّ سبايا! وسلّم عليه ومضى. «١»

كما أشار الإمام عليه السلام أيضاً الى أمر هذه الرؤيا بعد خروجه عن مكة، في ردّه على عبدالله بن جعفر (رض) ويحيى بن سعيد

حينما ألحا عليه بالرجوع وجهداً في ذلك، حيث قال عليه السلام لهما: «إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمرت

فيها بأمر أنا ماضٍ له، عليّ كان أو لي!»، ولما سألاه: فما تلك الرؤيا؟

قال عليه السلام: «ما حدّثت بها أحداً، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربّي!». «٢»

ويستفاد من هذا الخبر أنّ هذه الرؤيا التي أخبر الإمام عليه السلام عنها عبدالله بن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧

جعفر (رض) ويحيى بن سعيد هي غير الرؤيا التي رآها في المدينة وغير الرؤيا التي أخبر عنها أخاه محمّد بن الحنفية (رض)، بدليل

أنه عليه السلام امتنع عن ذكر تفاصيلها، وذكر أنه لم يحدّث بها أحداً ولا يحدّث بها.

ولا يخفى أنّ الأخيرتين من هذه الرؤى الثلاث صريحتان في أنّ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله كان متعلّقاً بالتوجّه إلى العراق

لاباصل الخروج فقط، ذلك لأنّ الإمام عليه السلام ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في ردّه على كلّ من محمّد بن الحنفية

(رض) وعبدالله بن جعفر (رض) ويحيى بن سعيد الذين نهوه عن التوجه الى العراق.

هلح السلطة الأموية من خبر خروج الإمام عليه السلام! ص : ٢٧

روى ابن قتيبة الدينوري أنّ عمرو بن سعيد بن العاص والى مكة حينما بلغه خبر خروج الإمام الحسين عليه السلام عن مكة المكرمة

قال: «إركبوا كلّ بغير بين السماء والأرض فاطلبوه!»، فكان الناس يعجبون من قوله هذا، فطلبوه فلم يُدركوه! «١»

ومع أنّ لنا تحفظاً على هذا الخبر من جهة أنّ الثابت تاريخياً أنّ الإمام عليه السلام لم يخرج عن مكة سرّاً وإنّ كان خروجه في السحر

أو في أوائل الصباح، إذ كان الامام عليه السلام قد خطب الناس في مكة ليلة الثامن من ذي الحجة خطبته الشهيرة التي قال فيها:

«من كان باذلاً فينا مهجته، وموطئاً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنني راحلٌ مصباحاً إن شاء الله تعالى». «٢»

وعلى هذا فإنّ خبر موعد خروجه عليه السلام كان قد انتشر بين الناس في مكة قبل خروجه، أي في ذات الليلة التي خرج في أواخرها

أو في أوائل صباحها، ومن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨

الطبيعي ان تكون السلطة الأموية في مكة قد علمت بهذا الموعد كما علم الناس في مكة على الأقل من خلال جواسيسها وعيونها.

ومن جهة أخرى فإنَّ الركب الحسينيَّ الخارج عن مَكَّة- وكان كبيراً نسبياً أوائل الخروج- لا يمكن أن يبعد كثيراً عن مَكَّة فيختفى بهذه السرعة وفي تلك الفاصلة الزمنية القصيرة عن الأنظار حتى يُطلب فلا يُدرِك!

هذا مع أنَّ المشهور تاريخياً أنَّ رُسل عمرو بن سعيد ورجال شرطته قد أدركوا الركب الحسينيَّ في أوائل طريقه نحو العراق! غير أنَّ الأمر المهمَّ الذي يكشف عنه هذا الخبر هو الهلع الكبير والذعر البالغ اللذان انتابا السلطة الأموية لخروج الإمام عليه السلام بالفعل، حتى كأنَّ والي مَكَّة آنذاك أراد أن يُعْبِئ كلَّ واسطة بين السماء والأرض ويستخرها لمنع الإمام عليه السلام من الخروج عن مَكَّة!

لقد عظم خروج الإمام عليه السلام عن مَكَّة على السلطة الأموية لأنَّ هذا الخروج كان معناه انفلات الثورة الحسينية من طوق الحصار الذي سعت السلطة الأموية إلى تطويقها به في المدينة المنورة ففشلت، ثمَّ جهدت في سبيل ذلك في مَكَّة أيضاً، طمعاً في القضاء على هذه الثورة في مهدها قبل انفلاتها من ذلك الحصار، من خلال القضاء على قائدها بإلقاء القبض عليه أو اغتياله أو قتله بالسِّم في ظروف مفتعلة غامضة تستطيع السلطة الأموية أن تُلقي فيها بالتهمة على غيرها، وتغطي على جريمتها بألف ادعاء، وقد تطالب هي بدمه بعد ذلك فتضللَّ الأمة وتظهر للناس بمظهر الآخذ بثأر الإمام عليه السلام، فتبقى مأساة الإسلام على ما هي عليه، بل تترسخ المصيبة وتشتد!

إذن فخروج الإمام عليه السلام عن مَكَّة المكرمة في ذلك التوقيت المدروس كما فوّت على السلطة الأموية الفرصة للتخلص من الإمام عليه السلام بطريقة تختارها هي، وتتمكن من الإستفادة منها إعلامياً لتضليل الأمة، كذلك فقد فوّت عليها فرصة مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩

تطويق الثورة ومحاصرتها وخنقها، إذ كان «خروجه عليه السلام من المدينة- وكذلك من مَكَّة- في الأصل انفلاتاً بالثورة المقدسة من طوق الحصار والتعتيم الأموي، إضافة إلى خوفه عليه السلام من أن تُهتَكَ حرمة أحد الحرمين الشريفين بقتله». (١)

إذن فقد حقَّ لبنى أمية أن يهلّوا لخروج الإمام عليه السلام، لأنَّ هذا الخروج حرمهم من أن يرسموا هم فصول المواجهة مع الإمام عليه السلام، وأن يختاروا هم الظروف الزمانية والمكانية والإعلامية لهذه المواجهة، في وقت «كان الإمام عليه السلام حريصاً على أن يتحقَّق مصرعه- الذي كان لا بدَّ منه ما لم يبايع- في ظروف زمانية ومكانية يختارها هو عليه السلام، لا يتمكن العدو فيها أن يعتَم على مصرعه، أو أن يستفيد من واقعه قتله لصالحه، فتختنق الأهداف المنشودة من وراء هذا المصرع الذي أراد منه عليه السلام أن تهترَّ أعماق وجدان الأمة لتتحرك بالإتجاه الصحيح الذي أراده عليه السلام لها». (٢)

محاولة السلطة الأموية في مَكَّة لإرجاع الإمام عليه السلام ص : ٢٩

إشارة

لقد سلكت السلطة الأموية المحلية في مَكَّة المكرمة من أجل إرجاع الإمام عليه السلام إلى مَكَّة مرّة أخرى أسلوبين، كان أحدهما أسلوباً سلمياً عرض فيه عمرو بن سعيد الأشدق الأمان والبرِّ والصلة للإمام عليه السلام في رسالته وجهها إليه، وكان الآخر أسلوباً قمعياً وعسكرياً حيث تصدّت جماعة من رجال الشرطة الأموية للركب الحسيني لمنع مواصلة حركته في الخروج عن مَكَّة، ولا يخفى أنَّ الأسلوب الأول أي أسلوب بذل الأمان والصلة كان قبل الأسلوب القمعي، كما هي عادة الطغاة في مواجهة مثل هذه الوقائع.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٠

دور عبدالله بن جعفر في المحاولة السلمية! ص : ٣٠**إشارة**

تقول رواية الطبري: «وقام عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه وقال: أكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيته فيه البرّ والصلوة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع!». فقال عمرو بن سعيد: أكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه. فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب!، ثم أتى به عمرو بن سعيد، فقال له: أختمه، وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنه الجد منك. ففعل!». ويتابع الطبري روايته فيقول: «.. فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: إنني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له، عليّ كان أو لي! فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت بها أحداً، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي!

قال وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ عليهما السلام:

«من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ: أما بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يُرشدك! بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإن لك عندى الأمان والصلوة والبرّ وحسن الجوار، لك الله عليّ بذلك شهيد وكفيل ومُراعٍ ووكيل، والسلام عليك.

وروى الطبري أن الإمام عليه السلام كتب إليه:

أمّا بعد، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجلّ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلوة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، نسأل الله مخافةً في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة فإن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣١

كنت نويت بالكتاب صلتى وبرى فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام..» (١)

تأمل وملاحظات: ص : ٣١

مضت في الجزء الثاني من هذه الدراسة (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة)، ترجمه موسعةً لشخصية عبدالله بن جعفر الطيار (رض)، ودراسة مفصلة لموقفه من النهضة الحسينية، وقد استوتفت تلك الدراسة الإجابة عن جميع الأسئلة التي يمكن أن تُثار حول هذه الشخصية الهاشمية.

ومع هذا، فإن دخول جزء من تحرك عبدالله بن جعفر (رض) في إطار متابعتنا هذه يلزمنا أن نذكر هنا - على سبيل الاختصار - ببعض النقاط المهمة المتعلقة بتحرك عبدالله بن جعفر (رض):

١- كان عبدالله بن جعفر (رض) - بعد أن علم بعزم الإمام عليه السلام على التوجه إلى العراق - قد كتب رسالة إليه يناشده فيها عدم التوجه إلى العراق، وقد روى ابن أعثم الكوفي «٢» أن عبدالله بن جعفر (رض) قد كتب هذه الرسالة من المدينة إلى الإمام عليه السلام في مكة، أمّا الطبري فإنه قد روى أنه بعث بها إلى الإمام عليه السلام بعد خروجه عن مكة، مع ولديه محمد وعون، ونصّ الرسالة على ما في رواية الطبري:

«أما بعد، فإني أسالك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك،

واستئصال أهل بيتك، إن هلك اليوم طفء نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين»،

فلا تعجل بالسير

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٢

فإني في أثر الكتاب، والسلام». (١)

ويلاحظ أن متن هذه الرسالة كاشف عن أمور، منها:

أ- الأدب الجَم الذي يتمتع به عبدالله بن جعفر (رض) في مخاطبة الإمام عليه السلام، الكاشف عن اعتقاده بإمامة الإمام عليه السلام، خصوصاً في قوله على ما في رواية الطبري: إن هلك اليوم طفء نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين. أو على ما في رواية الفتوح: فإنك إن قُتلت أخاف أن يُطفأ نور الأرض، وأنت روح الهدى، وأمير المؤمنين.

ومن هنا، فإن الرسالة التي بعث بها والي مكة عمرو بن سعيد الأشدق إلى الإمام عليه السلام بعد خروجه لا يمكن أن تكون من إنشاء عبدالله بن جعفر (رض) - كما روى الطبري! - ذلك لأن هذه الرسالة حوت شيئاً إداً من مضامين الجسارة والجهل بمقام الإمام عليه السلام، وسوء الأدب في مخاطبته عليه السلام، كما في قوله: «أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يُرشدك ... وإني أعيذك بالله من الشقاق!»، وهذا مستبعد جداً صدوره من إنسان مؤمن بإمامة الإمام الحسين عليه السلام، ويراه «نور الأرض» و «أمير المؤمنين» و «روح الهدى».

بل رسالة الأشدق من إنشائه هو، وذلك: أولاً لأنها انعكاس تام لنظرة هذا الطاغية الأموي المتجبر، وحاكية عن لسان الإعلام الأموي ومفرداته الضالة المضلّة، فالخروج على النظام الظالم فيها من الموبقات! ومن الشقاق! وسعى في تفريق كلمة الأمة والجماعة! وما إلى ذلك من أسلحة إعلامية لمواجهة كل قيام للحق والعدل والإصلاح.

ومن الجدير بالذكر هنا: أن ابن أعثم الكوفي ذكر أن عمرو بن سعيد هو الذي كتب هذه الرسالة وليس عبدالله بن جعفر (رض)، كما ذكر أن حاملها إلى

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٣

الإمام عليه السلام كان يحيى بن سعيد وحده، أي لم يكن عبدالله بن جعفر (رض) معه! (١)

كما أن الشيخ المفيد (ره) روى نفس قصة هذه الرسالة - كما رواها الطبري - لكنه لم يذكر أن عبدالله بن جعفر (رض) هو الذي كتبها، (٢) بل قال: «فكتب إليه عمرو بن سعيد كتاباً...»، (٣) فتأمل!

ب- ويستفاد أيضاً من محتوى رسالة عبدالله بن جعفر (رض) إلى الإمام عليه السلام أنه «يشترك مع ابن عباس (رض) وابن الحنفية (رض) وغيرهم في النظرة إلى قيام الإمام عليه السلام من زاوية النصر أو الإنكسار الظاهريين، هذه النظرة التي كانت منطلق مشورتهم ونصائحهم، وخوفهم أن يقتل الإمام عليه السلام في الوجهة التي عزم عليها، ولذا فقد كان الإمام عليه السلام يجيبهم بأن منطقته الذي يتحرّك على أساسه غير هذا من خلال الرؤيا التي رأى فيها جدّه صلى الله عليه وآله، وأنه مأمور بهذا النوع من التحرك امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله». (٤)

وجدير بالذكر هنا أن الإمام عليه السلام كان قد كتب جواباً إلى عبدالله بن جعفر (رض) قال فيه: «أما بعد، فإن كتابك ورد عليّ فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أنني قد رأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، فخبرني بأمر وأنا ماضٍ له، لي كان أو عليّ، والله يا ابن عمي لو كنت في جحر هامية من هوام الأرض لاستخرجوني ويقتلونني! والله ليعدين عليّ كما عدت اليهود على السبت، والسلام». (٥)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٤

(٢) - يظهر من أخبار تحرك عبدالله بن جعفر (رض) ومن رسالته (١) التي بعث بها إلى الإمام عليه السلام «أنه كان يعتقد أو يأمل - من

خلال الوساطة- أن تتحقق المتاركة بين السلطة الأموية وبين الإمام عليه السلام إذا انثنى عن القيام والخروج وإن لم يبايع! ولذا فقد ردَّ الإمام عليه السلام على هذا الوهم بأنه ما لم يُبايع يُقتل لا محالة! ولأنه لا يبايع يزيد أبداً فالنتيجة لامحالة هي: «لو كنت في جحر هامة من هوامّ الأرض لاستخرجوني حتى يقتلوني!..»، وفي هذا ردُّ أيضاً على تصوّر عبدالله بن جعفر- على فرض صحته رواية الفتوح- بأنه يستطيع أخذ الأمان من الأمويين للإمام عليه السلام ولماله وأولاده وأهله!». «٢»

إذن، يتضح لنا ممّا مرَّ أن دور عبدالله بن جعفر (رض) في المحاولة السلمية لم يكن انضواءً منه تحت الراية الأموية، أو أنه (رض) كان موالياً للسلطة الأموية وممثلاً أو مندوباً عنها، بل كلُّ ما حصل هو أن سعيه لتحقيق المتاركة بين السلطة الأموية وبين الإمام عليه السلام كان قد توافق مع رغبة السلطة الأموية في ثنى الإمام عليه السلام عن مواصلة التوجه الى العراق، وإرجاعه مرّة أخرى إلى مكة المكرمة، من خلال بذل الأمان والبرّ والصلوة وحسن الجوار، فكان سعي عبدالله بن جعفر (رض) وسعي السلطة الأموية في هذا الإطار في طول واحد لاشيئاً واحداً.

ولذا نجد أن عبدالله بن جعفر (رض) لمّا رأى إصرار الإمام عليه السلام على مواصلة القيام والتوجه الى العراق، أنهى سعيه لتحقيق المتاركة، وأظهر ولاءه التام للإمام عليه السلام حين أمر ولديه محمّداً وعوناً بالالتحاق به عليه السلام، إذ كان هو معذوراً مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٥

لإصابته بالعمى على ما في بعض الآثار. «١»

ويحسنُ هنا في ختام بحثنا الموجز عن دور عبدالله بن جعفر (رض) أن نذكر هذه الرواية التي رواها الشيخ المفيد (ره)، والكاشفة عن تأييده (رض) لقيام الإمام عليه السلام، تقول هذه الرواية: «ودخل بعض موالى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام فنعى إليه إبنه، فاسترجع، فقال أبو السلاسل مولى عبدالله: هذا مالقينا من الحسين بن عليّ!.

فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله، ثم قال: يا ابن اللخناء! أللحسين عليه السلام تقول هذا؟! واللّه لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتّى أقتل معه! واللّه إنّه لمّا يسخى نفسه عنهما ويعزى عن المصاب بهما أنّهما أصيبا مع أخى وابن عمى مواسيين له صابرين معه. ثمّ أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله، عزّ عليّ مصرع الحسين، إن لا أكن آسيباً حسيناً بيدي فقد آساه ولداي». «٢»

المحاولة القمعية: ص : ٣٥

إشارة

ولمّا يأس الأشدق من فائدة أسلوب عرض الأمان والبرّ والصلوة وحسن الجوار! لجأ إلى ما تعود عليه من الأساليب الإرهابية القمعية في معالجة المشكلات التي تواجهه- وتلك سنّة الطغاة- ظناً منه أنّ الأسلوب القمعي لا بدّ وأن يثمر النتيجة المنشودة من وراءه! روى الطبرى عن عقبه بن سمعان قال: «لَمَّا خرج الحسين من مكة اعترضه رُسلُ عمرو بن سعيد بن العاص، عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٦

تذهب؟! فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثم إنَّ الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: يا حسين، ألا تتقى الله! تخرج من الجماعة وتفترق بين هذه الأمة؟! فتأوّل حسين قول الله عزّ وجلّ (لى عملى ولكم عملكم، أنتم بريئون ممّا عمل وأنا برىء ممّا تعملون). «١»، «٢»

وتقول رواية الدينورى: «ولمّا خرج الحسين من مكة اعترضه صاحب شرطه أميرها عمرو بن سعيد ابن العاص في جماعة من الجند، فقال: الأمير يأمرك بالإنصراف، فانصرف وإلّا منعتك!

فامتنع عليه الحسين، وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط! وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل إلى صاحب شُرطه يأمره بالإنصراف!»، (٣)

إشارة: ص : ٣٦

إن التدبّر في هذين النصّين يكشف بوضوح عن أنّ القوّة العسكريّة الأمويّة لم تكن كافية لمنع الإمام عليه السلام من الخروج، ذلك لأنّ المفروض أن يستعمل عمرو الأشدق كلّ ما لديه من إمكانيّة وقوّة في مثل هكذا مواجهة تقع خارج حدود مدينة مكّة لقهركم الركب الحسيني الكبير نسبياً حتى ذلك الوقت وإرغامه على الرجوع إلى مكّة، غير أنّ واقع الحال لم يعد أن تدافع الفريقان واضطربوا بالسياط، وكان امتناع الركب الحسيني (امتناعاً قوياً)، فخاف الأشدق من تفاقم الأمر! وأمر (رُسَلَه) أو (جنده) بالإنصراف خائبين، ولاشك أنّ معنى تفاقم الأمر هنا هو خوف الأشدق من انقلاب السحر على الساحر إذا طال التدافع وامتدّت المناوشة بين الفريقين وانتهى الأمر بهما إلى مواجهة حربية صريحة- لم يكن الأشدق قد استعدّ

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٧

لها تماماً- فضلاً عن خوفه من انقلاب جماهير الحجيج الواردين إلى مكّة من أقطار العالم الإسلامي على السلطنة الأمويّة وانضمامهم إلى رايّة الإمام عليه السلام إذا سمعوا بمثل هذه المواجهة بين السلطنة وبين الإمام عليه السلام عند مشارف مكّة.

هل كانت هذه المحاولة إجراءً صورياً؟! ص : ٣٧

ومن الغريب هنا أن يتبنّى سماحة الشيخ المحقّق باقر شريف القرشي ما ذهب إليه الدكتور عبدالمنعم ماجد في كتابه «التاريخ السياسي للدولة العربيّة»، من أنّ المواجهة بين جند الأشدق وبين الركب الحسيني كانت مواجهة صوريّة أُريد منها إبعاد الإمام عن مكّة! والتحجير عليه في الصحراء حتى يسهل القضاء عليه!

يقول الشيخ القرشي: «ولم يبعد الإمام كثيراً عن مكّة حتى لاحقته مفرزة من الشرطة بقيادة يحيى بن سعيد، فقد بعثها إلى مكّة عمرو بن سعيد لصدّ الإمام عن السفر إلى العراق، وجرت بينهما مناوشات، وقد عجزت الشرطة عن المقاومة، وكان ذلك الإجراء فيما نحسب صورياً! فقد خرج الإمام في وضوح النهار من دون أية مقاومة تذكر ... لقد كان الغرض من إرسال هذه المفرزة العسكريّة إبعاد الإمام عن مكّة، والتحجير عليه في الصحراء حتى يسهل القضاء عليه بسهولة، وأكّد ذلك الدكتور عبدالمنعم ماجد بقوله: (ويبدو لنا أنّ عامل يزيد على الحجاز لم يبذل محاولة جدية لمنع الحسين من الخروج من مكّة إلى الكوفة بسبب وجود كثير من شيعته في عمله، بل لعلّه قدّر سهولة القضاء عليه في الصحراء بعيداً عن أنصاره، بحيث أنّ بني هاشم فيما بعد اتهموا يزيد بأنّه هو الذي دسّ إليه الرجال حتى يخرج).»، (١)

ولعلّ مردّ الإشتباه في هذا النظر يعود إلى الأمور التالية:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٨

(١)- أنّ الدكتور ماجد ومع الشيخ القرشي قد تصوّرا أنّ الأشدق كان يملك قوّة عسكريّة كبيرة في مكّة، ولكنّه لم يرسل منها لمنع الإمام عليه السلام من الخروج إلّا (مفرزة!) من الشرطة، وقد عجزت عن مقاومة الركب الحسيني وهو كبير نسبياً آنذاك، الأمر الذي يكشف عن أنّ محاولة الصدّ والمنع لم تكن جادة! فتصوّرا أنّ الغرض الحقيقي من وراء هذه المحاولة هو إبعاد الإمام عليه السلام عن مكّة والتحجير عليه في الصحراء ليُقتضى عليه بسهولة!.

والحقيقة- كما قلنا من قبل- أنّ كلّاً من مكّة والمدينة المنورة مدينتان ديتيتان كان الوالي لا يحتاج في كلّ منهما لإجراء أمور ولايته

إلّا إلى قوّة محدودة من الحرس والشرطة تكفي لتنفيذ الأمور الإدارية والقضائية وحفظ الأمن الداخلي، فهما ليستا من المدن التي تشكلت للأغراض الحربية أساساً كالكوفة مثلاً، حيث تغصّ بالجند الكثيف وبالمسالح، ولذا نرى أنّ الإنتفاضات التي شهدتها كلّ من مكّة والمدينة كان يُقضى عليها بجيوش تأتيها من خارجها كما في وقعة الحرّة في المدينة، ووقعة القضاء على عبد الله بن الزبير في مكّة.

(٢) - كان الإمام عليه السلام ما لم يبايع يزيد بن معاوية يُقتل لامحالة، ولو كان في جحر هامة من هوامّ الأرض، لكنّ قتله في ظروف زمانية ومكانية وملابسات غامضة تختارها السلطة الأموية ليس كقتله في مواجهته عسكريّة عنيفة يختار ظروفها الزمانية والمكانية الإمام عليه السلام نفسه، ذلك لأنّ السلطة الأموية في الحالة الأولى تستطيع التعيم على قتل الإمام عليه السلام والتغطية عليه بألف ادعاء وادعاء، أمّا في الحالة الثانية فيستحقّق للإمام عليه السلام استثمار مصرعه لتحقيق جميع أهدافه المنشودة من وراء قيامه المقدّس. (١)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٩

من هنا كان الأمويون يحرضون أشدّ الحرص على قتل الإمام عليه السلام في مكّة لا- خارجاً عنها، بواسطة الإغتيال في ظروف وملابسات غامضة، وهذا هو السرّ في قول عمرو بن سعيد الأشدق لرجاله لما بلغه خروج الحسين عليه السلام من مكّة: «اركبوا كلّ بغير بين السماء والأرض فاطلبوه!»، وفي محاولته إغراء الإمام عليه السلام ببذل (الأمان الأموي!) «١» والصلّة والبرّ وحسن الجوار! لإرجاع الإمام عليه السلام إلى مكّة، ثمّ في المحاولة القمعية التي لم تعدّ الإضطراب بالسياط.

فهذه المحاولة القمعية كانت محاولة جادة لإرجاع الإمام عليه السلام إلى مكّة بالفعل، لا كما ذهب إليه الشيخ القرشي والدكتور ماجد أنها كانت إجراءً صورياً أريد منها إبعاد الإمام عليه السلام عن مكّة!

(٣) - قال الشيخ القرشي: «وكان ذلك الإجراء صورياً، فقد خرج الإمام في وضح النهار من دون أيّة مقاومة تُذكر..»، ولانعلم مصدرّاً تاريخياً روى أنّ الإمام عليه السلام خرج عن مكّة في وضح النهار، «٢» فجّل المصادر التاريخية المعتمدة التي مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٠

تعرّضت لساعة خروجه ذكرت أنّ خروجه عليه السلام عن مكّة كان في السحر أو في أوائل الصباح، «١» لا في وضح النهار. ولو فرضنا أنّ الإمام عليه السلام كان قد خرج فعلاً عن مكّة في وضح النهار، لما تعرّضت له السلطة الأموية داخل مكّة لمنعه من الخروج، لأنّ السلطة الأموية كانت راغبةً بخروج الإمام عليه السلام، بل لما في المواجهة معه عليه السلام داخل مكّة من خطورة انتفاضه جموع الحجيج الكثيرة جداً ضدّها وقد كانت مكّة تغصّ بهم آنذاك، وهو أمرٌ كانت تتحاشاه السلطة الأموية وتخشى عواقبه.

(٤) - في قول الدكتور عبد المنعم ماجد فضلاً عن الإشتباه الأصل هناك اشتباهان آخران - وقد وافقه الشيخ القرشي على ذلك! - وهذان الإشتباهان هما:

أ قوله: «ويبدو لنا أنّ عامل يزيد على الحجاز لم يبذل محاولةً جديةً لمنع الحسين من الخروج من مكّة الى الكوفة بسبب وجود كثير من شيعته في عمله!».

وهذه دعوى غريبة! لم نعثر على متن تاريخي معتبر - حسب تتبعنا - يؤيدها أو يمكن أن تُستفاد منه استنتاجاً، ولانعلم من أين جاء بها هذا الكاتب، بل هناك من الدلائل التاريخية ما يشير إلى عكس هذه الدعوى، كما في قول الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليهما السلام: «ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا!»، «٢»

وقول أبي جعفر الإسكافي في هذا الصدد: «أمّا أهل مكّة فكلّهم كانوا يبغضون عليّاً قاطبةً، وكانت قريش كلّها على خلافه، وكان جمهور الخلق مع بني أمية عليه!». «٣»

ولعلّ منشأ هذا الإشتباه عائد إلى الخلط بين أهل مكّة وبين الوافدين إليها من

المعتمرين والحجاج الذين كانوا قد احتفوا بالإمام عليه السلام في مكة حفاوة عظيمة وكانوا يأتونه ويسمعون كلامه وبأخذون عنه، لكن هذا أيضاً لا يستفاد منه أن للإمام عليه السلام شيعه كثيرين يعملون داخل الجهاز الأموي الحاكم في مكة.

ب- قوله: «أن بني هاشم بعداً اتهموا يزيد بأنه هو الذي دس إليه الرجال حتى يخرج!». .

والإشبهاء في هذا القول هو في عدم التفريق بين أن يكون يزيد قد دس الرجال لإخراج الإمام عليه السلام، وبين أن يكون يزيد قد دس الرجال لاغتيال الإمام عليه السلام أو لإلقاء القبض عليه في مكة فاضطرَّ الإمام عليه السلام إلى الخروج، والتأريخ يؤكد أن يزيد كان قد أراد اختطاف الإمام عليه السلام أو اغتياله في مكة فاضطرَّ الإمام عليه السلام إلى الخروج، «١» لا كما توهم الدكتور عبدالمنعم ماجد، ثم إن بني هاشم في تقريرهم يزيد على ما فعله بالإمام عليه السلام أكدوا على أن يزيد دس الرجال لاغتيال الإمام عليه السلام لا لإخراجه، هذا ابن عباس (رض) مثلاً يقول في رسالته منه إلى يزيد: «وما أنس من الأشياء فليست بناس إطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسك إليه الرجال تغتاله، فاشخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقب، وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعز أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحل بها قتالاً، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحل حرمة البيت وحرمة رسول الله، فأكبر من ذلك ما لم تكبر حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم...».

«٢»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٢

رسائل أموية إلى ابن زياد! ص : ٤٢

في كيان الحزب الأموي هناك تياران مختلفان في صدد نوع الموقف الذي يجب أن يتخذه الأمويون في مواجهة الإمام الحسين عليه السلام، التيار الأول يتزعمه معاوية بن أبي سفيان، ويرى هذا التيار أن المواجهة العنيفة مع الإمام الحسين عليه السلام ليست في صالح الحكم الأموي، فلابد من تحاشي مثل هذه المواجهة معه عليه السلام، ويرى هذا التيار أن المتاركة بين الإمام عليه السلام وبين بني أمية هي أفضل ما يوافق مصلحة الحكم الأموي، حتى يأتي على الإمام عليه السلام ريب المنون فيخلو لبني أمية وجه الساحة السياسية بعد موت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ويرى هذا التيار أنه إذا كان لابد من مواجهة مع الإمام عليه السلام فينبغي أن تكون مواجهة سرية غير مكشوفة، يتم التخلص فيها من وجود الإمام عليه السلام بنفس الطريقة التي تم التخلص فيها من أخيه الإمام الحسن عليه السلام أو بما يماثلها، حتى لا يستفز الرأي العام في الأمة - بموته عليه السلام - ضد الحكم الأموي.

ويتبنى هذا الرأي دهاء الأمويين وحلماؤهم وذوو النظر البعيد منهم، ومن هؤلاء مثلاً الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. «١»

أما التيار الآخر فيتزعمه يزيد بن معاوية، وينضم إليه جميع قصيرو النظر والتفكير وأهل الحمق والخرق من بني أمية، أمثال مروان بن الحكم، «٢» وعمرو بن سعيد الأشدق.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٣

ويرى هذا التيار أنه لابد من المبادرة إلى التخلص من الإمام الحسين عليه السلام إذا ما أعلن عن رفضه البيعة وعن قيامه ضد الحكم الأموي، سواء من خلال مواجهة سرية أو علنية!

وكان معاوية يعلم بوجود هذا التيار الآخر داخل الحزب الأموي، ويعرف أشخاصه، وقد حذر الإمام عليه السلام من بطش هذا التيار وهدده به في رسالته التي بعث بها إلى الإمام عليه السلام على أثر حادثة استيلاء الإمام عليه السلام على حمولة القافلة القادمة إلى معاوية من اليمن، فقد ورد في هذه الرسالة قوله: «.. ولكنى قد ظننت يا ابن أخي أن في رأسك نزوة! وبودى أن يكون ذلك في زمانى فأعرف لك قدرك! وأتجاوز عن ذلك! ولكنى والله أتخوف أن تبثلى بمن لا ينظرك فوق ناقه!». «١»

فلما مات معاوية وسيطر التيار الأرعن على دفة الحكم الأموي، وبعد أن أصرَّ الإمام عليه السلام على رفض البيعة ليزيد، وخرج إلى

العراق فعلاً- ولم يتمكن الأمويون من خطفه أو اغتياله في المدينة أو في مكة- اضطرب الأمويون عامة ودهاتهم خاصة اضطراباً شديداً خوفاً من نتائج المواجهة العلنية مع الإمام عليه السلام، ومن مصاديق هذا الاضطراب الرسالة التي بعثها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى عبيدالله بن زياد، والتي كان نصّها: «بسم الله الرحمن الرحيم. من الوليد بن عتبة إلى عبيدالله بن زياد: أما بعد، فإنّ الحسين بن عليّ قد توجه نحو العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فاحذر يا ابن زياد أن تبعث إليه رسولاً فتفتح على نفسك ما لا تختار من الخاص والعام. والسلام». (٢)

هذه الرسالة كاشفة تماماً عن طريقة التفكير التي يتبناها التيار الأول داخل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٤

الحزب الأموي (طريقة تفكير معاوية)، فالوليد لا يذكر ابن زياد بجلالة منزلة الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ليخوفه من عذاب الله في الآخرة، بل يحذّره ويخوفه من انقلاب الرأي العام والخاص ضدّ الحكم الأموي!! ولا شيء عن عذاب الآخرة!!

وجدير بالذكر أنّ التيار الأموي الآخر لا يعبأ بطريقة تفكير تيار معاوية والوليد بن عتبة! ولذا ورد في ذيل خبر هذه الرسالة: «قال: فلم يلتفت عبيدالله بن زياد إلى الكتاب». (١)

وروى ابن عساكر أن مروان كتب إلى عبيدالله بن زياد: «أما بعد: فإنّ الحسين بن عليّ قد توجه إليك، وهو الحسين بن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالله ما أحدٌ يسلمه الله أحبّ إلينا من الحسين! فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسدّه شيء، ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره، والسلام». (٢)

وقال الشيخ محمد باقر المحمودي في حاشية الصفحة التي فيها هذا الخبر:

«وكلّ من أُلّم بشيء من سيره مروان يعلم يقيناً أنّ هذا الكلام والكتاب لا يلائم نفسيات مروان ونزعاته وما كان يجيش في قلبه من بغض أهل البيت، وتمنيّه استئصالهم واجتثاثهم عن وجه الأرض، فإن كان لهذا الكتاب أصل وواقعيّة فالمظنون أنّه للوليد بن عتبة بن أبي سفيان، كما نقله عنه الخوارزمي في أول الفصل ١١ من مقتله: ج ٢: ص ٢٢١، ونقله أيضاً ابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح». (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٥

وكذلك روى ابن كثير في تأريخه (١) أنّ هذه الرسالة من مروان إلى ابن زياد، وقال الشيخ المحقق باقر شريف القرشي معلّقاً على ذلك: «واشتهبه ابن كثير فزعم أنّ مروان كتب لابن زياد ينصحه بعدم التعرّض للحسين، ويحذّره من معبّة الأمر، ورسالته التي بعثها إليه تضارع رسالة الوليد السابقة مع بعض الزيادات عليها... إنّ من المقطوع به أنّ هذه الرسالة ليست من مروان فإنّه لم يفكر بأيّ خير يعود للأمة، ولم يفعل في حياته أيّ مصلحة للمسلمين، يُضاف إلى ذلك مواقفه العدائية للعترة الطاهرة وبالأخص للإمام الحسين، فهو الذي أشار على حاكم المدينة بقتله، وحينما بلغه مقتل الإمام أظهر الفرح والسرور! فكيف يوصى ابن زياد برعايته والحفاظ عليه!؟».

(٢)

نعم، إنّ مروان بن الحكم وهو من أعلام التيار الأموي الأرعن الذين تتلظى قلوبهم حقناً على أهل البيت وبغضاً لهم، لا يمكن أن تصدر عنه مثل هذه الرسالة- وإن كانت هذه الرسالة لا تفيض إلّا بالخوف من هياج الرأي العام ضدّ الأمويين!- ذلك لأنّ أفراد التيار الأموي الأرعن تشابهت قلوبهم وتمائلت أفعالهم فيما كتبوا به من تهديد لابن زياد: في أنّه إن لم يقتل الإمام عليه السلام يُعيد إلى أصله الحقيقي عبداً لبني ثقيف! فهذا عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق وهو من طغاة بني أميّة الرعناء يكتب الى ابن زياد- بعد خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة- قائلاً: «أما بعد: فقد توجه إليك الحسين، وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسترقّ كما تسترقّ العبيد!»،

وكأنّه يستلّ ذات المعاني من قلب سيده يزيد بن معاوية الذي كتب إلى ابن زياد

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٦
 قائلاً: «قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم، وقد بُلى به بلدك من بين البلدان، وأتأملك من بين الأيام، فإن قتلته وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، «١» فاحذر أن يفوتك!». «٢»
 معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٧

الفصل الثاني: حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام ص: ٤٧

إشارة

الفصل الثاني: حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام

في البدء: ص: ٤٩

ينبغي التذكير بأن عمدة المتون التاريخية التي ذكرت يوم خروج وقيام مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة هي:
 (١) - «وكان خروج مسلم بن عقيل رحمه الله عليه بالكوفة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجة سنة ستين، وقتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه، يوم عرفة». «١»
 (٢) - «وكان مخرج ابن عقيل بالكوفة لثمان ليالٍ مضين من ذي الحجة سنة ستين، وقيل لتسع مضين منه». «٢»
 (٣) - «وكان قتل مسلم لثمانٍ مضين من ذي الحجة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم، وقيل يوم رحيله». «٣»
 (٤) - «ويقال يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ٦٠ من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم». «٤»
 (٥) - «وكان قتل مسلم بن عقيل يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي الحجة سنة
 معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٠
 ستين، وهي السنة التي مات فيها معاوية، وخرج الحسين بن علي عليه السلام من مكة في ذلك اليوم». «١»

مناقشة هذه المتون: ص: ٥٠

إشارة

إنَّ المشهور وهو الصحيح «٢» أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج من مكة إلى العراق يوم الثلاثاء، يوم الثامن من ذي الحجة سنة ستين، وعليه فإنَّ القول الخامس الأخير وهو قول الدينوري في «الأخبار الطوال» لا يعتدُّ به، ولا يستقيم إلَّا إذا كانت ثمان بدلاً من ثلاث، أي أنَّ ثلاثاً وقعت تصحيفاً لثمانٍ، وهو أمرٌ ممكن الوقوع.
 أمَّا القول الرابع: «ويقال يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم». فهو فضلاً عن غموض دلالته، شاذٌّ في نفسه على ظاهره، «٣» ولا يستقيم معناه إلَّا إذا كانت (في) بدلاً من (من)، و (لتسع) بدلاً من (لسبع)، فيكون على النحو التالي: ويقال يوم الأربعاء لتسع معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥١
 مضين سنة ستين في يوم عرفة، بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم.
 ومثل هذا التصحيف ممكن وكثير الوقوع ..
 أمَّا القول الثالث فيؤاخذ على مبناه بأنَّ خروج الإمام عليه السلام كان يوم السابع من ذي الحجة، وهو خلاف المشهور الصحيح.

فلا يبقى من هذه الأقوال بعد هذا إلّا ما لا يُعارض المشهور الصحيح وهو أنّ خروج الإمام عليه السلام من مكة إلى العراق كان في يوم التروية يوم الثامن من ذي الحجة سنة ستين للهجرة. وعلى هذا يكون خروج مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة يوم الثلاثاء يوم التروية، يوم الثامن من ذي الحجة سنة ستين، ويكون يوم مقتله يوم الأربعاء لتسع مضيّن منه، أي يوم عرفه، وهو الأقوى. أو كان خروجه يوم التاسع من ذي الحجة بتلك السنة، «١» فيكون مقتله عليه السلام في اليوم العاشر منه، أي يوم عيد الأضحى، وهو الأضعف. «٢»

إشارة: ص : ٥١

بقي أن نشير هنا إلى مسألة مهمّة أخرى في هذا الصدد، وهي أن الطبري قد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٢

روى نصّاً صريحاً مفاده أن أهم وقائع حركة أحداث الكوفة أيام تواجد مسلم بن عقيل عليه السلام فيها: من تفكير السلطة الأموية المركزية في الشام بعزل النعمان بن بشير عن ولاية الكوفة، وتعيين عبيد الله بن زياد بدلاً منه، ثم ما جرى بعد ذلك إلى يوم مقتل مسلم عليه السلام، كلّ تلك الأحداث كانت قد وقعت بعد خروج الإمام عليه السلام من مكة، أي وهو في الطريق إلى العراق، يقول الطبري في قصّة استشارة يزيد سرجون النصراني فيمن يستعمل على الكوفة بدلاً من النعمان:

«دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية، فقال: ما رأيك؟ فإنّ حسيناً قد توجه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعفٌ وقولٌ سيء - وأقرأه كتبهم - فما ترى؟ من أستعمل على الكوفة؟...» «١»

وهذا النصّ بعبارة «فإنّ حسيناً قد توجه نحو الكوفة» شاذٌ إذ لم ترد هذه العبارة في أيّ مصدرٍ تاريخي آخر تعرّض لقصّة هذه الإستشارة بين يزيد وسرجون، «٢» هذا فضلاً عن كون رواية الطبري هذه مرسلّة عن عوانة بن الحكم الذي كان عثمانياً الهوى، وكان يضع الأخبار لبنى أمية كما يقرّر ذلك العسقلاني في لسان الميزان، «٣» وفضلاً عن أن الطبري نفسه قد روى قصّة هذه الإستشارة أيضاً بسند عن عمّار الدهني عن أبي جعفر، وليس فيها هذه العبارة أو ما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٣

بمفادها، «١» بل روى ما يعارض هذه العبارة كمثّل قوله «كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليالٍ مضيّن من ذي الحجة سنة ستين ..» «٢» أي في نفس اليوم الذي خرج فيه الإمام عليه السلام من مكة، ومعنى هذا أن جُلّ وقايع أيام مسلم عليه السلام في الكوفة قد وقعت والإمام عليه السلام في مكة، ومنها واقعة عزل النعمان عن الكوفة وتنصيب ابن زياد على العراق.

إذن لا يمكن التعويل على عبارة رواية الطبري الشاذّة، المعارضة للمشهور الثابت وهو: أن عزل النعمان عن ولاية الكوفة وتعيين ابن زياد مكانه كان قد تمّ والإمام الحسين عليه السلام لم يزل في مكة لم يرحل عنها.

وهناك أيضاً نصٌّ لابن عبد البرّ في كتابه العقد الفريد ربّما أوهم البعض كذلك أن عزل النعمان عن ولاية الكوفة وتعيين ابن زياد بدلاً منه كان قد حصل والإمام عليه السلام في الطريق إلى العراق، يقول ابن عبد البرّ: «فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وهو واليه على العراق أنه قد بلغني أنّ حسيناً سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك بين الأزمان، وبلدك بين البلدان، وابتليت من بين العمّال، وعنده تُعْتَق أو تعود عبداً». «٣»

ومنشأ هذا الوهم من تصوّر أنّ هذا الكتاب هو الكتاب الأول الذي كتبه يزيد إلى ابن زياد، أي كتابه الذي أمره فيه بالتوجه سريعاً من البصرة إلى الكوفة، والأمر ليس كذلك، إذ إنّ هذا الأخير هو كتاب آخر غير الأول، بدليل عبارة «وهو واليه على العراق»، أي كان يومذاك والياً على الكوفة والبصرة معاً قبل هذا الكتاب، لأنّ

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٤

الولاية على العراق لا تطلق على الولاية على البصرة فقط، وقد روى اليعقوبي أيضاً نفس نصّ نفس هذا الكتاب بعبارة واضحة كاشفة بصورة أفضل عن أنّ هذا الكتاب غير الكتاب الأول، يقول اليعقوبي: «وأقبل الحسين من مكة يريد العراق، وكان يزيد قد ولي عبيدالله بن زياد العراق، وكتب إليه: قد بلغني أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجّهاً نحوهم، وقد بلى به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإنّ قتلته وإلّا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك!»، «١» وواضح من هذا النصّ أنّ ابن زياد كان قد صار والياً على الكوفة والبصرة معاً قبل خروج الإمام عليه السلام من مكة، وأنّ يزيد كتب إلى ابن زياد هذا الكتاب بعدما ولّاه الكوفة أيضاً، لا أنّ هذا الكتاب كان كتاب التولية، فتأمل!.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٥

استعراض أهم وقائع أيام الإعداد للتورة «١» ص : ٥٥

إشارة

خرج مسلم بن عقيل عليه السلام «٢» من مكة المكرمة سفيراً للإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة في منتصف شهر رمضان سنة ستين للهجرة، ودخل الكوفة في اليوم الخامس من شهر شوال من نفس السنة، «٣» وكان الإمام عليه السلام قد سرح معه قيس بن مسهر الصيداوي (رض)، وعمار بن عبيد الله السلولي (ره)، وعبدالله

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٦

وعبدالرحمن ابنا شداد الأرحبي (رض). «١» وقيل: بعث معه أيضاً عبدالله بن يقطر (رض). «٢»

وقد أوصى الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام أن ينزل عند أوثق أهل الكوفة قائلاً: «إذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها»، «٣» وقد روى أنّه نزل عند مسلم بن عوسجة (رض)، «٤» كما روى أنه نزل عند هاني بن عروة (رض) ابتداءً، «٥» لكنّ الأشهر هو أنّ مسلماً عليه السلام نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي (ره) ابتداءً ثمّ تحوّل منها بعد ذلك إلى دار هاني (رض). «٦»

وكان الإمام الحسين عليه السلام قد جعل مبادرته وإسراعه في القدوم على أهل الكوفة منوطاً بما إذا كتب إليه مسلم عليه السلام بأنّ حقيقة حالهم على مثل ما قدمت به رسالهم وكتبهم، إذ كتب عليه السلام في رسالته الأولى إليهم: «... فإنّ كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملاكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم فإنّي اقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله...». «٧»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٧

وفي رواية أخرى أنّ الإمام عليه السلام كتب إليهم في تلك الرسالة قائلاً: «فإنّ كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمي وبايعوه ولا تخذلوه...». «١»

ويستفاد من هذا النصّ أنّ مهمّة مسلم عليه السلام في الكوفة لم تكن منحصرة في إطار إعداد وتعبئة أهل الكوفة حتّى يأتي إليهم الإمام عليه السلام فيقوموا معه ضد الحكم الأمويّ، وكتابة التقارير المتواليّة إلى الإمام عليه السلام بحال أهل الكوفة والتحوّلات الجارية آنذاك، بل كان من صلاحية مسلم عليه السلام - في ظرف استثنائي - أن يبادر هو إلى القيام بأهل الكوفة ضدّ السلطة الأمويّة هناك ما رأى ذلك مناسباً حتّى قبل مجيء الإمام عليه السلام، وهذا ما حصل بالفعل حينما أضطرّ مسلم عليه السلام - نتيجة الظروف الإستثنائية الطارئة بعد اعتقال هاني بن عروة (رض) - إلى أن يبادر إلى القيام يومذاك بمن معه.

البشرى بدرجة الشهادة! ص : ٥٧

وكان الإمام عليه السلام قد أشعر مسلماً عليه السلام بأن ختام أمره في هذا الطريق هو الفوز بدرجته الشهادة، إذ روى أنه عليه السلام قال له وهو يودّعه في مكة: «إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضى الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض بركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي فعجل عليّ بالخبر حتى أعمل على حساب ذلك إن شاء الله تعالى»، ثم عانقه الحسين عليه السلام وودّعه وبكى جميعاً. (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٨

كتمان الأمر ص : ٥٨

وكان الإمام عليه السلام قد أوصى مسلماً عليه السلام أيضاً: «بالتقوى، وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك...» (١)

ولعل الإمام عليه السلام قد عني ب «كتمان الأمر» الذي أوصى مسلماً عليه السلام به هو كتمان أمر سفارته مادام في الطريق حتى يصل إلى الكوفة ..، والأسلوب السري في تعبئة أهل الكوفة للنهضة، وكتمان أمر مكانه وزمان تحركاته، ومواقع مخازن أسلحته، وأشخاص قياداته ومعتمديه، وكلمة السر في وثبته، وغيره ذلك مما يكون من مصاديق كتمان الأمر.

وامتثالاً لهذه الوصية كان مسلم عليه السلام قد اعتمد الستر والرفق في تعبئة أهل الكوفة حتى يستكمل العدد والعدة الكافيين لتأهيل الكوفة للقيام معه أو مع الإمام عليه السلام- إذا جاء الكوفة- بوجه السلطة الأموية.

يقول القاضي نعمان: «وكان مسلم بن عقيل رحمه الله عليه قد بايع له جماعة من أهل الكوفة في استتارهم!»،

ويقول الدينوري: «ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة من أهل الكوفة حتى بايعه ثمانية عشر ألف رجل في ستر ورفق!». (٣)

ويقول الفتال النيسابوري: «وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيل رضى الله عنه حتى علم بمكانه، فبلغ ذلك نعمان بن بشير وكان والياً على الكوفة...» (٤)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٩

اجتماع الشيعة الأول مع مسلم عليه السلام ص : ٥٩

يقول الطبري: «ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبيكون...» (١)

وفي هذا الاجتماع الأول برزت ظاهرة ثابتة من ظواهر المجتمع الكوفي، وهي ظاهرة وجود القلة من المؤمنين الصادقين المتحررين من أسر «الشلل النفسي» ومرض «الإزدواجية» و «حب الدنيا وكرهية الموت»، فعلى كثرة من حضر هذا الاجتماع ممن هو محسوب على التشيع لم يقم إلا ثلاثة (هم من أعظم شهداء الطفّ (رض)، أظهروا لمسلم عليه السلام استعدادهم التام لامتنال أمره والتضحية في هذا السبيل!

يوصل الطبري روايته قائلاً: «... فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإنّي لا أخبرك عن الناس! ولا أعلم ما في أنفسهم! وما أغرّك منهم! والله أحدثك عمّا أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتكم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله! فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال: رحمك الله، قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك! ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه! ثم قال الحنفى مثل ذلك!». (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٠

وفي هذا الاجتماع كانت هناك أيضاً ظاهرة أخرى، تواجدت في هذا الاجتماع متخفية على استحياء، وإن كانت هي أكبر وأوضح ظواهر المجتمع الكوفي، وهي ظاهرة وجود الكثرة الكاثرة التي تحب الحق وتكره أن تموت من أجله! ظاهرة «الوهن» و«الشلل النفسي»، التي أدت بالنتيجة إلى أن استحوز الشيطان على جُلّ أولئك القوم، فقتلوا ابن بنت نبيهم عليه السلام! يقول الحجاج بن عليّ - الذي يروي عن محمد بن بشر الهمداني، شاهد العيان الذي روى قصة هذا الاجتماع -: «فقلت لمحمد بن بشر: هل كان منك أنت قول؟ فقال: إني كنت لأحب أن يُعزَّ الله أصحابي بالظفر، وما كنت أحب أن أُقتل! وكرهت أن أكذب!». «١»

توالى اجتماعات الشيعة مع مسلم عليه السلام ص : ٦٠

وقد تتابعت اجتماعات جماهير الشيعة في الكوفة مع مسلم عليه السلام، وكان يقرأ عليهم كتاب الإمام عليه السلام إليهم، فيكون ويقولون: «والله لنضربنَّ بين يديه بسيفنا حتى نموت جميعاً!». «٢»

رسالة مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام ص : ٦٠

وأخذ عدد الذين يبايعون مسلماً عليه السلام من أهل الكوفة يتزايد يوماً بعد يوم، فلما بلغ هذا العدد ثمانية عشر ألفاً «٣» كتب مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام بذلك، وبعث

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦١

الكتاب مع قيس بن مسهر الصيدأوى، وأصحابه عابس بن أبي شبيب الشاكري وشوذباً مولاه، وكان نصّ الرسالة: «أما بعد، فإنَّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي هذا، فإنَّ الناس كلهم معك! ليس لهم في آل معاوية رأي ولاهوى، والسلام». «١»

النعمان بن بشير وال ضعيف أم يتضعف؟! ص : ٦١

إشارة

ومع تزايد عدد المبايعين لمسلم عليه السلام والتفاف الناس حوله، كان لابدّ للأمر أن يفشو بين الناس في الكوفة، ويصير موضوع مسلم عليه السلام وقضية انتظار الناس لمجيء الإمام عليه السلام حديث الساعة يومذاك في المساجد والبيوت والأسواق والطرقات، فلما تعاضم الأمر واخترق حجب الستر، علم النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي «٢» والى الكوفة آنذاك بالتحوّلات الجديدة وأحسّ بالخطر الداهم ..

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فاتقوا الله عباد الله،

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٢

ولاتسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنَّ فيهما يهلك الرجال وتُسفك الدماء وتُغصبُ الأموال - وكان حليماً ناسكاً يحب العافية - قال: إني لم اقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يشب عليّ، ولا أشتاكم، ولا أنحز بشكم، ولا آخذ بالقرف ولا الظنّة ولا التهمة، ولكنكم إن أديتم صفحتكم لي ونكتكم بيعتكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممّن يُرديه الباطل». «١»

فلما أتم خطبته اعترض عليه أحد حلفاء بنى أميّه وعملائهم، وهو عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي، فقال: «إنه لا يصلح ما ترى إلّا الغشم! إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأى المستضعفين!!

فقال: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله. ثم نزل.». (٢)

ومنذ ذلك اليوم توالى التقارير المرفوعة من قبل الأمويين وعملائهم وجواسيسهم في الكوفة (٣) إلى يزيد في الشام تخبره بمستجدات حركة الأحداث في الكوفة، وبموقف النعمان بن بشير منها، وقد أجمعت هذ التقارير المرفوعة إلى يزيد تقول: «فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً، يُنفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو (١)»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٣

يتضعّف!.. (١)

إشارة: ص: ٦٣

لم يكن النعمان بن بشير محبباً لأهل البيت عليه السلام ولا ذاميلٍ إليهم، (٢) لقد كان له ولأبيه تاريخ أسود طويل في نصره حركة النفاق بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله، تماماً وكان النعمان عثمانى الهوى، يجاهر ببغض عليّ عليه السلام، ويسىء القول فيه، وقد حاربه يوم الجمل وصفين، وكان يتبني سياسة معاوية في قيادة حركة النفاق تبتياً تاماً، «وكان من معالم هذه السياسة أن معاوية كان يتحاشى المواجهة العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام، وأن معاوية لو اضطرّ إلى مواجهته علنيةً أي إلى قتال ضدّ الإمام الحسين عليه السلام وظفر بالإمام عليه السلام لعفا عنه، وليس ذلك حباً للإمام عليه السلام وإنما لأنّ معاوية - وهو من دهاء السياسة النكراء والشيطنة - يعلم أنّ إراقه دم الإمام عليه السلام علناً وهو بتلك القدسيّة البالغة في قلوب الأمية كفيل بأن يفصل الأموية عن الإسلام، ويذهب بجهود حركة النفاق عامة والحزب الأموي خاصة أدراج الرياح، خصوصاً الجهود التي بذلها معاوية في مزج الأموية بالإسلام في عقل الأمة وعاطفتها مزجاً لم يعد أكثر هذه الأمية بعدها يعرف إلّا (الإسلام الأموي)، حتى صار من غير الممكن بعد ذلك الفصل بين الإسلام والأموية إلّا إذا أريق ذلك الدم

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٤

المقدس - دم الإمام عليه السلام - على مذبح القيام ضدّ الحكم الأموي.». (١)

من هنا كان أسلوب النعمان بن بشير في معالجته لمستجدات الأمور في الكوفة - بعد ورود مسلم عليه السلام - يتسم باللين والتسامح، لأنه كان يرى - إيماناً بنظرة معاوية - أنّ المواجهة العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام ليست في صالح الحكم الأموي. فلم يكن النعمان ضعيفاً، أو «حليماً ناسكاً يحبّ العافية» كما صورته رواية الطبري، (٢) أو «يحبّ العافية ويغتنم السلامة» كما صورته رواية الدينوري، (٣) بل كان يتضعّف مكرراً وحيلة، معوّلاً على الأسلوب السريّ والخدعة الخفية للقضاء على الثورة والتخلص من مسلم بن عقيل عليه السلام، بل التخلص حتى من الإمام عليه السلام، فهو - أي النعمان بن بشير - شيطان يحذو حذو معاوية كبيرهم الذي علمهم الشيطنة في رسم الخطط الماكرة.

لكنّ تسارع حركة الأحداث في الكوفة يومذاك، والتحوّلات الكبيرة في ظاهر حياتها السياسية، أفزعا الأمويين وعملاءهم وجواسيسهم من تجاوب الرأي العام في الكوفة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، ورأوا أنّ زمام الأمور سيكون بيد الثوّار تماماً إن لم تبادر السلطة الأموية المحليّة في الكوفة إلى اتخاذ التدابير اللازمة الكفيلة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٥

بإعادة الوضع الكوفي إلى سابق استقراره النسبي، ورأوا أنّ سياسة اللين والتسامح التي كان يمارسها «بتضعّفه» النعمان بن بشير سوف

تؤدي إلى سقوط الكوفة فعلاً بيد مسلم بن عقيل عليه السلام، وكان رأيهم أن لا خلاص من هذا المأزق إلا بعزل النعمان ومجيء وال جديد ظلم غشوم، وبهذا بادروا إلى كتابة تقاريرهم السرية بهذا النظر ورفعوها إلى يزيد في الشام.

عبيد الله بن زياد والى الكوفة الجديد ص : ٦٥

فلما تابعت الكتب (التقارير) التي بعثها من الكوفة الى يزيد أمويون وعملاء وجواسيس بنى أمية، واجتمعت عنده، استدعى يزيد مستشاره ومستشار أبيه من قبل سرجون بن منصور النصراني - وهو من أعلام رجال فصيل منافق أهل الكتاب العاملين في ظل فصائل حركة النفاق الأخرى، الذي كانوا مقرّبين من الحكام ومستشارين وندماء لهم - وسأله عن رأيه في من يكون الوالي على الكوفة بدلاً من النعمان، فأشار عليه سرجون باستعمال عبيد الله بن زياد «١» قائلاً بأنّ هذا هو رأى معاوية أيضاً، وأخرج له كتاباً كان معاوية قد كتبه بذلك قبل موته، «٢» فأخذ يزيد بهذا الرأي وضم المصريين (الكوفة والبصرة) الى عبيد الله بن زياد.

ودعا يزيد مسلم بن عمرو الباهلي، «٣» فبعثه الى عبيد الله بن زياد في البصرة بعهدة الجديد إليه (اي ضم الكوفة الى البصرة) تحت ولايته، وكتب إليه معه: «أما بعد، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٦

الجموع لشق عصا المسلمين، فسرح حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرز حتى تثقفه، فتوثقه، أو تقتله، أو تنفيه، والسلام». «١»

وفي رواية أخرى أن يزيد كتب فيما كتب الى عبيد الله بن زياد قائلاً: «وقد ابتلى زمانك بالحسين من بين الأزمان، وابتلى بلدك دون البلدان ... فاطلب مسلم بن عقيل طلب الخرز، فإذا ظفرت به فخذ بيعته أو اقتله إن لم يبايع، واعلم أنه لا عذر لك عندي دون ما أمرتك ...». «٢»

وفي رواية أخرى: «... فيأني لا- أجد سهماً أرمي به عدوى أجراً منك، فإذا قرأت كتابي هذا فارتحل من وقتك وساعتك، وإياك والإبطاء والتواني، واجتهد، ولا تبق من نسل علي بن أبي طالب أحداً!! واطلب مسلم بن عقيل وابعث إليّ برأسه». «٣»

القادم المنتكر في الظلام! ص : ٦٦

وما إن تسلّم عبيد الله بن زياد رسالته التي حملها إليه الباهلي حتى أمر بالجهاز من وقته والمسير والتهيؤ إلى الكوفة من الغد، «٤» فلم يبق في البصرة بعدها إلا يوماً واحداً قتل فيه سليمان بن رزين (رض) رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أشرف البصرة ورؤساء أحماسها، وألقى فيه خطاباً هدّد فيه أهل البصرة وحذّرهم من الخلاف والإرجاف وتوعّدهم على ذلك.

«ثم خرج عبيد الله من البصرة، ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٧

الأعور الحارثي، «١» وحشمه وأهل بيته، وكان شريك شيعياً، وقيل: كان معه خمسمائة، فتساقطوا عنه، فكان أول من سقط في الناس شريك، ورجوا أن يقف عليهم ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فلم يقف على أحد منهم ...» «٢».

فلما أشرف عليها نزل حتى أمسى ليلاً، فظن أهلها أنه الحسين، «٣» وكان معتماً بعمامة سوداء وهو مثلث، «والناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام إليهم فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين رأوا عبيد الله أنه الحسين عليه السلام، فأخذ لايمر على جماعة من الناس إلا سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشرهم بالحسين ما ساءه ...». «٤»

ولما صار في داخل المدينة في جنح الظلام توهم الناس أنه الإمام عليه السلام، «فقال امرأة: أالله أكبر! ابن رسول الله ورب الكعبة!

فتصايح الناس، قالوا: إنا معك أكثر من أربعين ألفاً. وازدحموا عليه حتى أخذوا بذنَبِ دابته، وظنَّهم أنه الحسين ..». «٥»
«وسار حتى وافى القصر بالليل، ومعه جماعة قد التفوا به لايشكون أنه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان بن بشير الباب عليه وعلى خاصته، فناده بعض من

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٨

كان معه ليفتح لهم الباب، فأطلع عليه النعمان وهو يظنه الحسين عليه السلام، فقال:
أنشدك الله إلا تنحيت، والله ما أنا بمسلم إليك أمانتي، ومالي في قتالك من أرب!
فجعل لا يكلمه، ثم إنه دنى وتدلى النعمان من شرف القصر، فجعل يكلمه، فقال: إفتح لافتحت! فقد طال ليلك!
وسمعا إنسان خلفه فنكص إلى القوم الذين اتبعوه من أهل الكوفة على أنه الحسين عليه السلام، فقال: يا قوم! ابن مرجانة والذي لا إله غيره!

ففتح له النعمان فدخل، وضربوا الباب في وجوه الناس وانفضوا!..» «١»

وفي رواية المسعودي: «.. حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم أشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله، مالي ولك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟

فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم. «٢» وحسر اللثام عن فيه، فعرفه ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانة!

وحصبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر!..»

مما مرّ- من هذه المتون التاريخية التي روت لنا كيف دخل ابن مرجانة الكوفة- تتضح لنا تماماً درجة الضعف المذهل التي كان عليها ممثلوا السلطة الأموية في الكوفة آنذاك، فالنعمان بن بشير يلبد في القصر ويخشى الخروج منه لمقابلة القادم المتكبر في الظلام الذي ظنَّ أنه الحسين عليه السلام، وعبيدالله بن زياد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٩

وهو بين مجموعة من أهل الكوفة يخشى حتى من إظهار صوته مخافه أن يُعرف، ويحصبه الناس بالحجارة بعد أن عرفوه فلا يقوى على شيء سوى الهروب الى داخل القصر! ومعنى هذا أن الكوفة يومذاك كانت تعيش بالفعل حالة (الإنقلاب) في رفضها النظام الأموي، وانتظارها لوصول القيادة الشرعية القادمة إليها من مكة المكرمة.

الإجراءات الإرهابية الغاشمة! ص : ٦٩

وما إن دخل ابن مرجانة القصر وهدأت أنفاسه المضطربة من شدة الخوف والتعب، وأطلع على حقيقة مجريات حركة الأحداث في الكوفة، حتى بدأت قرارات الغشم الإرهابية، وقد مهّد لقراراته وإجراءاته الظالمة بخطاب إرهابي توعد أهل الكوفة فيه بالسوط، والسيف، ورغبهم بالإنقياد إليه بادعائه أن يزيد أمره بإنصاف المظلوم وإعطاء المحروم وبالإحسان إلى السامع المطيع! قال ابن زياد:
«أما بعد، فإن أمير المؤمنين أصلحه الله ولما نى مصركم وثرغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفد فيكم عهده، فأنا لمحسنتكم ومطيعكم كالوالد البز! وسوطي وسيفي على من ترك أمرى وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه! الصدق يُنبئ عنك لا الوعيد!..» «١»

ثم أتبع خطابه بإجراء قمعي رهيب «فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال:

اكتبوا إلى الغرباء، ومن فيكم من طلبه «٢» أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية، «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧٠

وأهل الريب الذين رأبهم الخلاف والشقاق! فمن كتبهم لنا فبرىء، ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم

مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وجد في عرافته من بغيه أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء، وشير إلى موضع بعمان الزارة. «١». «٢»

لقد كان لهذا القرار الجائر أكبر الأثر على مجرى حركة الأحداث في الكوفة، إذ كان العرفاء الواسطة بين السلطة والناس آنذاك، فهم المسؤولون عن أمور القبائل، يوزعون عليهم العطاء، ويقومون بتنظيم السجلات العامة، التي فيها أسماء الرجال والنساء والأطفال، ويسجل فيها من يولد ليفرض له العطاء، ويحذف منها الميت ليحذف عطاؤه، وكانوا أيضاً مسؤولين عن شؤون الأمن والنظام، وكانوا أيام الحرب يقومون بأمر تعبئة الناس لها، ويخبرون السلطة بأسماء المتخلفين عنها، وتعاقب السلطة العرفاء أشد العقوبة إذا أهملوا واجباتهم أو قصروا فيها، ولقد كان للعرفاء بعد هذا القرار دور كبير في تخذيل الناس عن الثورة، وإشاعة الخوف والرهبنة بينهم، كما كان لهم بعد ذلك دور كبير في زج الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام.

تغيير مقر قيادة الثورة! ص : ٧٠

قال الشيخ المفيد (ره): «ولما سمع مسلم بن عقيل مجيء عبيدالله إلى الكوفة ومقاتله التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هانيء بن عروة فدخلها، فأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانيء على مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٧١

تستّر واستخفاء من عبيدالله، وتواصوا بالكتمان ..». «١»

ولعل سبب هذا التحول عن دار المختار إلى دار هانيء هو ما يمكن أن يسببه بقاء مسلم في دار المختار من خطر قد يتعرض له مسلم عليه السلام نفسه والمختار (ره) أيضاً من قبل جلاوزة ابن زياد، خصوصاً وأن المختار (ره) ليس له من القوة القبلية في الكوفة ما يجعله في منعة من اعتداء ابن زياد عليه، بعكس ما عليه هانيء بن عروة المرادى (رض) من العزة والقوة القبلية في الكوفة، فقد كان فيما يقول المؤرخون: إذا ركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا أجابتها أحلافها من كنده وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، «٢» ثم إن الحيلة والحذر - بعد التغيرات الجديدة - أوجبا على مسلم عليه السلام أن ينتقل إلى مقر آخر منيع وخفي بعد أن علمت السلطة الأموية المحليّة في الكوفة بمقرّه الأول حسب الظاهر.

خطة اغتيال ابن زياد في بيت هانيء! ص : ٧١

إشارة

قال ابن الأثير: «ومرض هانيء بن عروة ..، فأتاه عبيدالله يعوده، فقال له عمارة بن عبد السلولي: إنّما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، وقد أمكنك الله فاقتله.

فقال هانيء: ما أحبُّ أن يُقتل في داري!

وجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج.

فما مكث إلّا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور، وكان قد نزل على هانيء وكان كريماً على ابن زياد وغيره من الأمراء، وكان شديد التشيع، وقد شهد، «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٧٢

صفيين مع عمّار، فأرسل إليه عبيدالله: إني رائح إليك العشيّة. فقال لمسلم: إنّ هذا الفاجر عائدي العشيّة، فإذا جلس أخرج إليه فاقتله،

ثم اقعده في القصر، ليس أحدٌ يحول بينك وبينه، فإن برئت من وجعي سرتُ الى البصرة حتى أكفيك أمرها.

فلما كان من العشي أتاه عبيدالله، فقام مسلم ليدخل، فقال ل شريك:

لا يفوتتك إذا جلس! فقال هانيء بن عروة: لا أحب أن يُقتل في داري!

فجاء عبيدالله فجلس وسأل شريكاً عن مرضه فأطال، فلما رأى شريكاً أن مسلماً لا يخرج خشى أن يفوته، فأخذ يقول:

ما تنظرون بسلمي لأتحيوها، اسقونيها وإن كانت بها نفسي! «١»

فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال عبيدالله: ما شأنه، ترونه يخلط؟! فقال له هانيء: نعم، ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه!

فانصرف، وقيل: إن شريكاً لما قال: اسقونيها، وخلط كلامه، فطن به مهران «٢» فغمز عبيدالله فوثب، فقال له شريك: أيها الأمير، إنني

أريد أن أوصي إليك! فقال:

أعود إليك.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧٣

فقال له مهران: إنه أراد قتلك! فقال: وكيف مع إكرامي له؟! وفي بيت هانيء، ويد أبي عنده! «١» فقال له مهران: هو ماقلت لك.

فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل، فقال له شريك: ما منعك من قتله!

قال: خصلتان، أمياً إحداهما فكراهية هانيء أن يُقتل في منزله، وأمأ الأخرى فحديث حدثه علي عن النبي صلى الله عليه وآله أن

الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن بمؤمن!

فقال له هانيء: لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً!

ولبت شريك بعد ذلك ثلاثاً ثم مات، «٢» فصلي عليه عبيدالله!.. «٣»

تأمل وملاحظات: ص : ٧٣

١- هذا النص الذي أورده ابن الأثير يفيد أن خطبة اغتيال عبيدالله كانت من وضع شريك وعلى كراهية من هانيء، لكن مصادر

أخرى ذكرت أن هانئاً هو الذي كان مريضاً، وهو صاحب خطبة اغتيال عبيدالله بن زياد، قال يعقوبى: «وقدم عبيدالله بن زياد الكوفة،

وبها مسلم بن عقيل قد نزل على هانيء بن عروة، وهانيء شديد العلة، وكان صديقاً لابن زياد، فلما قدم ابن زياد الكوفة أخبر بعلة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧٤

هانيء، فأتاه ليعوده، فقال هانيء لمسلم بن عقيل وأصحابه وهم جماعة: إذا جلس ابن زياد عندي وتمكن، فإني سأقول اسقوني،

فاخرجوا فاقتلوه... «١»

ويُرجح أن خطبة اغتيال عبيدالله بن زياد كانت من وضع شريك الحارثي لأنه كان من قبل في الطريق من البصرة الى الكوفة قد بادر

إلى التساقط هو وجماعته ممن معه ليقف عليهم ابن زياد فيتأخر عن الوصول إلى الكوفة ويسبقه الإمام عليه السلام إليها، كما أن

شريكاً كان يحرض هانئاً على مساعدة مسلم عليه السلام والقيام بأمره، وقد روى الدينوري: أن شريكاً قال لمسلم عليه السلام: «إنما

غايته وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنك الله منه، هو صائرٌ إليّ ليعودني، فقم فادخل الخزانة، حتى إذا اطمان عندي،

فاخرج إليه فقاتله، ثم صر إلى قصر الإمارة، فاجلس فيه فإنه لا ينازعك فيه أحدٌ من الناس، وإن رزقني الله العافية صرتُ الى البصرة

فكفيتك أمرها وباع لك أهلها. فقال هانيء بن عروة: ما أحب أن يُقتل في داري ابن زياد! فقال له شريك: ولم؟ فوالله إن قتله

لقربان إلى الله!.. «٢»

٢- كانت كراهية هانيء لقتل ابن زياد في بيته لاتختص بابن زياد، بل هي كراهية قتل أى رجل في بيته، «٣» وذلك تمسكاً بالأعراف

والعادات العربية التي لا تبيح قتل الضيف والقاصد إليها في بيوتها لما في ذلك من سبب ومعاينة تبقى على الألسن مدى الأيام، وهذا لا يعني أنّ هانئاً (رض) كان لا يتمنى قتل ابن زياد، فقد قال لمسلم عليه السلام على ما في رواية الطبري: «أما والله، لو قتلت لقتلت فاسقاً فاجراً»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧٥

كافراً غادراً، ولكن كرهت أن يُقتل في داري!». «١»

٣- أساءت بعض المصادر التاريخية إلى شخصيته مسلم بن عقيل عليه السلام، إساءة منكرة إذ نسبت إليه الجبن والفشل حيث لم يقدم على قتل ابن زياد، فقد قال الدينوري في أخباره الطوال: «ثم قام عبيدالله وخرج، فخرج مسلم بن عقيل من الخزانة، فقال شريك: ما الذي منعك منه إلا الجبن والفشل؟!»، «٢» ومع اعتراف ابن قتيبة وهو دينوري آخر بأن مسلماً عليه السلام كان من أشجع الناس إلا أنه ادعى أن كبوة قد أخذت مسلماً عليه السلام حين لم يقدم على قتل ابن زياد، يقول هذا الدينوري:

«فخرج عبيدالله، ولم يصنع الآخر شيئاً، وكان من أشجع الناس ولكنه أخذته كبوة ..». «٣»

وهذا غير صحيح، فلم يعرف مسلم عليه السلام الجبن، ولم تأخذه كبوة، وقد ذكرت مصادر تاريخية أن كراهية هانئ لقتل ابن زياد بل لقتل أي رجل في بيته، كانت واحداً من الأسباب التي منعت مسلماً عليه السلام من تنفيذ خطة شريك، «٤» كما ذكرت بعض مصادرنا المعتمدة أن امرأة في بيت هانئ كانت قد تعلقت بمسلم عليه السلام وتوسّلت إليه وهي تبكي ألا يقتل ابن زياد في دارهم، قال ابن نما (ره): «فخرج مسلم والسيوف في كفه، وقال له شريك: يا هذا، ما منعك من الأمر؟! قال مسلم: لما هممت بالخروج فتعلقت بي امرأة قالت: ناشدتك الله إن قتلت ابن زياد في دارنا! وبكت في وجهي! فرميت السيوف وجلست».

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧٦

قال هانئ: يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها، والذي فررت منه وقعت فيه!». «١»

وهناك سبب آخر وهو أن مسلماً عليه السلام ذكر أن السبب الذي منعه من قتل ابن زياد- إضافة إلى كراهية هانئ (رض) لذلك- هو حديث سمعه عن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن»، «٢» والفتك لغة هو: «أن يأتي الرجل صاحبه وهو غاراً غافلٌ حتى يشدّ عليه فيقتله، وإن لم يكن أعطاه أماناً قبل ذلك». «٣»

وقد علّق هبة الله الشهرستاني (ره) على تعليل مسلم عليه السلام إحجامه عن قتل ابن زياد بهذا الحديث قائلاً: «كلمة كبيرة المغزى، بعيدة المدى، فإن آل عليّ من قوّة تمسكهم بالحقّ والصدق نبذوا الغدر والمكر حتى لدى الضرورة، واختاروا النصر الآجل بقوّة الحقّ على النصر العاجل بالخدعة، ششنته فيهم معروفة عن أسلافهم، وموروثه في أخلاقهم، كأنهم مخلوقون لإقامته حكم العدل والفضيلة في قلوب العرفاء الأصفياء، وقد حفظ التاريخ لهم الكراسي في القلوب». «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧٧

ومن الملفت للانتباه أنّ هناك إضافة مريبة في نقل ابن الأثير لمتن هذا الحديث، وهي «فلا يفتك مؤمن»، وكان ابن الأثير أراد أن يطبق الإيمان على عبيدالله بن زياد، وأن مسلماً عليه السلام إنّما امتنع عن قتله لأنه مؤمن!!

ابن زياد يستبق الأحداث فيقتل وجوه الشيعة ص : ٧٧

ومن جملة مبادرات ابن زياد للسيطرة على زمام الأمور والقضاء على حركة مسلم بن عقيل عليه السلام، إسراعه في تقصّي رجال الشيعة في الكوفة وإلقاء القبض عليهم وقتلهم، وكان ضحية هذه المبادرة الإرهابية القمعية عدد كبير من رجال الشيعة ممن كان يُعوّل عليهم في مهمات الأمور.

حبس ميثم التمار (رض) وقتله ص : ٧٧

كان ميثم التمار (رض) «١» قد عاد من العمرة «٢» الى الكوفة «فأخذه عبيدالله بن معال مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٧٨

زياد، فأدخل عليه، فقبل له: هذا كان من آثر الناس عند علي!

قال: ويحكم، هذا الأعجمي؟!

قبل له: نعم.

قال له عبيدالله: أين ربك؟

قال: بالمرصاد لكل ظالم، وأنت أحد الظلمة.

قال: إنك على عجمتك لتبلغ الذي تريد! ما أخبرك صاحبك أني فاعل بك؟!

قال: أخبرني أنك تصلبيني عاشر عشرة، «١» أنا أقصرهم خشبة وأقربهم إلى المطهرة!

قال: لنخالفنه!

قال: كيف تخالفه؟! فوالله ما أخبرني إلا عن النبي، عن جبرئيل، عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء؟! ولقد عرفت الموضع الذي اصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أول خلق الله أُلجم في الإسلام!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٧٩

فحبسه، وحبس معه المختار بن أبي عبيد. «١»

قال له ميثم: إنك تفلت، وتخرج تائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يقتلنا!

فلما دعا عبيدالله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيدالله يأمره بتخليه سبيله فخلاه، «٢» فأمر ميثم أن يُصلب فأخرج، فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا؟!

فتبسّم وقال- وهو يومئذ إلى النخلة- لها خلقتُ ولي غُذيتُ! فلما رُفِع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حُرَيْث، قال عمرو: كان والله يقول: إنني مجاورك!

فلما صُلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشه وتجميره.

فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، فقبل لابن زياد: قد فضحككم هذا العبد!

فقال: إجموه! فكان أول خلق الله أُلجم في الإسلام.

وكان قتل ميثم رحمه الله قبل قدوم الحسين عليه السلام إلى العراق بعشرة أيام، فلما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٨٠

كان في اليوم الثالث من صلبه طعن بالحربة فكبر! ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً.. «١»

وروى أنه اجتمع سبعة من التمارين فاتعدوا بدفن ميثم، فجاؤا إليه ليلاً والحرس يحرسونه وقد أوقدوا النار، فحالت النار بينهم وبين الحرس فاحتملوه بخشبته حتى انتهوا به إلى فيض من ماء في مراد، فدفنوه فيه ورموا الخشبة في مراد في الخراب، فلما أصبحوا بعث الخيل فلم تجد شيئاً. «٢»

وروى عن ميثم قال: دعاني أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعى بنى أمية [ابن دعيها] عبيدالله بن زياد إلى البراءة مني؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، والله لا أبرأ منك!

قال: إذن والله يقتلك ويصلبك.

قلت: أصبر، فذاك في الله قليل.

فقال: يا ميثم، إذن تكون معي في درجتي. «٣»

قتل رشيد الهجري (رض) ص : ٨٠

وممن قُتل من رجال الشيعة وأعلامها في تلك الأيام رشيد الهجري (رض) «٤»، فقد روى الكشي بسندٍ عن أبي حيان البجلي، عن قنوا بنت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٨٤

رشيد الهجري (رض): قال أبو حيان: «قلتُ لها: أخبريني ما سمعت من أبيك.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٨٥

قالت: سمعتُ أبي يقول: أخبرني أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فقال: يا رشيد، كيف صبرك إذا أرسل إليك دعوى بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك؟

قلت: يا أمير المؤمنين، آخر ذلك إلى الجنة؟

فقال: يا رشيد، أنت معي في الدنيا والآخرة!

قالت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه عبيد الله بن زياد الدعوى، فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، فأبى أن يبرأ منه! فقال له الدعوى: فبأي مئة قال لك تموت؟!

فقال له: أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أبرأ منه، فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني! فقال: والله لأكذبن قوله فيك.

قالت: فقدّموه فقطعوا يديه ورجليه وتركوا لسانه، فحملتُ أطراف يديه ورجليه، فقلت: يا أبت، هل تجد الماء لما أصابك؟! «١»

فقال: لا يا بنية إلا كالزحام بين الناس!

فلما احتملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله.

فقال: إئتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى قيام الساعة! فأرسل إليه

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٨٦

الحجّام حتى يقطع لسانه، فمات رحمه الله عليه في ليلته. «١»

وروى الكشي أيضاً بسند عن فضيل بن الزبير قال: «خرج أمير المؤمنين عليه السلام يوماً إلى بستان البرني، ومعه أصحابه، فجلس تحت نخلة، ثم أمر بنخله فلقطت فأنزل منها رطب فوضع بين أيديهم، قالوا: فقال رشيد الهجري: يا أمير المؤمنين، ما أطيب هذا الرطب!

فقال: يا رشيد، أما إنك تُصلب على جذعها!

فقال رشيد فكنتُ أختلف إليها طرفي النهار أسقيها!

ومضى أمير المؤمنين عليه السلام، قال فجئتها يوماً وقد قطع سعفها، قلتُ اقترب أجلى، ثم جئت يوماً فجاء العريف فقال: أجب الأمير. فأتيته، فلمّا دخلت القصر فإذا الخشب مُلقى، ثم جئت يوماً آخر فإذا النصف الآخر قد جعل زرنوقاً «٢» يُستقى عليه الماء، فقلت ما

كذبني خليلي! فأتاني العريف فقال: أجب الأمير. فأتيته، فلمّا دخلت القصر إذا الخشب مُلقى، فإذا فيه الزرنوق! فجئت حتى ضربت الزرنوق برجلي ثم قلتُ: لك غديتٌ ولي أنبت! ثم أدخلت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٨٧

على عبيد الله بن زياد.

فقال: هات من كذب صاحبك!

فقلت: والله ما أنا بكذاب ولا هو، ولقد أخبرني أنك تقطع يدي ورجلي ولساني.

قال: إذا والله نكذبه، إقطعوا يده ورجله، وأخرجوه!

فلما حُمِلَ إلى أهله أقبل يحدث الناس بالعظام، وهو يقول: أيها الناس، سلوني فإنّ للقوم عندي طلبه لم يقضوها. فدخل رجل على

ابن زياد فقال له: ما صنعت؟ قطعت يده ورجله وهو يحدث الناس بالعظام!

قال: ردّوه. وقد انتهى إلى بابه، فردّوه فأمر بقطع يديه ورجليه ولسانه، وأمر بصلبه. «١»

إضطهاد مجاميع من رجال المعارضة وحبسهم ص : ٨٧

قال المامقاني (ره): «إنّ ابن زياد لَمّا أُطْلِعَ على مكاتبه أهل الكوفة الحسين عليه السلام حبس أربعة آلاف وخمسمائة رجل من التّوابين من أصحاب أمير المؤمنين وأبطاله الذين جاهدوا معه، منهم سليمان بن صُيرد وإبراهيم بن مالك الأَشتر و... فيهم أبطال وشجعان». «٢»

ونقل القرشي أنّ عدد الذين اعتقلهم ابن زياد في الكوفة اثنا عشر ألفاً، «٣» وأنّ من بين أولئك المعتقلين سليمان بن صُرد الخزاعي، والمختار بن أبي عبيد الثقفي

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٨٨

واربعمائة من الوجوه والأعيان. «١»

و «حبس جماعة من الوجوه استيحاشاً منهم، وفيهم الأصبغ بن نباتة، والحارث الأعور الهمداني». «٢»

وذكر الطبري أنّ ابن زياد: «أمر أن يُطلب المختار وعبد الله بن الحارث وجعل فيهما جعلاً، فأُتِيَ بهما فُحْبَسَا». «٣»

قتل عبدالله بن يقطر (رض) «٤» ص : ٨٨

إشارة

إنّ المشهور عند أهل السير «٥» هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام سرح عبدالله بن يقطر (رض) إلى مسلم بن عقيل عليه السلام بعد خروجه من مكة في جواب كتاب مسلم إلى الإمام عليهما السلام الذي أخبره فيه باجتماع الناس وسأله فيه القدوم إلى الكوفة، فقبض عليه الحصين بن نمير «٦» (أو بن تميم) «٧» بالقادسية، لكنّ هناك روايتين

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٨٩

تفيدان أنه (رض) كان رسولاً من مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام، وقبض عليه مالك بن يربوع التميمي أحد مأموري الحصين بن نمير خارج الكوفة.

وتفصيل القصة ص : ٨٩

- على أساس رواية كتاب تسليّة المجالس - هكذا: أنه بينما كان عبيد الله بن زياد يتكلّم مع أصحابه في شأن عيادة هانيء: «١» إذ

دخل عليه رجل من أصحابه يُقال له مالك بن يربوع التميمي، فقال: أصلح الله الأمير، إني كنت خارج الكوفة أجول على فرسى، إذ نظرتُ إلى رجل خرج من الكوفة مسرعاً إلى البادية، فأنكرته، ثم إني لحقته، وسألته عن حاله فذكر أنه من أهل المدينة! ثم نزلت عن فرسى ففتشته فأصبت معه هذا الكتاب. فأخذ ابن زياد ففضّه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلى الحسين بن علي: أمّا بعد: إني أخبرك أنه بايعك من أهل الكوفة نيفاً على عشرين ألف رجل، فإذا أتاك كتابي فالعجل العجل، فإنّ الناس كلّهم معك، وليس لهم في يزيد هوى ...

فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذي أصبت معه الكتاب؟

قال: هو بالباب.

فقال: إئتوني به.

فلما وقف بين يديه، قال: ما اسمك؟

قال: عبدالله بن يقطين. «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٠

قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟

قال: دفعته إليّ امرأة لا أعرفها!

فضحك ابن زياد وقال: اختر أحد إثنين، إمّا أن تخبرني من دفع إليك الكتاب أو القتل!

فقال: أمّا الكتاب فإني لا أخبرك، وأمّا القتل فإني لا أكرهه لأنّي لا أعلم قتيلاً عند الله أعظم أجراً ممّن يقتله مثلك!

قال: فأمر به فضربت عنقه «١». «٢»

وقال المحقق الشيخ محمد السماوي (ره): «وقال ابن قتيبة وابن مسكويه: إنّ الذي أرسله الحسين قيس بن مسهر ... وإنّ عبدالله بن

يقطر بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم، فلما أن رأى مسلم الخذلان قبل أن يتمّ عليه ماتمّ بعث عبدالله إلى الحسين

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩١

يخبره بالأمر الذي انتهى، فقبض عليه الحصين وصار ما صار عليه من الأمر الذي ذكرناه». «١»

وهذا يؤيد أنّ عبدالله بن يقطر (رض) كان رسولاً من مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام، ولكنّه يخالف ما في رواية المناقب

ورواية تسليّة المجالس في أنه (رض) كان قد حمل إلى الإمام عليه السلام خبر الخذلان لآخر البشرى بالعدد الكبير من المبايعين!

والظاهر أنّ عبدالله بن يقطر (رض) - على المشهور - قُتل بنفس الطريقة التي قُتل بها قيس بن مسهر الصيداوي (رض)، حيث ألقى كلّ

منهما من فوق القصر، لكنّ الأول قُتل قبل الثاني رضوان الله تعالى عليهما، بدليل أنّ خبر مقتل ابن يقطر (رض) ورد إلى الإمام عليه

السلام بزبالة في الطريق إلى العراق في نفس خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانيء (رض)، فنعاهم الإمام عليه السلام قائلاً: «أمّا بعد، فقد

أتانا خبرٌ فظيع، قُتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وعبدالله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا ...»، «٢»

وبذلك يكون عبدالله بن يقطر (رض) ثاني رسل النهضة الحسينية الذين استشهدوا أثناء أداء مهمّة الرسالة، بعد شهيد النهضة الحسينية

الأول سليمان بن رزين (رض) رسول الإمام عليه السلام إلى البصرة.

البحث لمعرفة مكان مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ٩١

كان الهَمُّ الأ-كبر لعبيدالله بن زياد منذ بدء وصوله الكوفة هو معرفة مكان مسلم بن عقيل عليه السلام، فهو طلبته الكبرى ومبتغاه الأساس تنفيذاً لرسالة يزيد التي طلب منه فيها أن يطلب مسلماً عليه السلام طلب الخرزة.

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٢

وكان مسلم عليه السلام نتيجة الإجراءات الإرهابية المتسارعة التي اتخذها ابن زياد وما أخذ به العرفاء والناس قد خرج من دار المختار حتى انتهى الى دار هانيء (رض) فاتخذها مقراً له، وأخذت الشيعة تختلف إليه فيها على تستر واستخفاء وتواصل بالكتمان.

قال الدينوري: «وخفي على عبيدالله بن زياد موضع مسلم بن عقيل، فقال لمولى له من أهل الشام يسمي معقلاً- وناوله ثلاثة آلاف درهم في كيس «١»- وقال:

خذ هذا المال وانطلق فالتمس مسلم بن عقيل، وتأت له بغاية التأتي!

فانطلق الرجل حتى دخل المسجد الأعظم، وجعل لا يدري كيف يتأتى الأمر، ثم إنه نظر إلى رجل يكثر الصلاة إلى سارية من سوارى المسجد، فقال في نفسه:

إن هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة! وأحسب هذا منهم! فجلس الرجل حتى إذا انفتل من صلاته قام، فدنا منه، وجلس فقال: جُعلت فداك، إني رجل من أهل الشام، مولى لذي الكلاع، وقد أنعم الله عليّ بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحب من أحبهم، ومعى هذه الثلاثة آلاف درهم، أحب إيصالها إلى رجل منهم، بلغنى أنه قدم هذا المصر داعيةً للحسين بن عليّ عليه السلام، فهل تدلني عليه لأوصل هذا المال إليه، ليستعين به على بعض أموره ويضعه حيث أحب من شيعته؟

قال له الرجل: وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيري ممن هو في المسجد!؟

قال: لأني رأيت عليك سيما الخير، فرجوت أن تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٣

قال له الرجل: ويحك، قد وقعت عليّ بعينك، أنا رجل من إخوانك وإسمى مسلم بن عوسجة، وقد سُرت بك، وساءنى ما كان من حسي قبلك، فإني رجل من شيعة أهل هذا البيت، خوفاً من هذا الطاغية ابن زياد، فأعطني ذمّة الله وعهده أن تكتم هذا عن جميع الناس.

فأعطاه من ذلك ما أراد!

فقال له مسلم بن عوسجة: إنصرف يومك هذا، فإن كان غد فائتني في منزلي حتى انطلق معك إلى صاحبنا- يعني مسلم بن عقيل- فأوصلك إليه.

فمضى الشامي، فبات ليلته، فلما أصبح غدا إلى مسلم بن عوسجة في منزله، فانطلق به حتى أدخله إلى مسلم بن عقيل، فأخبره بأمره، ودفع إليه الشامي ذلك المال، وبايعه!

فكان الشامي يغدو إلى مسلم بن عقيل، فلا يحجب عنه، فيكون نهاره كله عنده، فيتعرف جميع أخبارهم، فإذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيدالله ابن زياد فأخبره بجميع قصصهم، وما قالوا وفعّلوا في ذلك، وأعلمه نزول مسلم في دار هانيء بن عروة. «١»

إشارة: ص: ٩٣

قد يأسف المتتبع بادىء ذي بدء للسهولة التي تمت بها عملية اختراق حركة مسلم بن عقيل عليه السلام من داخلها على يد الجاسوس معقل مولى عبيدالله بن زياد،

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٤

من طريق مسلم بن عوسجة الأسدي (رض)، وهو علم من أعلام الشيعة في الكوفة، وأحد شهداء الطف، وهو الشريف السري في قومه، «١» والفارس الشجاع الذي له ذكر في المغازي والفتوح الإسلامية، وقد شهد له الأعداء بشجاعته وخبرته وبصيرته وإقدامه. «٢» وفي ظن المتتبع أن على مسلم بن عوسجة (رض) أن يحذر أكثر ويحتاط حتى يطمئن تماماً إلى حقيقة هويته معقل الجاسوس قبل أن يدلّه على مكان مسلم بن عقيل عليه السلام أو يستأذن له في الدخول عليه! ليخترق بذلك الحركة من داخلها! لكنّ ما وقع فعلاً هو أن ابن عوسجة (رض) لم يكن قد قصّر في حذره وحيطته، غير أن معقلاً كان فعلاً «مهاجراً في صناعته وخبيراً فيما اتّدد إليه» «٣» لاختراق حركة مسلم عليه السلام من داخلها.

أما سهولة تعرّفه على ابن عوسجة (رض) فلا تحتاج الى كثير جهد ومشقة إذا كان (رض) وجهاً شيعياً معروفاً في الكوفة، وقد كشف له معقل عن سرّ سهولة تعرّفه عليه حين قال له: «سمعت نفرأ يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، فأتيك لتقبض هذا المال وتدلني على صاحبك فأبايعه، وإن شئت أخذت البيعة مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٥

له قبل لقائه!»، «١» ولقد عبّر له ابن عوسجة (رض) عن استيائه لسرعة تعرّفه عليه بقوله: «.. ولقد سائنتي معرفتك إياي بهذا الأمر من قبل أن ينمي مخافة هذا الطاغية وسطوته ..». «٢»

ثم إن ابن عوسجة (رض) آخر معقلاً أياماً قبل أن يطلب الأذن له، وكان يجتمع معه في منزله هو تلك الأيام «إختلف إلى أياماً في منزلي فإني طالب لك الأذن على صاحبك ..»، «٣» ثم لم يدخله على مسلم بن عقيل عليه السلام حتى طلب له الأذن فأذن له، ولاشك أن أخذ الأذن يتم بعد شرح ظاهر الحال الذي تظاهر به معقل، ومن الدلائل على مهارة ابن زياد ومعقل في فنّ التجسس أن ابن زياد أوصى معقلاً أن يتظاهر بأنّه رجل من أهل الشام ومن أهل حمص بالذات، «٤» ذلك حتى لا يكون بإمكان مسلم بن عوسجة أن يسأل ويستفسر عن حقيقة حاله في قبائل الكوفة، كما أن أهل حمص آنذاك على ما يبدو قد عُرف عنهم حبهم لأهل البيت عليهم السلام، أو عُرف أن فيهم من يحب أهل البيت عليه السلام، فيكون ذلك مدعاةً لاطمئنان من يتخذ معقل منفذاً لاختراق حركة مسلم عليه السلام من داخلها، كما أن معقلاً قد ادّعى أمام ابن عوسجة (رض) أنه مولى لذي الكلاع الحميري هناك في الشام، والمعروف عن جلّ الموالي حبهم لأهل البيت عليهم السلام!

الخلاصة أن معقلاً كان قد أحكم خطته واتقن تمثيل دوره المرسوم وبرع في

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٦

ذلك، لكنّ في حضوره يوماً عند مسلم بن عقيل عليه السلام، ودخوله عليه في أول الناس، وخروجه عنه آخرهم، فيكون نهاره كلّه عنده، ما يدعو إلى الريّة والشك فيه، فلماذا لم يرتب ولم يشكّ فيه مسلم عليه السلام وأصحابه؟! إن في هذا ما يدعو إلى الإستغراب والحيرة فعلاً!

لكننا حيث لانملك معرفة تفاصيل جريان حركة أحداث تلك الأيام بشكلٍ كافٍ، وحيث لم يأتنا التاريخ إلّا بنزير قليل منها لاينفعنا إلّا في رسم صورة عامة عن مجرى حركة تلك الأحداث، وحيث نعلم أن مسلم بن عقيل عليه السلام ومسلم بن عوسجة (رض) وأصحابهما هم من أهل الخبرة الاجتماعية والسياسية والعسكرية، فلا يسعنا أن نتعرض باللوم عليهم أو أن نتهمهم بالسذاجة! بل علينا أن نتأدّب بين يدي تلك الشخصيات الإسلامية الفذة، وأن ننزّه ساحاتهم المقدّسة عن كلّ ما يليق بها، وأن نقف عند حدود معرفتنا التاريخية القاصرة لانتعّادها إلى استنتاجات واتهامات غير صائبة ولا لائقة، خصوصاً إذا تذكّرنا حقيقة أن عمليات الإختراق من الداخل من خلال دسّ الجواسيس المتظاهرين بغير حقيقتهم كانت أمراً مألوفاً منذ قديم الأيام ولم تزل حتى يومنا الحاضر وتبقى إلى ما شاء الله، وشدّد وندر أن يجد الإنسان حركةً سياسيةً تغييريةً تعمل لقلب الأوضاع سلمت من الإختراق من داخلها من قبل أعدائها، بل قد لا يجد الإنسان حركةً سياسيةً تغييريةً غير مخترقة، وهذا لا يعني أن قيادتها ساذجة ولا تتمتع بالحكمة!

اعتقال هانيء بن عروة (رض) ص : ٩٦

إشارة

كان هانيء بن عروة المرادي (رض) بظننته السياسية والاجتماعية يتوقع ما يحذره من عبيدالله بن زياد برغم التستر والخفاء الذي كانت تتم في ظلها اجتماعات مسلم عليه السلام مع مريديه وأتباعه في بيته، وبرغم التواصي بالكتمان، ذلك لأن هانئاً (رض) كان يعلم أنّ الهَمَّ الأكبر لابن زياد هو معرفة مكان ومقرّ

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٧

مسلم عليه السلام، فلا بدّ له من أن يتجسس ويحتال الحيلة لمعرفة ذلك، وكان هانيء (رض) يعرف مكر ابن زياد وغدره، فانقطع عن زيارة القصر خشية أن يمشى الى المحذور برجليه فيواجهه الخطر بمعزل عن قوّة قبيلته التي يحسب لها ألف حساب في مجتمع الكوفة، تقول الرواية التاريخية «وخاف هانيء بن عروة على نفسه، فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض.

فقال ابن زياد لجلسائه: مالي لا أرى هانئاً!؟

فقالوا: هو شاكٍ.

فقال: لو علمتُ بمرضه لعدتُه!!

ودعى محمّد بن الأشعث، «١» وأسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجاج الزبيدي- وكانت رويحة بنت عمرو تحت هانيء بن عروة، وهي أم يحيى بن هانيء-

فقال لهم: ما يمنع هانيء بن عروة من إتياننا؟

فقالوا: ما ندري، وقد قيل إنه يشتكي.

قال: قد بلغني أنه قد برىء، وهو يجلس على باب داره!، فلقوه ومروه ألا يدع ما عليه من حقنا، فإنّي لا أحبّ أن يفسد عندي مثله من أشرف العرب!

فأتوه حتّى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه.

وقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير!؟ فإنّه قد ذكرك وقال لو أعلم أنّه شاكٍ لعدتُه.

فقال لهم: الشكوى تمنعني!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٨

فقالوا له: قد بلغه أنّك تجلس كلّ عشية على باب دارك! وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا!

فدعى بشيابه فلبسها، ثمّ دعى ببغلة فركبها، حتّى إذا دنى من القصر كأنّ نفسه أحسّت ببعض الذي كان، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يا ابن الأخ، إنّي والله لهذا الرجل لخائف! فما ترى؟

فقال: يا عمّ، والله ما أتخوّف عليك شيئاً، ولم تجعل على نفسك سبيلاً.

ولم يكن حسان يعلم في أيّ شيء بعث إليه عبيدالله.

فجاء هانيء حتى دخل على عبيدالله بن زياد وعنده القوم، فلمّا طلع قال عبيدالله: أتتكم بخاين رجلاه! «١»

فلمّا دنى من ابن زياد، وعنده شريح القاضي، «٢» إلتفت نحوه فقال:

أريد حياتي ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقد كان أول ما قدم مكرماً له ملطفاً ...

فقال له هاني: وما ذاك أيها الأمير؟

قال: إيه يا هاني بن عروة، ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفي عليّ؟

قال: ما فعلت ذلك، وما مسلم عندي.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٩

قال: بلى، قد فعلت!

فلما كثر ذلك بينهما وأبى هاني إلّا مجاحدته ومناكرته، دعى ابن زياد معقلاً ذلك العين، فجاء حتى وقف بين يديه.

فقال: أتعرف هذا؟

قال: نعم!

وعلم هاني عند ذلك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأسقط في يده ساعة، ثم راجعته نفسه.

فقال: إسمع مني وصدق مقالتي، فوالله لا كذبت، والله ما دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيء من أمره حتى جاءني يسألني النزول فاستحييت من رده، ودخلني من ذلك ذمام فضيفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغك، فإن شئت أن أعطيك الآن موثقاً مغلظاً إلّا أبغيك سوءً ولا غائلة، ولا تينك حتى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره.

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به!

قال: لا والله، لأجيئك به أبداً، أجيئك بضيفي تقتله؟

قال: والله لتأتيني به.

قال: لا والله لا آتيك به.

«فلتياً كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي - وليس بالكوفة شامئ ولا بصري غيره - فقال: أصلح الله الأمير، خلني وإياه حتى أكلمه.

فقام فخلاً به ناحية من ابن زياد، وهما منه بحيث يراهما، فإذا رفعاً أصواتهما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٠

سمع ما يقولان.

فقال له مسلم: يا هاني، أنشدك الله أن تقتل نفسك، وأن تدخل البلاء في عشيرتك، فوالله إنني لأنفس بك عن القتل، إن هذا

الرجل ابن عم القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليهم فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان!

فقال هاني: والله إن عليّ في ذلك الخزي والعار أن أدفع جاري وضيفي وأنا حتى صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد كثير الأعوان،

والله لو لم أكن إلّا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه!

فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبداً!

فسمع ابن زياد ذلك، فقال: أدنوه مني.

فأدنوه منه، فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك.

فقال هاني: إذن لكثرة البارقة حول دارك!

فقال ابن زياد: والهفاه عليك، أبالبارقة تخوفني؟! - وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه - ثم قال: أدنوه مني!

فأدنى منه، فاعترض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخذّه حتى كسر أنفه وسالت الدماء على وجهه ولحيته، ونثر لحم جبينه وخذّه على لحيته حتى كسر القضيب!

وضرب هاني يده إلى قائم سيف شرطى، وجاذبه الرجل ومنعه! فقال عبيدالله: أحرورى! «١» ساير اليوم!؟ قد حلّ لنا دمك! جزوه.

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٠١

فجزوه، فألقوه فى بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه!

فقال: إجعلوا عليه حرساً. ففعل ذلك به. «١»

فقام إليه حسان بن أسماء فقال: أُرسلُ غدرٍ ساير اليوم!؟ أمرتنا أن نجيثك بالرجل حتى إذا جئناك به هشمت أنفه ووجهه وسيلت دماءه على لحيته، وزعمت أنك تقتله!؟

فقال له عبيدالله: وإنيك لها هنا!؟ «٢» فأمر به فلهز وتغتع وأجلس فى ناحية، فقال محمد بن الأشعث: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدّب!. «٣»

تأمل وملاحظات: ص : ١٠١

١- قد يتساءل المتأمل عجباً من أمر هانى بن عروة (رض) الذى كان يعرف مكر ابن زياد وغدره، وكانت خبرته السياسية والاجتماعية وتجارب العمر الطويل تفرض عليه أن يحتمل احتمالاً قوياً أن تكون حركة النهضة قد اخترقت من قبل جواسيس ابن زياد: كيف مضى برجله إلى مواجهة المحذور من إهانة أو حبس أو

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٠٢

قتل دون أن يأخذ الأهبة والإحتياط الكافيين لكل احتمالات لقائه بابن زياد، كأن يأخذ معه من رجال قبيلته (مدحج) مجموعة لا يقوى معها ابن زياد على إهانته أو حبسه أو قتله، أو يوقف عند باب القصر كتيبة من قبيلته تقتحم القصر إذا استبأته وقتاً محدداً بينه وبينها!؟

وهذا تساؤل فى محلّه تماماً! ومن البعيد جداً ألا يكون هانى (رض) قد فكّر بتلكم الإحتياطات لمواجهة محذورات لقائه بابن زياد فى القصر لو كان رسل ابن زياد إليه من الجلاوزة أو ممن يرتاب فيهم هانى (رض)، لكنّ الرسل الذين انتقاهم ابن زياد- على علم ومكر هم ممن لا يرتاب هانى (رض) فيهم أو فى بعضهم على الأقل، فمنهم عمرو بن الحجاج الزبيدى الذى كانت ابنته رويحة زوجة لهانى، وأسماء بن خارجة، أو ابنه حسان، «١» وهو زعيم قبيلة فزارة، «٢» ومحمد بن الأشعث زعيم قبيلة كنده، «٣» فهؤلاء من كبار وجهاء الكوفة وأشرافها، ومن البعيد جداً- فى ظنّ هانى (رض)- أن يكونوا رُسل غدر أو أهل خيانة!

والظاهر أنّ هذا هو الذى جعل هانئاً (رض) يستبعد الإحتمال السىء، فلم يعدّ العدة ولم يأخذ الأهبة والإحتياط لمحذورات هذا اللقاء، فانطلت حيلة ابن زياد عليه، وصدّق الرُّسل فى مانقلوه إليه من أنّ ابن زياد تفقّده لإنقطاعه عنه، وقال إنّه لم يعلم بمرضه ولو علم به لقام بزيارته! فاستظهر هانى (رض) أنّ ابن

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٠٣

زياد حتى تلك الساعة لم يكن له علم بمكان مسلم عليه السلام، فدعا بثيابه فلبسها، وبيغلة فركبها، ومضى معهم!

ومع استبعاد الإحتمال السىء واستظهار أنّ ابن زياد لم يكن حتى تلك اللحظة قد علم بمكان مسلم عليه السلام، لا يكون من الحكمة الإمتناع عن لقائه، أو أخذ الأهبة والعدة للمحذور منه، أو طلب الأمان شرطاً للقائه، لأنّ كلّ ذلك سيكشف عن المستور، ويؤكد التهمة، ويؤدّى إلى تعجيل ضار فى توقيت قيادة حركة النهضة لموعد قيامها ضد ابن زياد، ولعلّ كلّ هذه الأمور قد خطرت على بال

هاني بن عروة، فأثر المجازفة بنفسه دفعا لكل تلك الأضرار والمساوىء.

من هنا، يُستبعد ما أورده صاحب كتاب تجارب الأمم حيث قال: «ودعا عبيد الله هانيء بن عروة، فأبى أن يُجيبه إلّا بأمان! فقال: ماله وللأمان، هل أحدث حدثاً؟! فجاءه بنو عمّه ورؤساء العشائر فقالوا: لاتجعل على نفسك سبيلاً وأنت بريء. وأتى به...»، «١» أو ما رواه الطبري أن ابن زياد قال لأسماء بن خارجة ومحمّد بن الأشعث: «إتنيان بهانيء. فقالا: إنّه لا يأتي إلّا بأمان! قال: وماله وللأمان، وهل أحدث حدثاً؟! إنطلقا فإن لم يأت إلّا بأمان فآمناه!..». «٢»

٢- يبدو أن حيلة ابن زياد كانت قد انطلت حتى على بعض زُيَيلِهِ إلى هانيء بن عروة (رض)، إذ إن سياق القصة يكشف عن أن أسماء بن خارجة «٣» أو حسناً ابنه قد فوجيء بغدر ابن زياد بهم وبهانيء (رض)، فانتفض معترضاً بعدما رأى ما مع الרכب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٤

صنع بهانيء (رض) وقال لابن زياد: أُرسلُ غدر ساير اليوم؟! أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتى إذا جئناك به هشمت أنفه ووجهه وسيلت دمائه على لحيته، وزعمت أنك تقتله؟! فقال له ابن زياد: وإنك لها هنا؟! فلَهَزَ وتُتَعَّعَ وأجلس ناحية، وفي رواية الفتوح: «فصرب حتى وقع لجنبه.. فحبس في ناحية من القصر وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، إلى نفسي أنعاك يا هانيء!». «١»
أمّا محمد بن الأشعث فقد روى الطبري قائلاً «وزعموا أن أسماء لم يعلم في أي شيء بعث إليه عبيدالله، فأما محمد فقد علم به!..»، «٢» وسواء أكان عالماً بخطبة ابن زياد أم لم يكن يعلم، نراه- وقد أدركه عرق النفاق الضارب في أعماق عائلته- يقول متملقاً لابن زياد: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إننا الأمير مؤدّب!

أمّا عمرو بن الحجّاج الزبيدي- وهو أحد هؤلاء الرسل الذين جاؤا بهاني (رض) إلى ابن زياد- فقد غاب فجأة ولم يشهد ما جرى في هذا اللقاء، مع أن المفروض عرفاً وهو أحد الرسل الثلاثة أن يبقى كوسيط لإزالة السخيمة بين هاني (رض) وابن زياد، أو ليحامي عن هانيء (رض) إذا تجاوز ابن زياد حدّه واعتدى عليه- كما حصل فعلاً- خصوصاً وأنّ هاني بن عروة زوج ابنته!
إذن فغيابه المتعمّد فجأة عن مسرح الحدث يكشف عن علمه المسبق بخطبة ابن زياد للإيقاع بهانيء (رض)، وعن تواطئه معه لحبسه وقتله! ولقد أراد من وراء هذا الغياب الفاجيء المتعمّد أمرين: الأول هو أن يصرف عن نفسه حرج عدم دفاعه عن هانيء (رض) في حال حضوره، كما يدفع بذلك عن نفسه أيضاً شبهة

مع الרכب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٥

تواطئه مع ابن زياد لقتل هانيء (رض)، لقد كان عمرو بن الحجّاج الزبيدي حقاً رسول غدر! أمّا الأمر الثاني: فهو أن هذا الخائن أراد أن يستبق الوقت ليمتطي موجة غضب قبيلة مذحج التي كانت ستثور حتماً لما أصاب هانيء (رض)، فيقود جموعها الزاحفة بسيوفها نحو القصر لإنقاذه، وهناك ليفرّق هذه الجموع الغاضبة، ويصرفها عن القصر بخدعه مشتركة- كما سيأتي- بينه وبين شريح القاضي وابن زياد! إن هذا الدور الخياني نفسه دليل آخر قاطع على علم الزبيدي المسبق بخطبة ابن زياد.

٣- أظهرت هذه الرواية وكأنّ هانيء بن عروة (رض) إنّما امتنع عن تسليم مسلم عليه السلام لابن زياد لسبب أخلاقي عربي وإسلامي وهو حماية الضيف والذّب عن الجوار «والله إنّ عليّ في ذلك الخزي والعار أن أدفع جاري وضييفي وأنا حيّ صحيح، أسمع وأرى، شديد الساعد كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلّا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه!»، وفي هذا الموقف- وبهذا الحدّ الأخلاقي- شرف ومفخرة لهانيء (رض) وأيّ مفخرة!

لكنّ هناك نصوصاً تاريخية أخرى تؤكد أنّ الدافع الذي منع هانئاً (رض) من تسليم مسلم عليه السلام كان دافعاً أسمى وأعلى من الدافع الأخلاقي! وهو الدافع الايماني الطافح بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، فقد روى ابن نما (ره) أنّ هانيء بن عروة (رض) قال: «والله إنّ عليّ في ذلك العار أن أدفع ضيفي ورسول ابن رسول الله، وأنا صحيح الساعدين كثير الأعوان..»، «١» وفي رواية ابن أعثم: «بلى والله، عليّ في ذلك من أعظم العار أن يكون مسلم في جوارى وضييفي، وهو رسول ابن بنت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٦

رسول الله صلى الله عليه وآله... «١» وفي رواية المسعودي أن هانئاً (رض) قال لابن زياد: «إنّ لزياد أبيك عندي بلاءٌ حسناً،» (٢) وأنا أحبّ مكافأته به، فهل لك في خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟ قال: تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حقٌّ من هو أحقُّ من حقِّك وحقِّ صاحبك ..» (٣)

(٤) - من مجموع النصوص التاريخية التي روت لنا قصة هذا اللقاء بين هانيء (رض) وبين ابن زياد، أو جوانب من هذا اللقاء، يتضح جلياً أنّ هانيء بن عروة (رض) كان يتمتع - وهو في التسعين من العمر - برباطة جأش، وثقة بالنفس، وشجاعة ملفتة للإنتباه، كما كان في غاية الإطمئنان والثقة بأنّ مذحج لن تسلمه إذا تعرّض لمكروه، وأنّ الكوفة يومذاك بالفعل كانت ساقطة بيد المعارضة وماهى إلّا إشارة تصدر عن مسلم عليه السلام حتّى يتحقق ذلك الأمر فعلياً وعلناً، فقوله لابن زياد لما هدّده بالقتل: «إذن لكثير البارقة حول دارك!» كاشف عن ثقته بردّ الفعل المناسب الذي كان لابد سيصدر عن مذحج خاصة وعن قيادة الثورة عامة، ومدّه يده الشريفه إلى قائم سيف الشرطي ليقتل به ابن زياد كاشف عن شجاعته الفائقة، وقوله لابن زياد: «.. تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حقٌّ من هو أحقُّ من حقِّك وحقِّ صاحبك»، أو قوله: «أيها الأمير، قد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٧

كان الذي بلغك، ولن أضيع يدك عندي، فأنت آمن وأهلك! فسِرْ حيث شئت!» (١) كاشف عن ثقته التامة بأنّ الكوفة فعلاً بيد قيادة الثورة، وأنّ ابن زياد ليس إلّا أميراً رمزياً يومذاك! ولا يخفى على ذي دراية أنّ قوله لابن زياد: «.. فإن شئت أعطيك الآن موتقاً مغلظاً إلّا أبغيك سوءً ولا غائله، ولا تينك حتّى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتّى آتيك، وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره!» كان قولاً صادقاً وفيه من العمق السياسي الشيء الكثير، إذ لو خرج من القصر لأخرج مسلم بن عقيل عليه السلام من داره فعلياً ولكن إلى قيادة الثورة بالفعل، ولأعلنها حرباً على ابن زياد يؤلّب لها الآلاف الكثيرة من المبايعين من مذحج وكندة وبقية القبائل الأخرى، فليس بعد يومه ذاك ما يدعو إلى الصبر والإنتظار - بعد أن اخترق ابن زياد حركة المعارضة من داخلها وعلم بكلّ شيء! - وهذا لا ينافي أنّ هانئاً (رض) كان صادقاً بقوله لابن زياد: «ألّا أبغيك سوءً ولا غائله، ولا تينك حتّى أضع يدي في يدك!»، لأنّه قد يشفع لابن زياد - بعد انتصار الثورة بالفعل وسيطرتها على الكوفة وعلى القصر - ويأتيه كما وعدّه ويضع يده في يده ليسرّحه مع أهله إلى الشام، ولهانيء بن عروة (رض) من المنزلة الرفيعة عند مسلم عليه السلام وعند أهل الكوفة ما يستبعد عندها ردُّ شفاعته، أللهمّ إلّا إذا اعترض عليه بالدماء الزاقيات التي سفحها ابن زياد ظلماً وجوراً.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٨

الخدعة المشتركة! ص: ١٠٨

في قصة حبس هانيء بن عروة (رض) هناك دور خيائى لاريب فيه، تقمصه عمرو بن الحجاج الزبيدي المتفاني في امتثال أوامر أعداء أهل البيت عليهم السلام مع أنّ هانئاً (رض) كان صهراً له! ودور خيائى صريح آخر تقمصه شريح القاضي العمرى الأموى الميل والهوى، «١» بتنسيق وتخطيط من ابن زياد لعنه الله.

تقول الرواية التاريخية: «وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانئاً قد قُتل! فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثم نادى: أنا عمر بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ أصحابهم قُتل فأعظموا ذلك!

فقبل لعبيد الله بن زياد: هذه مذحج بالباب!

فقال لشريح القاضي: أدخل على أصحابهم فانظر إليه، ثم أخرج وأعلمهم أنّه حمى لم يُقتل!

فدخل شريح فنظر إليه، فقال هانى لَمَّا رأى شريحاً: «٢» يالله! يا للمسلمين!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٩

أهلكت عشيرتي؟! أين أهل الدين؟! أين أهل المصر؟! - والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر - فقال: إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتى من المسلمين، إنّه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني!

فلَمَّا سمع كلامه شريح خرج إليهم، فقال لهم: إن الأمير لَمَّا بلغه مكانكم ومقاتلكم فى صاحبكم أمرنى بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرنى أن ألقاكم وأعرّفكم أنّه حيّ، وأنّ الذى بلغكم من قتله باطل!

فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه: أمّا إذا لم يُقتل فالحمد لله! ثمّ انصرفوا!!.. «١»

وفى رواية الدينورى: «فقال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج: أما إذ كان صاحبكم حيّاً فما يعجلكم الفتنة؟! انصرفوا!! فانصرفوا». «٢»

لقد تجسّد دور شريح القاضى الخياني - وما أكثر أدواره الخيائية - فى ممارسته التورية فى عبارته الأخيرة: «فأمرنى أن ألقاكم وأعرّفكم أنّه حيّ، وأنّ الذى بلغكم من قتله باطل!» لأنه أتى بهذه العبارة بعد قوله لهم: «فأتيته فنظرت إليه»، فكأن الذى أمره هو هانى (رض) نفسه لا ابن زياد، ليشيع فى نفوسهم الطمأنينة، وليوحى لهم أنّ هائناً يقول: إنّ الذى أثاركم وألبكم خبراً باطلاً، ولا داعى لهذه الإثارة وهذه الفتنة!

وهنا يواصل عمرو بن الحجاج دوره الخياني الطويل، فلا يردّ على شريح

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٠

القاضى فيقول مثلاً: لمر سيدنا هائناً ولنكلمه أو لنخرجنه من القصر عنوة! أو ما يشبه هذا القول، أو لا يكتفى بقول شريح فيدخل القصر - وهو من المقرّبين لابن زياد - ليرى بنفسه هائناً وحقيقه ما جرى عليه داخل القصر!!

بل نراه يؤكد صحه مقاله شريح ويخاطب جموع مذحج النائرة قائلاً: «صدق، ليس على صاحبكم بأس فتفرّقوا!!». «١»، «أمّا إذا كان صاحبكم حيّاً فما يعجلكم الفتنة؟! انصرفوا» فتصرف هذه الجموع فاشله وقد ذهبت ريحها، وأكثرهم يحبّ العافية لتفشى (الوهن: حب الدنيا وكرهية الموت) فى قلوبهم، ولو انبعث فى تلك اللحظات الحاسمة رجال من مذحج فأنكروا على الزبيدي الخائن «٢» رأيه وموقفه، وحزّوا جموع مذحج على اقتحام القصر وإطلاق سراح هانى (رض) ثمّ واصلوا تطهير الكوفة من كلّ رجس أموى، لكان قد كُتب لمذحج دور ريادى فى تغيير مجرى تاريخ حياة المسلمين، يُذكر فيشكر إلى قيام الساعة، لكنهم آثروا طاعة ابن الحجاج الزبيدي حرصاً على احترام عرف قبليّ - وحبّاً للعافية! - وإن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١١

كان ذلك خلافاً لما هو أحقّ وأهمّ! فكتب لهم دور فى الخذلان والخيبة، ماتلاه التاريخ على مسامع الأجيال إلّا وبعث فى العقول والقلوب استنكاراً وريبة ونفوراً!!

قيام مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ١١١

إشارة

إنّ أصعب مقاطع النهضة الحسينية المباركة من ناحية التحليل التاريخي هو مقطع حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام بعامه وحركة أحداث قيامه وانكساره السريع بخاصه، ففي هذا المقطع من كثرة الحلقات المفقودة، ومن تشابك العوامل وتداخلها وتنوعها، ومن اضطراب النقل التاريخي لبعض مهمّ من وقائع هذا المقطع، ومن خفاء علل بعض مهمّ آخر، ما يجعل المتتبع المتأمل فى حركة هذه الأحداث فى حيرة غامرة.

وكثيرون ممن كتبوا في أحداث هذا المقطع - والأقدمون منهم خاصة- مرّوا به مروراً مرتباً كما ارتبكت رواياته التاريخية، فجاء ما نقلوه أقرب إلى السطحية منه إلى التعمق، خالياً من الربط المطلوب بين حلقات أحداثه، فاقداً لما ينبغي أن يكون فيه من التحليل والتعليل.

والمحقّقون الذين بذلوا جهداً كبيراً في تحليل وقائع هذا المقطع وفي الربط بينها، وإن جاؤا بتحليلات وتفسيرات جديدة وصحيحة غير قليلة- شكر الله سعيهم- إلّا أنهم وجدوا أنفسهم مضطّرين إلى إعتقاد بعض الافتراضات التي لاتسندها رواية أو حتى إشارة تاريخية، وما ذلك إلّا لكثرة الثغرات التاريخية في هذا المقطع، التي ألجأت المتتبع المحقّق إلى مثل هذه الافتراضات التي ربّما كانت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٢

صحيحة وفي محلّها تماماً. «١»

ونحن هنا، لاندعى أنا سنقدّم التفسير والتحليل الجامع المانع لجريان حركة أحداث هذا المقطع، بل نقول: إننا في هذه السطور سنحاول ردم بعض الثغرات، وسنسلط الضوء الكافي على قضايا مهمّة لم تنل من قبل من الإهتمام والإيضاح ما يكفي لإبراز دورها الكبير في ما وصلت إليه أحداث الكوفة من نتائج مؤسفة، ويظهر أهميتها الكبرى في تفسير جريان تلك الأحداث. وفي البدء يكون من اللازم أن نقدّم الإجابة عن هذا السؤال:

المبادرة التي كان ينبغي أن تتحقّق! ص : ١١٢

في حسابات التحوّك نحو الأهداف المنشودة هناك مبادرات ضرورية ينبغي القيام بها والسبق إليها لضمان نجاح الحركة السياسية الاجتماعية التغييرية في الوصول الى أهدافها، بل ولضمان صدق المنتمين إلى هذه الحركة فيما بايعوا قائدهم وعاهدوه عليه، بل ولاختبار قدرتهم بالفعل على تنفيذ الأوامر الملقاة من قبل القيادة إليهم، وصبرهم الميداني على تحمّل تبعات تلك الأوامر المفترضة الإطاعة.

وإدراك ضرورة القيام بمثل هذه المبادرات ليس من مختصات العقول المتفوّقة في الوعي والذكاء، بل إن إدراك هذه الضرورة في تناول العقل العادي، هذا عمرو بن لوزان يخاطب الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنّة القتال، ووطأوا لك الأشياء، فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً،

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٣

فأما على هذه الحال التي تذكر فإنّي لا أرى لك أن تفعل!». «١»

وهذا عمر بن عبد الرحمن المخزومي يقول للإمام عليه السلام أيضاً: «إنّك تأتي بلدًا فيه عمّاله وأمرأوه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره! ومن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه!». «٢»

ويقول له ابن عباس (رض): «فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم، ثمّ اقدم عليهم». «٣»

والإمام عليه السلام لا يخطيء هذا الإدراك، بل يقرّر عليه السلام أنّ هذا الإدراك من النصح والعقل والرأى! فهو يقول لابن عباس: «يا ابن عمّ، إني والله لأعلم أنّك ناصح مشفق!». «٤»

ويقول للمخزومي: «فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح وتكلّمت بعقل!». «٥»

ويقول لعمر بن لوزان: «يا عبد الله، ليس يخفى على الرأى!». «٦»

إذن فقد كان ينبغي للقوة المعارضة للحكم الأموي في الكوفة أن تُعدّ العدة وتستبق الأيام للقيام، وتبادر إلى السيطرة على الأوضاع في الكوفة قبل مجيء الإمام عليه السلام إليها، «وذلك مثلاً باعتقال والي الأمويّ وجميع معاونيه وأركان إدارته، ومن عُرف من عيون وجواسيسه، ومنع الخروج من الكوفة إلّا بإذن خاص، وذلك

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٤

لحجب أخبار مايجرى فيها عن مسامح السلطنة الأموية أطول مدّة ممكنة من أجل تأخير تحرّكها لمواجهة الإنتفاضة في الكوفة قبل وصول الإمام عليه السلام، حتى يصل الإمام عليه السلام فيمسك بزمام الأمور ويقود الثورة إلى حيث كامل الأهداف.

وليس في رسائل الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة ولا في وصاياه إلى مسلم بن عقيل عليه السلام ما يمنع أهل الكوفة من القيام بهذه المبادرة التي أقرّ الإمام عليه السلام أنها من العقل والرأى! بل لقد دعاهم عليه السلام إلى القيام مع مسلم عليه السلام، حيث قال عليه السلام في رسالته الأولى إليهم- على رواية ابن أعثم-: «فقوموا مع ابن عمي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوه!».

وفي رسالته الثانية التي بعثها إليهم بيد قيس بن مسهر الصيدواي (رض)- والتي لم تصل إليهم لأنّ ابن زياد كان قد قبض على الرسول- دعاهم الإمام عليه السلام إلى السرعة والعزم على الأمر والجدّ فيه، حيث قال عليه السلام فيها: «إذا قدم عليكم رسولى فاكمشوا أمركم وجدوا!»، إذ الكمش في الأمر هو العزم عليه والسرعة فيه! «١»

لكنّ هذه المبادرة لم تصدر عن الشيعة في الكوفة، مع أنّ فيهم من ذوى الخبرات العريقة في المجالات الاجتماعية والسياسية والعسكرية عدداً يُعتدُّ به، ومن البعيد جداً أنّ التفكير بمثل هذه المبادرة لم يكن قد طرأ على أذهانهم أكثر من مرّة! فلماذا لم يبادروا؟! لعلّ أهمّ الأسباب التي أدّت إلى عدم مبادرة الشيعة في الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها قبل مجيء الإمام عليه السلام إليها هي:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٥

١- لم يكن للشيعة في الكوفة- وهم من قبائل شتى- خصوصاً في فترة ما بعد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام عميد من شيعة أهل الكوفة، يرجعون إليه في أمورهم وملئاتهم، ويصدرون فيها عن رأيه وقراره وأمره.

نعم، هناك وجهاء وأشراف متعدّدون من الشيعة في الكوفة، لكلّ منهم تأثيره في قبيلته، لكنهم لا تصدر مواقفهم إزاء الأحداث الكبرى المستجدة عن تنسيق بينهم وتنظيم يوحد بين تلك المواقف، وينفى عنها التشتت والتفاوت.

ولقد ترسّخت هذه الحالة في شيعة الكوفة خاصة نتيجة السياسات التي مارسها معاوية- بتركيز خاص على الكوفة خلال عشرين من السنوات العجاف الحالكة- في خلق الفرقة والتناحر بين القبائل، والإرهاب والقمع، والمراقبة الشديدة التي ترصد الأنفاس، والإضطهاد المرير والقتل الذي تعرّض له كثير من الشيعة ومن زعمائهم خاصة، الأمر الذي زرع بين الناس على مدى تلك السنين العشرين العجاف الحذر المفرط والخوف الشديد من سطوة السلطان، وضعف الثقة وقلبه الإطمئنان فيما بينهم، والفردية في اتخاذ الموقف والقرار.

ويكفى دليلاً على كلّ ما أشرنا إليه من التعددية والتشتت نفس المنحى الذي تمّت فيه مكاتبة أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام في مكة، فلولا التعددية في مراكز الوجاهة والزعامة لما تعدّدت الرسائل والرسائل منهم إلى الإمام عليه السلام.

فلو كان لهم زعيم واحد يصدرون عن رأيه وأمره لكفى الإمام عليه السلام منهم رسالة واحدة تأتي من زعيمهم، لا إثنا عشر ألف رسالة! ولما احتاج الإمام عليه السلام إلى أن يسأل آخر الرسل: «خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب به إليّ معكم؟». «١»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٦

كما يكفى دليلاً على ضعف الثقة والإطمئنان، والفردية في اتخاذ الموقف والقرار، قول الشهيد الفدّ عابس بن أبي شبيب الشاكري (رض) بين يدي مسلم بن عقيل عليه السلام: «أما بعد، فإنّي لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم! واللّه أحذثك عمّا أنا موطنٌ نفسى عليه، واللّه لأجيبتكم إذا دعوتم ولأقاتلنّ معكم عدوّكم ولأضربن بسيفى دونكم حتّى ألقى الله، لا أريد بذلك إلّا ما عند الله». «١»

٢- هناك ظاهرة عمّت القبائل العربية التي استوطنت الكوفة، وهي ظاهرة إنقسام الولاء في أفرادها، ففي كلّ قبيلة إذا وجدت من يعارض الحكم الأمويّ أو يوالي أهل البيت عليهم السلام، فإنّك تجد أيضاً قبائلهم من يوالي الحكم الأمويّ ويخدم في أجهزته، ولعلّ

الموالين للحكم الأموي في بعض هذه القبائل أكثر من المعارضين له عامة والموالين لأهل البيت عليهم السلام خاصة. وهذه المشكلة ربما كانت هي المانع أمام زعماء من الشيعة كبار في قبائلهم الكبيرة من أن يتوروا قبائلهم ضد الحكم الأموي علانية، وينهضوا بهم للقيام بمثل تلك المبادرة المطلوبة، ذلك لأن أفراداً كثيرين هناك في نفس القبيلة ممن يخدمون في أجهزة الأمويين ويوالونهم سيسارعون إلى إخبار السلطة الأموية بما عزم عليه زعيم قبيلتهم الشيعي، فيقضى على ذلك العمل قبل البدء فيه، كما يقضى على الزعيم الشيعي وعلى أنصاره أيضاً، ففي قبيلة مذحج الكبيرة في الكوفة مثلاً، كما تجد زعيماً شيعياً رائداً مثل هانيء بن عروة (رض) تجد إزاءه أيضاً زعيماً آخر- أو أكثر- مثل عمرو بن الحجاج الزبيدي، «٢» يتفاني في خدمة

معالمة الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٧

الأمويين إلى درجة أن يؤثر مصلحة الأمويين حتى على مصلحة مذحج نفسها، حينما قام بدوره المريب «١» في ركوب موجة انتفاضة مذحج وقيامها لإطلاق سراح هاني (رض) فردهم عن اقتحام القصر وصرفهم وفرق جمعهم بمكيده منه ومن شريح وابن زياد. وهذه الظاهرة تجدها في بني تميم، وبني أسد، وكندة، وهمدان، والأزد، وغيرها من قبائل أهل الكوفة.

إذن فقد كان من العسير عملياً على أي زعيم كوفي شيعي أن يقود جموع قبيلته في عمل ما ضد الحكم الأموي، وذلك لوجود زعماء آخرين من نفس القبيلة موالين للحكم الأموي، باستطاعتهم التخريب من داخل القبيلة نفسها على مساعي الزعيم الشيعي، أو من خارجها بالإستعانة بالسلطة الأموية نفسها.

٣- يُضاف إلى السببين الأول والثاني- وهما أهم الأسباب- سبب ثالث وهو تفشي مرض الشلل النفسي، وازدواج الشخصية، والوهن المتمثل في حب الدنيا والسلامة وكرهية الموت، في جُل أهل الكوفة آنذاك خاصة.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما عثر به محمد بن بشر الهمداني- الذي روى تفاصيل اجتماع الشيعة الأول مع مسلم بن عقيل عليه السلام في دار المختار (ره)، وروى مقاله عابس الشاكري ومقاله حبيب بن مظاهر ومقاله سعيد بن عبدالله الحنفي (رض)، في استعدادهم للتضحية والموت في نصره الإمام عليه السلام- حينما

معالمة الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٨

سأله الحجاج بن علي قائلاً: فهل كان منك أنت قول؟

أجاب قائلاً: إنني كنت لأحب أن يُعز الله أصحابي بالظفر، وما كنت لأحب أن أُقتل، وكرهت أن أكذب! «١»

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك أيضاً: قول عبيدالله بن الحر الجعفي مخاطباً الإمام عليه السلام: «والله إنني لأعلم أن من شايحك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً؟! فأنشذك الله أن تحملني على هذه الخطة، فإن نفسي لم تسمح بعد بالموت!». «٢»

وكان زعماء الشيعة الكوفيون قد أدركوا خطورة انتشار هذا المرض، وتفطنوا لأثره السيء على كل نهضة وقيام، فكانوا يحسبون لخدلان الناس في أي مبادرة جهادية الف حساب، نلاحظ ذلك مثلاً في قول سليمان بن صرد الخزاعي في اجتماع الشيعة الأول: «فإن كنتم تعلمون أنكم ناصرته ومجاهدوه عدوه فاكبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفسل فلا تغروا الرجل من نفسه!». «٣»

وبعد، فلعل هذه الأسباب المهمة الثلاثة التي ذكرناها تشكل إجابة وافية عن علة عدم مبادرة زعماء الشيعة في الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها قبل مجيء الإمام عليه السلام. «٤»

حدود مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ١١٨

من هنا كانت مهمة مسلم عليه السلام هي تعبته وتنظيم وإعداد القوة الموالية لأهل

معالمة الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٩

البيت عليهم السلام والمعارضة للحكم الأموي في الكوفة، والوصول بها إلى المستوى الكافي للقيام بكل ما تقتضيه متطلبات ومسؤوليات النهضة مع الإمام الحسين عليه السلام.

ولاشك أن الوصول بهذه الحركة والقوة إلى ذلك المستوى المنشود يحتاج إلى وقت كافٍ تُسَدُّ فيه كل الثغرات وتستكمل فيه كل النواقص الروحية والعملية، لأن الغاية لم تكن إسقاط الحكومة المحليّة في الكوفة فحسب، بل الغاية في الأصل هو إعداد الكوفة روحياً وعملياً - من جديد - كمرکز لمواجهة ميدانية فاصلة مع جيش الشام.

وكان الأصل في مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام هو مواصلة تعبئة وتنظيم وإعداد الحركة الثورية حتى يأتي الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، فيواصل من موقعه الذي لا يرقى إليه موقع في القلوب قيادة النهضة على طريق تحقيق كامل أهدافها، والمتأمل في ما كتبه مسلم بن عقيل عليه السلام من الكوفة إلى الإمام عليه السلام، وفي أسلوبه وطريقته في التعامل مع الأحداث سواء في أيام النعمان أو ابن زياد يلحظ هذا الأصل واضحاً جلياً لا ريب فيه.

لقد كان مسلم عليه السلام يتحاشى المواجهة الميدانية الفاصلة مع الحكومة الأموية المحليّة في الكوفة ما كان ذلك باختياره، حتى يستكمل الإعداد والتحضير من كل جهة لمهمته التي أرسله من أجلها الإمام عليه السلام إلى الكوفة، وكانت الحكومة المحليّة في الكوفة من جهتها أيضاً تتحاشى المواجهة الميدانية الفاصلة مع التكتل الثوري لأنها لم تكن تملك القدرة على ذلك إلا إذا جاءتها النجدة من الشام.

والمتأمل في أسلوب وطريقته تعامل عبيدالله بن زياد مع حركة الأحداث في الكوفة يلحظ بوضوح أن هذا الطاغية - على ضوء معرفته ومعرفة أبيه العريفة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢٠

بالوضع السياسي والاجتماعي والنفسي في الكوفة، وبرجالها وقبائلها - كان يسعى بدهاثة وخبثه وغدره إلى أن يخرج من أزمته برغم صعوبتها منتصراً دون الحاجة إلى الاستنجاد بجيش الشام، طمعاً في تقوية موقعه الإداري ومركزه القيادي عند يزيد بن معاوية. وهكذا كان، فقد لجأ إلى حيلة اختراق الحركة من داخلها بواسطة أحد جواسيسه المحترفين المهرة، ثم تواطأ مع عمرو بن الحجاج الزبيدي وغيره من الوجهاء الخونة «١» لاعتقال هاني (رض) ثم لامتطاء موجة غضب مذبح الزاحفة نحو القصر، ثم لصرفها عنه وتفريق جموعها، ثم للوصول بعد ذلك إلى المطلوب الأساس وهو اعتقال مسلم عليه السلام.

الإضطرار .. والقرار الاستثنائي ص : ١٢٠

إذا كان اعتقال هاني (رض) في حسابات ابن زياد يعتبر الخطوة الناجحة الثانية - بعد نجاح خطوته الأولى في اختراق الحركة الثورية من داخلها - على طريق سعيه لإنهاء الأزمة الكوفية يومذاك، فإن اعتقال هاني (رض) في حسابات مسلم بن عقيل عليه السلام كان قد مثل منعطفاً حرجاً خطيراً اضطرّه إلى الخروج عن خط السير المرسوم في الأصل، وألجأه إلى قرار استثنائي من أجل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢١

معالجة الوضع الطارئ الجديد الذي فرضه ابن زياد على الحركة باعتقاله هانياً (رض)، إذ لم يعد أمام مسلم عليه السلام عندها إلا أحد خيارين:

الأول: هو البقاء على أصل خط السير المرسوم في مواصلة التعبئة والإعداد والتحضير، لكن هذه المواصلة لم تعد ممكنة بعد اعتقال هاني (رض) وذلك: لأن هاني بن عروة (رض) هو أقوى وأمنع شخصية كوفية من الناحية القبلية - فضلاً عن وجاهته الاجتماعية والدينية وموقعه البارز في حركة الثورة - فإذا تمكّن ابن زياد من اعتقاله ولم يواجه بانتفاضة كبرى جادة مستميتة من قبيلته خاصة ومن حركة الثورة عامة، فإن الكوفة بعدها لن تنتفض لإنقاذ أي رجل آخر من قبضة ابن زياد، وعندها فما هي فائدة مواصلة التعبئة والإعداد

والتحضير؟! ثم إنَّ ابن زياد بعدها سيعتقل من يشاء من أشرف ووجهاء الكوفة بلا أدنى محذور، ومعنى هذا أنَّ مسلماً عليه السلام لم يعد آمناً في الكوفة، ولا شك أنه الرجل الثاني الذي سيعتقل مباشرة بعد هاني (رض) الذي كان أقوى وأمنع حصن يمكن أن يحميه. الثاني: هو التخلي عن مواصلة الإعداد والتحضير، والتحرك قبل استكمال شرائط التحرك - تحت قهر الضرورة والإضطرار - لمواجهة حاسمة مع السلطة الأموية المحلية في الكوفة، وهو الاختيار الوحيد الذي لا بُدَّ من النهوض للقيام به فوراً.

وهكذا كان ص : ١٢١

يحدِّثنا عبدالله بن حازم البكري (١) فيقول: «أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر في أثر هانيء لأنظر ما صار إليه أمره، فدخلت، فأخبرته الخبر، فأمرني أن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢٢

أنادي في أصحابي وقد ملأ الدور منهم حوالياً، فقال: ناد: يا منصور أمّ! «١» فخرجت فناديتُ، وتبادر أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد لعبد الرحمن بن عزيز الكندي على ربيعه، وقال له: سيّر أمامي. وقدمه في الخيل، وعقد لمسلم بن عوسجة على مذبح وأسد، وقال له: إنزل فأنت على الرجالة. وعقد لأبي ثمامة الصائدي على تميم وهمدان، وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، ثم أقبل نحو القصر..» (٢)

وفي رواية الإرشاد عن لسان عبدالله بن حازم قال: «أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر ما فعل هانيء فلما ضرب وحبس ركبُ فرسى فكنت أول الداخلين الدار على مسلم بن عقيل بالخبر، فإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عبرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم فأخبرته الخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، فكانوا فيها أربعة آلاف رجل ... فناديت: يا منصور أمّ! فتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا عليه، فعقد مسلم رحمه الله لرؤوس الأرباع على القبائل كنده ومذحج وتميم وأسد ومضر وهمدان، وتداعى الناس واجتمعوا، فما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يتوبون حتّى المساء ...» (٣)

ويدهشنا في خبر يرويه الطبري - عن عباس الجدلي أحد قيادي جيش مسلم عليه السلام - أنَّ عدد أصحاب مسلم عليه السلام كان قد تناقص في تحرّكهم من الدور إلى القصر!! غير أنَّ الناس قد تداعوا إلى مسلم عليه السلام من جديد واجتمعوا إليه بعد أن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢٣

أقبل في المرادين وأحاط بالقصر: «.. عن عباس الجدلي قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلثمائة!! وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثمَّ إنَّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلّا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يتوبون حتى المساء ...» (١)

وكان عبيدالله بن زياد بعد أن ضرب هانياً (رض) وحبسه، وبعد أن نجح في مؤامراته مع شريح القاضي وعمرو بن الحجاج الزبيدي في صرف قبيلة مذحج عن القصر وتفريق جموعها، قد بادر إلى المسجد - «خشية أن يثب الناس به» (٢) - فصعد المنبر، ومعه أشرف الناس وشُربطه وحشمه، «فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتُجفّوا وتُحرموا، إنَّ أحاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر..» (٣)

وتواصل الرواية التاريخية الخبر فتقول:

«ثم ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتّى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشّدون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل!

فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه..» (٤)

وفي رواية ابن أعثم: «فما أتمَّ عبيدالله بن زياد تلك الخطبة حتّى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟ فقيل له: أيها الأمير، الحذر الحذر! هذا

مسلم بن عقيل قد أقبل في جميع من بايعه!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢٤

فنزّل عبيد الله عن المنبر مسرعاً، وبادر فدخل القصر وأغلق الأبواب». (١)

وفي رواية أخرى: «فلما بلغ عبيد الله إقباله تحرّز في القصر، وغلق الأبواب، وأقبل مسلم حتى أحاط بالقصر، فوالله ما لبثنا إلّا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يتوثّبون حتى المساء، فضاق بعبيد الله أمره». (٢)

«وأقبل مسلم بن عقيل رحمه الله في وقته ذلك عليه، وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكو السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه». (٣)

«وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويتوثّبون حتى المساء وأمرهم شديد». (٤)

«فضاق بعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسك بباب القصر، وليس معه إلّا ثلاثون رجلاً من الشرط، وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه». (٥)

ماذا صنع الأشراف المواليون لابن زياد؟! ص : ١٢٤

فلما سمع وجهاء الكوفة وأشرافها المواليون لابن زياد- الطامعون في دنياه والخائفون من بطشته!- بما يجرى عند القصر وحواليه بادروا الى التسلسل والإلتحاق بابن زياد في القصر ليثبتوا لأنفسهم حضوراً عنده، تقول الرواية التاريخية: «وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢٥

الرومين». (١)

وفي البدء كانت الحجارة والشتائم! ص : ١٢٥

ولم يكن باستطاعة من كان في القصر مع ابن زياد من أشرف الكوفة المواليين له ومن الشرط والحشم والخدم أن يصنعوا شيئاً إلّا أن يُشرفوا على الناس من أعلى القصر لينظروا إليهم، ولم يكن جواب الجماهير النائرة إلّا الحجارة والشتائم وسب ابن زياد وأبيه «وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم، فيتقون أن يرموهم بالحجارة وأن يشتموهم، وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه». (٢)

ثمّ كان المدر والنشاب! ص : ١٢٥

يقول الدينوري: «وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشرف أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدّر (٣) والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزلوا بذلك حتى أمسوا!». (٤)

ثمّ بدأت حملات التخذيّل ورايات الأمان الكاذب! ص : ١٢٥

تقول رواية الطبري: «ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج! فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢٦
عقيل ويخوفهم الحرب ويحدّهم عقوبة السلطان، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كنده وحضرموت فيرفع رايه أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الدهلي، وشبث بن ربعي التميمي، وحجار بن أبجر العجلي، وشمر بن ذى الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس. «١»

إعتقال المجاهدين عبدالأعلى بن يزيد وعمار بن صلخب! ص : ١٢٦

ويواصل الطبري روايته قائلاً: «وخرج كثير بن شهاب (٢) يخذل الناس عن ابن عقيل، قال أبو مخنف: فحدّثني ابن جناب الكلبي: أن كثيراً ألقى رجلاً من كلب يُقال له عبدالأعلى بن يزيد، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتیان، (٣) فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره.

فقال لابن زياد: إنّما أردتكم!

قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمّد بن الأشعث حتى وقف عند دور بني عمار، وجاء عمار بن صلخب الأزدي، وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد، فحبسه. «٤»

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢٧

مسلم عليه السلام يبعث بقوة عسكرية تدحر ابن الأشعث! ص : ١٢٧

ويبدو أن مسلماً عليه السلام علم أن مجموعات ابن زياد التي أخذت تخذل الناس عنه، بقيادة كثير بن شهاب، ومحمّد بن الأشعث، والقعقاع، وشمر، وشبث، وحجار، أخذت تقطع عليه المدد من المجاهدين المقبلين إليه من ضواحي الكوفة وتعتقلهم، فبعث بقوة عسكرية من المسجد بقيادة المجاهد عبدالرحمن بن شريح الشبامي ليدحر ابن الأشعث ويردّه إلى القصر، تقول رواية الطبري: «فبعث ابن عقيل إلى محمّد بن الأشعث من المسجد عبدالرحمن بن شريح الشبامي، فما رأى محمّد بن الأشعث كثرة من أتاه أخذ يتنحى - وأرسل القعقاع بن شور الدهلي إلى محمّد بن الأشعث: قد حُلّت على ابن عقيل من العرار - فتأخّر عن موقفه فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين. «١»

والظاهر أن قوات مسلم عليه السلام لم تدحر مجموعته محمّد بن الأشعث فحسب بل دحرت كلّ المجاميع التي أخرجها ابن زياد لرفع رايات الأمان ولتخذيّل الناس واعتقال من يمكن اعتقاله من الثوار، والدليل على هذا أن قادة هذه المجاميع مع مجاميعهم عادوا إلى القصر مرّة أخرى، والأظهر أنهم عادوا منهزمين مقهورين، وعبيد الله بن زياد أكثر منهم انكساراً وخوفاً، تقول رواية الطبري: «فلما اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب، ومحمّد، والقعقاع، فيمن اطاعهم من قومهم، فقال له كثير - وكانوا مناصحين لابن زياد - أصلح الله الأمير، معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شُرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم! فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواءً فأخرجه! «٢»

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢٨

فكان قتال وقاتل! ص : ١٢٨

ثم لا يذكر التاريخ ماذا صنع لواء شبث بن ربعي! لكنّ بعض المتون التاريخية تشير إلى وقوع قتال شديد، فرواية ابن أعمش الكوفي

تقول: «وركب أصحاب عبيدالله، واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيدالله بن زياد وجماعته من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس!». (١)

وأما ابن نما (ره) فيروى خبراً خاصاً في محتواه، حيث ذكر أن أكثر الأشراف الذين كانوا قد بايعوا مسلماً عليه السلام قد نقضوا البيعة وتخلوا عنه قبل أن يتوجه إلى محاربة عبيدالله بن زياد، ويستفاد من روايته أن القتال الشديد بين الطرفين قد استمر إلى الليل!، يقول (ره): «ولما بلغ مسلم بن عقيل خبره (٢) خرج بجماعة ممن بايعه إلى حرب عبيدالله بعد أن رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة، وهم مع عبيدالله، فتحصن بدار الإمارة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل». (٣)

لماذا لم يقتحم الثوار القصر؟! ص : ١٢٨

لعل هذا التساؤل قد انقذ في ذهن كل من فكر وتأمل في قصة حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام، وهو سؤال وجيه، يبقى السائل عنده في حيرة واستغراب مالم يلم بكل المتون التاريخية الواردة في قصة تلكم الأيام، ويحيط بشوارد الدلالات الظاهرة والخفية فيها، أو يتلقى الإجابة المقنعة عن ذي علم قد أحاط بها.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢٩

ومن مجموع تلكم المتون يمكننا أن نذكر بمجموعة من الملاحظات التي تتضح وتتحدد بمعرفتها واستدكارها الإجابة عن هذا التساؤل:

(١) - ذكرنا من قبل أن قرار المواجهه مع الحكومة المحليه في الكوفة كان قراراً إستثنائياً فرضته الضرورة التي اضطرت مسلماً عليه السلام إلى الخروج عن أصل خط السير في إتمام إعداد وتحضير جموع المبايعين روحياً وعملياً لتحمل أعباء النهضة مع الإمام عليه السلام، والمدة التي قضاها مسلم عليه السلام منذ دخوله الكوفة حتى محاصرته القصر وهي حوالي شهرين تعتبر قصيرة إزاء المدّة المطلوبة لإتمام الإعداد والتحضير.

إذن فقد حاصر مسلم عليه السلام القصر بجموع أكثريتها لم تستكمل الإعداد الكافي، فهي من حيث الناحية الروحية لم يزل الشلل النفسي والوهن الروحي يحجب لهم الدتيا والعافية والسلامة وكرهية الموت - إنهم يتمنون لو انتصر مسلم أو الإمام عليهما السلام ولكن بلا- مؤنة على أنفسهم في ذلك!-، ولم يزل إسم (جيش الشام) يثير فيهم أقصى درجات الرعب والإحساس بالهوان والمذلة!، ومن الناحية العملية فإن ارتباطهم القبلي لم يزل - عند الأكثرية منهم - أقوى من الإرتباط الديني، وهذا أخطر ما يمكن أن يضر بالحركة الدينية الثورية آنذاك، وربما إلى اليوم في بعض بلدان العالم الإسلامي! هذا فضلاً عن عدم استكمال تحضير العدة الكافية من أسلحة وأموال، وتدريب ووسائل وأساليب الإرتباط والإمداد وما إلى ذلك!

يرى المتتبع ماقلناه في هذه النقطة واضحاً جلياً في دلالات بعض المتون التاريخية، فهذا عباس بن جعدة الجدلي وهو أحد قادة الألوية في جيش مسلم عليه السلام يقول: «خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٠

ثلثمائة!»، (١) وهذا ابن نما (ره) يروى أن مسلماً عليه السلام أحس بالخذلان قبل مهاجمته القصر حيث «رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة وهم مع عبيدالله!»، (٢) وخذ مثلاً على تفضيل الإنتماء القبلي على الرابطة الدينية رواية الطبري أن ابن زياد دعا كثير بن شهاب «فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير في الكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضر موت ..»، (٣) وفي هذا النص بالذات إشعار كافٍ أيضاً بالحالة المعنوية المتدنية عند الناس يومذاك، والتي كان ابن زياد لعنه الله يعرفها جيداً فيهم وفي وجهائهم!

(٢) - كان لتفرق قبيلة مذحج وإنصرافها عن القصر، وبقاء هاني (رض) رهن الإعتقال وخطر القتل - بعد أن اجتمعت مذحج قاطبة بكل

فروعها لاستنقاذه أو للثأر له- أثّر سىء كبير فيما بعد على المواجهة التي قام بها مسلم عليه السلام لاستنقاذ هانى (رض)، إذ ألقت هذه النهاية الخائبة فى روع الناس- وهذا ما كان يهدف إليه أيضاً ابن زياد وعمرو بن الحجاج وأمثالهم- أنه إذا كانت مذحج قبيلة هانى (رض) نفسه وهى أكبر وأقوى قبيلة فى الكوفة لم تستطع إنقاذه، أو رضيت ببقائه معتقلاً عند ابن زياد، فما بال مسلم عليه السلام يصرُّ على إطلاق سراحه؟! وهل يقوى بمن معه من هذا الخليط المتنوع من قبائل شتى أن يحقق ما لم تحققه مذحج نفسها!؟

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٣١

لقد كان هذا سبباً من اسباب انبعاث الشك فى قلوب ضعاف الإيمان من أهل الكوفة- وما أكثرهم!- حول قدرة مسلم عليه السلام على تحقيق ما يريد، ممّا أدّى إلى تراخى الهمة والعزم فيهم وتفريقهم عنه.

وإذا تذكّرنا أنّ حادثه اجتماع مذحج وإحاطتها بالقصر ثمّ تفريقها وإنصرافها عنه قد تزامنت مع قيام مسلم عليه السلام وإقباله بمن معه لمحاصرة القصر- مع تفاوت زمنى قليل جداً- علمنا أنه لم يكن هناك متسع من الوقت أمام قيادة الثورة لمعالجة هذا الأثر النفسى السىء الذى سببته النهاية الخائبة لاجتماع مذحج ثمّ انصرافها.

ولعلّ هذا الأثر النفسى السيء هو الذى يفسر لنا تناقص عدد جيش مسلم عليه السلام فى بداية الأمر كما حدّثنا بذلك القائد عبّاس الجدلى: «خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمائة!».

(٣)- الظاهر مما توجّه به بعض المتون التأريخية أنّ مسلماً عليه السلام حاصر القصر بعدد من مبايعيه (أربعة آلاف) يشكّل أقل من ثلث العدد الشهير لمجموع مبايعيه (ثمانية عشر ألفاً)، ويبدو أنّ بقيّة هذا المجموع- الذين لم يشتركوا فى بدء محاصرة القصر- كانوا مبعوثين فى داخل مدينة الكوفة وفى أطرافها وضواحيها، والظاهر أنّ مسلماً عليه السلام قد أرسل إليهم من يخبرهم بقراره الإستثنائى ويستنفرهم للإلتحاق به، ويبدو أنّ من كان منهم فى داخل الكوفة قد استطاع الإلتحاق بمسلم عليه السلام قبل المساء، بدليل قول القائد عبّاس الجدلى أيضاً: «.. ثمّ إنّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق وما زالوا يثوبون حتّى المساء ..»، «١» كما أرسل مسلم عليه السلام إلى قواته الموجودة فى أطراف الكوفة، لكنها فى الظاهر لم تستطع الوصول إلى داخل

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٣٢

الكوفة إلّا بعد تفزق الناس وانتهاء الحصار وانقلاب الوضع، مثل اللواء الذى جاء به المختار، واللواء الذى جاء به عبدالله بن الحارث بن نوفل، حيث وصلا إلى داخل الكوفة بعد فوات الأمر، فاضطرّ المختار إلى أن يدعى أنه جاء لحماية عمرو بن حريث! بعد أن وضح لهما قتل مسلم عليه السلام وهانى (رض)، ففى رواية تاريخية:

«وكان المختار عند خروج مسلم فى قرية له تدعى (خطواتية) فجاء بمواليه يحمل راية خضراء، ويحمل عبدالله بن الحارث راية حمراء، وركز المختار رايته على باب عمرو بن حريث وقال: أردت أن أمنع عمراً! ووضح لهما قتل مسلم عليه السلام وهانى (رض)، وأشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا، وشهد لهما ابن حريث باجتناهما ابن عقيل، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه، وبقيا فى السجن إلى أن قتل الحسين عليه السلام.» «١»

من هنا، يُفهم أنّ مسلماً عليه السلام بقى مدّة طويلة من ذلك النهار يستجمع قواته وينتظر وصول ما لم يصل منها للقيام بعمل عسكري حاسم يؤدى إلى فتح القصر أمام الثوار والسيطرة عليه وعلى من فيه.

(٤)- لا يشك المتأمل العارف بأخلاقه أهل البيت عليهم السلام السامية وأخلاقه من تربى فى أحضانهم وكنفهم، والمُدرك للضرورات السياسية والاجتماعية، أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان يحرص كلّ الحرص على سلامة هانى بن عروة (رض)

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٣٣

وعلى انقاذه وإطلاق سراحه محفوظ العزة والجاه والكرامة، وبرغم أنف ابن زياد ومن شايعه من وجهاء وأشراف الكوفة.

وذلك: لإيمان هاني (رض) ومظلوميته وأهميته، فنصرته واستنقاذه وإعرازه أمرٌ واجب مع القدرة على ذلك، وتتجلى أهميته هاني (رض) - فضلاً عن كونه قيادياً بارزاً جداً في التكتل الثوري - في كونه القطب الذي يمكن أن تجتمع عند كلمته قبيلة مذحج قاطبة، ففي إطلاق سراحه عزيزاً منتصراً على يد قوات الثورة - برغم ابن زياد - تعزيز وتقوية لموقعه الرفيع في أهل الكوفة عامة، وفي قبيلة مذحج خاصة التي قد تستشعر فضل الثورة عليها بإطلاق سراح زعيمها معززاً مكرماً، الأمر الذي قد يدفع جميع مذحج بعد ذلك إلى إطاعة هاني (رض) في مناصرة الثورة والانضمام إليها إلى آخر الأمر، ولا يخفى ما في جميع ذلك من إذلال للسلطة الأموية وكسر لشوكتها وإضعافها، هذا على فرض أن المواجهة بين الثوار والسلطة كانت ستنتهي عند إطلاق سراح هاني (رض).

من هنا، يمكن للمتأمل المتتبع أن يجزم بأن الثوار كانوا قد عزموا على اقتحام القصر، ووضعوا لذلك الخطة التي تضمن سلامة هاني (رض) أيضاً.

٥- هناك إشارات تاريخية تفيد أن عبيدالله كانت قد تزايدت قواته القتالية طيلة نهار ذلك اليوم - يوم حصار القصر - حتى صار بإمكانها أن تؤخر عملية اقتحام الثوار للقصر حتى المساء.

نعم، لعل من الصحيح ما ورد أنه لم يكن معه في البدء لما أقبلت قوات مسلم عليه السلام نحو القصر غير ثلاثين رجلاً من الشرط وعشرين رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه، «١» لكن الأشرف والوجهاء الذين كان ميلهم مع ابن زياد أو مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٤

كانوا يخشون أن تصيبهم دائرته تسللوا إلى داخل القصر مع مواليهم ومن أطاعهم من قبائلهم بخفاء وتدرج: «وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين ..»، «١» حتى بلغ عددهم على ما في رواية الدينوري: «وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتى أمسوا»، «٢» ثم ازداد عددهم حتى عبر عنه كثير بن شهاب ب (الكثير) حين قال لابن زياد: «أصلح الله الأمير، معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك فاخرج بنا إليهم!». «٣»

إذن فإن قوة ابن زياد الحربية تزايدت حتى صار بمقدورها مقاومة الثوار ومنعهم من الدنو من القصر وتأخير اقتحامه حتى حلول المساء.

هذا فضلاً عن أن «من المعلوم أن إخضاع القصر بمن فيه لا يتم خلال ساعة من الحصار، كما أن وقت النهار يكاد ينتهي، والهجوم على القصر الضخم البناء الذي أوصد ابن زياد أبوابه الكبيرة بشكل محكم لا يسفر عن نتيجة نافعة، إنه كالهجوم على الصخر - كان القصر مشيداً بمتانة بالغه، تحكى ذلك أنقاضه الموجودة لحد الآن، رغم مرور ألف وثلاثمائة وخمسين عاماً على تشييده، ويكفي أن نتصور كون جدار القصر من القوة والسعة بحيث تتمكن الشاحنات من السير فوقه - فلا بُدَّ إذن والحالة هذه من المحاصرة المستمرة التي قد تطول أياماً

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٥

حتى يستسلم من فيه مثلاً، أو يسلموا هانيء على أقل تقدير». «١»

٦- لا يتردد المتأمل في المتون التاريخية التي تتحدث عن نشوب القتال بين الطرفين في القطع بأن الثوار بقيادة مسلم عليه السلام كانوا قد نفذوا خططهم لاقتحام القصر، وأنهم قاتلوا قتالاً شديداً لتحقيق النصر، كما أن قوات ابن زياد قد دافعت عن القصر دفاعاً مستميتاً حتى المساء، ومن هذه المتون التي تشير إلى ذلك قول ابن أعمش الكوفي: «وركب أصحاب عبيدالله، واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً ..»، «٢» وقول ابن طاووس (ره): «وأقتل أصحابه وأصحاب مسلم»، «٣» وقول ابن نما (ره): «واقتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل». «٤»

وأقبل المساء يحمل النهاية الموسفة! ص : ١٣٥

يقول الطبري: «.. وأقام الناس مع ابن عقيل يُكبرون ويثوبون حتى المساء، وأمرهم شديد، فبعث عبيدالله إلى الأشراف فجمعهم إليه ثم قال: أشرفوا على الناس، فمَنوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، واعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم»، «٥» وفي رواية الدينوري:

«لِشَرَفِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ فِي نَاحِيَةِ مِنَ السُّورِ فَخَوَّفُوا الْقَوْمَ! فَأَشْرَفَ كَثِيرٌ مِنْ شُهَابٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ شُورٍ، وَشَبِثُ بْنُ رَبِيعٍ، وَحِجَارُ بْنُ أَبَجْرٍ، وَشَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ، فَتَنَادَوْا: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَعَ الرِّكْبِ الْحُسَيْنِيِّ (ج ٣)، ص: ١٣٦

الفتنة! ولا تشقوا عصا هذه الأمة! ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام! فقد ذقتموهم، وجرّبتهم شوكتهم! فلما سمع أصحاب مسلم مقاتلتهم فترّوا بعض الفتور!!». «١»

ويواصل الطبري رواية النهاية الموسفة عن لسان عبدالله بن حازم: «قال:

أشرف علينا الأشراف، فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيها الناس، إحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت! وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممت على حربه، ولم تنصرفوا من عشيتكم، أن يحرم ذريّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جرّت أيديها! وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا!

فلما سمع مقاتلتهم الناس أخذوا يتفرّقون، وأخذوا ينصرفون!». «٢»

ثم كان الإنهيار من الداخل! ص : ١٣٦

يقول الدينوري: «وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه وأخاه وابن عمّه فيقول: انصرف فإنّ الناس يكفونك! وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع!». «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٧

ويروي الطبري: «أنّ المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك! ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر؟! إنصرف! فيذهب به، فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون ..». «١» وقال ابن أعمش: «فلما سمع الناس ذلك تفرّقوا وتحادوا عن مسلم بن عقيل رحمه الله، ويقول بعضهم لبعض: ما نضع بتعجيل الفتنة، وغداً تأتينا جموع أهل الشام!؟، ينبغي لنا أن نقعد في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم ... ثم جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي ..». «٢»

علّة الإنهيار المذهل والتداعي السريع! ص : ١٣٧

هذا الإنهيار والتداعي السريع الذي هدم كيان التكتل الكبير الذي كان قد التفت حول مسلم بن عقيل عليه السلام كاشف تماماً عن أنّ جماهير هذا التكتل لم تستكمل الإعداد الروحي لمثل هذه المواجهة ولما بعدها من مسؤوليات وتبعات، الإعداد الروحي الذي يستنقدها من مرض الوهن: وهو حبّ الدنيا وكرهية الموت! وحبّ السلامة والعافية! والرضا بالذلة، والشلل النفسي الذي يتجلّى في السكوت عن الباطل! بل وفي إطاعة الباطل مع المعرفة بأنه باطل ومقارعة الحقّ مع المعرفة بأنه الحقّ!

هذان المرضان اللذان تسربا إلى شخصية الإنسان المسلم بعد السقيفة واشتدا في حياة الأمة المسلمة بعد كل منعطف إنحرافي تلا السقيفة، واشتد هذان المرضان بدرجة كبيرة في الشخصية الكوفية خاصة واستحكما فيها في فترة ما مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٨

بعد صفين، وخصوصاً في الأيام التي صار فيها معاوية بلامنازع ينازعه، «١» حتى صار لكلمة (خيل الشام) أو (جند الشام) أو (جيش الشام) يومذاك أثر رهيب في روع جُلّ أهل الكوفة خاصة، لما ذاقوه من ويلات ومرارات على يد ذلك الجيش، ولما عانوه في عهد معاوية من سياسات تعمّدت قهرهم خاصة وإذلالهم في جميع جوانب حياتهم، وكانت المواجهة مع (جيش الشام) في أذهان وقلوب جُلّ الكوفيين تعنى يومذاك المواجهة مع عدوّ لا يقرب فيهم إلّا ولا ذمّة، ولا يتورّع عن انتهاك أعراضهم وحرمتهم وقتل العزّل والأبرياء منهم، وقطع أرزاقهم ومنع العطاء عنهم.

وهذا لا يعنى أنّ الكوفة قد عُدّمت الأختيار الأبرار من أهاليها، بل إنّ في الكوفة، من رجال المبدأ والعقيدة والجهاد جماعة مثّلوا المستوى الرفيع في الشخصية الإسلامية التي جسّدت النهج القرآني في سيرتها وسلوكها.

لكنّ هؤلاء كانوا القلّة العريضة النادرة في مجموع أهل الكوفة، ويكفي دليلاً على ذلك قياس مجموع من نصر الإمام الحسين عليه السلام منهم إلى مجموع من نكل عنه ونقض بيعته وأطاع أعداءه في قتاله وقتله!

فلو كان التكتل الكبير الذي بايع مسلماً عليه السلام قد نال حظاً وافراً من الإعداد التربوي والإصلاح الروحي لما تفرّق هذا التفرّق السريع المذهل عن مسلم عليه السلام، ولكان فيه بقتية وافية كافية لإنجاح خطّة مسلم عليه السلام وقهر ابن زياد، من الرجال القرآنيين الذين لم يُضعف عزائمهم الوهن، ولم يعتورهم الشلل النفسي، الذين أحبوا الموت والقتل في الله من أجل لقاء الله، وكرهوا الدنيا بلا عزّة وما أتّاقلوا

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٩

إلى الأرض، فكان هيهات منهم الذلّة: «الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم..» (١)

وأطبق الليل مرّة أخرى على الكوفة .. ومسلم عليه السلام وحده! .. ص : ١٣٩

إشارة

يقول ابن أعثم الكوفي: «فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه، لا أقلّ ولا أكثر! واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب، وتفرّق عنه العشرة!

فلما رأى ذلك استوى على فرسه، ومضى في أزقة الكوفة، وقد أثنى بالجراحات، حتى صار إلى دار امرأة يُقال لها طوعة ..» (٢)
وقال المفيد (ره): «.. أمسى ابن عقيل وصلى المغرب وماعه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد، فلما رأى أنه قد أمسى وماعه إلّا أولئك النفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كنده، فما بلغ الأبواب إلّا معه منهم عشرة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان يدله!، فالتفت فإذا هو لا يحسُّ أحداً يدله على الطريق! ولا يدله على منزله! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ! فمضى على وجهه متلداً في أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب! حتى خرج إلى دور بني جبله من كنده، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يُقال لها طوعة ..» (٣)

وقال الدينوري: «فصلى مسلم العشاء في المسجد، وماعه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كنده، فلما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٠

مضى قليلاً التفت فلم يرَ منهم أحداً، ولم يُصب إنساناً يدلُّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل على كنده، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممَّن خَفَّ مع مسلم! .. «١»

إشارة وتأمل ص : ١٤٠

هذه أهمّ المتون التاريخية التي روت لنا كيف أمسى مسلم بن عقيل وماعه إلّا قليل ممَّن كان معه - عشرة فرسان على رواية الفتوح، وثلاثون رجلاً ثمّ قَلُّوا إلى عشرة على رواية المفيد والطبري - ثمّ كيف مضى وحده حتّى وقف على باب المرأة الصالحة طوعاً. وقد أشارت رواية الفتوح إلى أنّ مسلماً عليه السلام كان قد أُتخِن بالجراحات، الأمر الذي يدلُّ على أنه عليه السلام خاض المعارك التي دارت حول القصر بنفسه، ولم يكن قائداً موجَّهاً مرشداً فحسب، وهذا فضلاً عن كونه دليلاً على شجاعته عليه السلام، فهو دليل أيضاً على نشوب القتال حول القصر، وعلى أنّ الثَّوار كانوا قد حاولوا اقتحامه بالفعل!

لكنّ الذي يُثير التأمل في هذه المتون هو طريقتها في عرض كيفية تفرُّق هؤلاء الرجال القلّة الذين كانوا آخر الناس معه! ففي نصّ الفتوح: «وتفرَّق عنه العشرة، فلما رأى ذلك استوى على فرسه ومضى ..»، وفي نصّ المفيد والطبري:

«فما بلغ الأبواب إلّا معه منهم عشرة، ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان يدلُّه، فالتفت فإذا هو لا يحسُّ أحداً ..».

هذه الطريقة في عرض الحدث تُلقى في روع المطالع أنّ هؤلاء ليس بينهم

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤١

وبين جموع الناس الذين انفصّوا بسرعته عن مسلم عليه السلام إلّا فرق واحد وهو الفارق الزمني في الانفصاض عنه ليس إلّا! بل تُشعر هذه الطريقة بأنّ هؤلاء القلّة أسوأ بكثير من أولئك الذين انفصّوا عنه بسرعته، وذلك لأنّ هؤلاء تفرّقوا في الختام عنه وهو أحوج ما يكون إليهم، كما تفرّقوا عنه خفية في غفلة منه! هذا ما يُشعر به التعبير «فالتفت فإذا هو لا يحسُّ أحداً ..».

وهذا ما لا يقبل به اللبيب المتدبّر، كما أنه لا يوافق طبيعة الأشياء وواقعها، إذ لنا أن نتساءل: ما الذي أبقى هؤلاء إلى الأخير مع مسلم عليه السلام؟! أهو الطمع؟ وبماذا يطمع هؤلاء مع قائد قد انفصّ عنه أنصاره وبقي وحيداً غريباً لا يدري أين يذهب وإلى أين يأوي؟! أم هو الخوف من عار الإنصراف عنه بعد مبايعته، لاشجاعة منهم ولا ثباتاً؟!

أفلا يعني هذا - في مثل هذا الحد الأدنى - أنّ هؤلاء ممن يرعى القيم والأخلاق، ويتجافى عن كلّ ما يعود عليه بالذم؟! وهل يُحتمل من مثل هؤلاء مع مثل هذا الحفاظ والأخلاقية أن يتفرّقوا في بلدتهم خفية وفي لحظة غفلة من صاحبهم الوحيد الغريب في أرضهم؟!

أم أنّ الذي أبقى هؤلاء القلّة مع مسلم عليه السلام إلى آخر الأمر هو الشجاعة والإيمان والثبات على البيعة؟ وأنّهم كانوا من صفوة المجاهدين في حركة الثَّوار تحت راية مسلم عليه السلام، ومن صناديد أهل الكوفة؟

وهذا هو الحقّ! إذ لا يشكُّ ذو دراية وتأمل أنّ قادة الألوية الأربعة: مسلم بن عوسجة (رض) وأبا ثمامة الصائدي (رض) وعبدالله بن عزيز الكندي (ره) وعباس بن جعدة الجدلي (ره)، وأمثالهم من مثل عبدالله بن حازم البكري (ره) ونظرائه كانوا من القلّة التي بقيت مع مسلم عليه السلام إلى آخر الأمر، ذلك لأنّ من

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٢

الممتنع على اخلاقيه أمثال ابن عوسجة (رض) والصائدي (رض) وإخوانهم أن يتخلّوا عن مسلم عليه السلام خصوصاً في ساعة العسرة! إنّ هؤلاء الصفوة من المجاهدين كانوا ممن اشتهر بالإيمان والإخلاص والشجاعة والثبات، وقد وقّوا للشهادة في سبيل الله، فهذا مسلم بن عوسجة (رض)، وهذا أبو ثمامة الصائدي (رض) وقد وقّوا للفوز بالشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء،

وهذا العباس بن جعدة الجدلي (ره) قتله ابن زياد بعد سجن، وهذا عبدالله - أو عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي (ره) - قتله ابن زياد بعد سجن، وهذا عبدالله بن حازم البكري (ره) المنادي بكلمة السر:

يامنصور أمت! ممن شارك بثورة التوابين وقُتل فيها مما يوحى أنه اختفى أو سجن في أعقاب أحداث الكوفة أيام مسلم عليه السلام، وقس على ذلك نظراءهم من صفوة المجاهدين في حركة الثوار تحت راية مسلم بن عقيل عليه السلام.

أفهل يُعقل أن يتخلى أمثال هؤلاء عن مسلم عليه السلام ساعة العسرة ويتفرقوا عنه في لحظة غفلة منه ويتركوه في الطريق وحيداً غريباً؟

لاشك أن التاريخ حينما نقل لنا حادثه تفرقهم عن مسلم عليه السلام كان قد نقلها بظاهرها فقط، أي بطريقة «صورة بلاصوت» كما يعبر عنها في أيامنا هذه! وذلك لأنه لم يكن بمقدور التاريخ وهو يشاهد حركة الحدث من بُعد أن ينقل إلينا ما دار من حوار بين مسلم عليه السلام ومن بقي معه إلى آخر الأمر!

إنّ التاريخ لا يسجل الهمس والسرار! وإنّ ما يطمئن إليه المتتبع والمتأمل هو أن مسلماً عليه السلام اتفق مع هذه الصفوة على التفرق فرادى والإختفاء تربصاً بسنوح الفرصة للإلتحاق بركب الإمام الحسين عليه السلام القادم إلى العراق لمواصلة الجهاد بين يديه، فلم يكن تفرقهم عن مسلم عليه السلام إلّا بأمره وإذنه وعن امتثال لأمره! هذا ما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٣

يفرضه التصور السليم والتحليل الصحيح على أساس منطق الواقع وطبيعة الأشياء.

القائد المجاهد في ضيافة المرأة الصالحة طوعة ص : ١٤٣

لنعد إلى مواصلة معرفة ما جرى على القائد المفرد الغريب في قلب الكوفة ...

قال الطبري: «طوعة أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس فاعتقها، فتروّجها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً، «١» وكان بلال قد خرج مع الناس، وأمه قائمه تنتظره، فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه.

فقال لها: يا أمّة الله، إسقيني ماء!

فدخلت، فسقته، فجلس، وأدخلت الإناء ثم خرجت.

فقال: يا عبدالله، ألم تشرب؟!

قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك.

فسكت! ثم عادت فقالت مثل ذلك، فسكت!

ثم قالت له: فيء لله! سبحان الله! يا عبدالله، فمّر إلى أهلك عافاك الله، فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٤

فقال فقال: يا أمّة الله، مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجرٍ ومعروف؟ ولعلّي مكافئك به بعد اليوم!

فقال: يا عبدالله، وماذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبنى هؤلاء القوم وغزوني!

قالت: أنت مسلم؟

قال: نعم.

قالت: أدخل.

فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشَّ.

ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها، فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه فقال: والله إنه ليرينى كثرة دخولك هذا البيت منذ

الليلة وخروجك منه! إن لك لشأناً!

قالت: يا بُنَيَّ أله عن هذا.

قال لها: والله لتخبرني!

قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء.

فألحَّ عليها، فقالت: يا بُنَيَّ لا تُحدِّثنَّ أحداً من الناس بما أُخبرك به!

وأخذت عليه الأيمانَ فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت! وزعموا أنه قد كان شريداً «١» من الناس، وقال بعضهم كان يشرب مع

أصحاب له... «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٥

ابن زياد .. والمفاجأة السارة عند المساء ...! ص : ١٤٥

قال الشيخ المفيد (ره): «ولما تفرَّق الناس عن مسلم بن عقيل طال على ابن زياد، وجعل لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان

يسمع قبل ذلك، قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً؟

فأشرفوا فلم يروا أحداً!

قال: فانظروهم، لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم!

فزرعوا تخائج المسجد، وجعلوا يخفضون بشعل النار في أيديهم وينظرون فكانت أحياناً تُضيء لهم، وأحياناً لا تُضيء كما يريدون،

فدلّوا القناديل، وأطناب القصب تُشدُّ بالحبال فيها النيران، ثم تُدلى حتى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها

وأوسطها، حتى فعل ذلك بالظلمة التي فيها المنبر، فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد بتفرّق القوم. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٦

ففتح باب السدة التي في المسجد، ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى:

ألا برئت الذمة من رجل من الشُّرط والعرفاء والمناكب أو المقاتلة صلي العتمة إلّا في المسجد.

فلم يكن إلّا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، وأقام الحرس خلفه «١» وأمرهم بحراسته من أن يدخل

عليه أحدٌ يغتاله! وصلّى بالناس، ثم صعد المنبر: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد: فإنّ ابن عقيل السفية الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق! فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به

فله ديتة، إتقوا الله عباد الله، والزموا طاعتكم وبيعتمكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سيلاً. يا حصين بن نمير «٢» ثكلتك أمك إن ضاع

باب سكة من سكة الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة فابعث مراصد على أهل السكك،

وأصبح غداً فاستبرء الدور وجسّ خلالها، حتى تأتيني بهذا الرجل - وكان الحصين بن نمير على شرطته وهو من بني تميم - ثم دخل

ابن زياد القصر، وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمره على الناس .. «٣»

وفى رواية الفتوح: «ثم نزل عن المنبر، ودعا الحصين بن نمير السكوني فقال:

ثكلتك أمك إن فاتتك سكة من سكة الكوفة لم تطبق على أهلها أو يأتوك بمسلم

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٧

ابن عقيل! فوالله لئن خرج من الكوفة سالماً لثريقتن أنفسنا في طلبه! فانطلق الآن فقد سلطتك على دور الكوفة وسككها، فانصب

المراسد وجُدَّ الطلب حتى تأتيني بهذا الرجل..». (١)

وفي ذلك الصباح الأسود! ص : ١٤٧

ويواصل الشيخ المفيد (ره) سرد بقية القصة قائلاً: «فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يستغش ولا يتهم! ثم أفعده الى جنبه.

وأصبح ابن تلك العجوز، فغدا إلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه! فأقبل عبدالرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسارّه، فعرف ابن زياد سراره، فقال له ابن زياد بالقضيب في جنبه: قم فأنتي به الساعة. فقام، وبعث معه قومه، لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يُصاب فيهم مسلم بن عقيل، وبعث معه عبيدالله بن عباس السلمى في سبعين رجلاً من قيس، حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل..». (٢)

وفي رواية الفتوح: «.. وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم بن عقيل في دارها إلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فخبّره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه، فقال له عبدالرحمن: أسكت الآن ولا تعلم بهذا أحداً من الناس! (٣) قال: ثم أقبل عبدالرحمن بن محمد إلى أبيه فسارّه في أذنه وقال: إن مسلماً في دار طوعه! ثم تتخى عنه.

فقال عبيدالله بن زياد: ما الذي قال لك عبدالرحمن؟

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ١٤٨

فقال: أصلح الله الأمير، البشارة العظمى!

فقال: وما ذاك؟ ومثلك من بشر بخير!

فقال: إن ابني هذا يخبرني أن مسلم بن عقيل في دار طوعه، عند مولاه لنا.

قال: فسرّ بذلك، ثم قال: قم فأت به، ولك ما بذلت من الجائزة والحظ الأوفى!

قال: ثم أمر عبيدالله بن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزومي أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة رجل من صناديد أصحابه!

قال: فركب محمد بن الأشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل..». (١)

وفي رواية الدينوري أن عبيدالله بن زياد أمر ابن حريث أن يبعث معه مائة رجل من قريش، وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصية أن تقع! (٢)

وفي رواية الطبري أنه أمره أن يبعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس، وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يُصادف فيهم مثل ابن عقيل! (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ١٤٩

المعركة الأخيرة .. حرب الشوارع! ص : ١٤٩

كان سيّدنا مسلم بن عقيل عليه السلام قد أبى أن يأكل شيئاً في ليلته الأخيرة، وحرص على أن يُحييها بالعبادة والذكر والتلاوة فلم يزل قائماً وراكعاً وساجداً يصلّي ويدعو ربّه إلى أن انفجر عمود الصبح، لكنّه لشدة الإعياء من أثر القتال في النهار كان قد أخذته سنّة من النوم، فأرى في عالم الرؤيا عمّه أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام، وبشّره بسرعة التحاقه بمن مضى منهم عليهم السلام في أعلى عليين.

ففي كتاب نفس المهموم عن كتاب المنتخب للطريحي أنه: «لما أن طلع الفجر جاءت طوعه إلى مسلم بماء ليتوضأ.

قالت: يا مولاي، ما رأيتك رقدت في هذه الليلة!؟

فقال لها: إعلمي أنني رقدت رقدة فرأيت في منامي عمي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: الوحاء الوحاء، العجل العجل! وما أظن إلا أنه آخر أيامي من الدنيا!». «١»

يقول الطبري: «فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار! ثم عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبُكير بن حمران الأحمرى ضربتين، فضرب بُكير فمّ مسلم فقطع شفته العليا وشرع السيف في السفلى ونصّلت له ثنيتاه، فضربه مسلم ضربه في رأسه مُنكرة وثني بأخرى على جبل العاتق كادت تطلع على جوفه!، فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة ويُلهبون النار في أطناّب القصب ثم يقلبونها عليه من فوق البيت!، فلما رأى ذلك خرج عليهم مُصلّياً بسيفه في السكّة فقاتلهم!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٠

فأقبل عليه محمّد بن الأشعث فقال: يا فتى! لك الأمان، لا تقتل نفسك! «١» فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمتُ لا أقتلُ إلا حُرّاً وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكراً

كُلُّ امرئٍ يوماً مُلاقٍ شراً ويُخطُّ البارد سُخناً مُراً

رُدّ شعاع الشمس فاستقرا أخاف أن أكذب أو أغرأ «٢»

فقال له محمّد بن الأشعث: إنك لا تُكذب ولا تُخدع ولا تُغزأ! إن القوم بنو عمك، وليسوا بقاتليك ولا ضاريك! وقد أُنخن بالحجارة وعجز عن القتال، وانهر فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فدنا محمّد بن الأشعث فقال: لك الأمان! فقال: آمن أنا؟

قال: نعم! وقال القوم: أنت آمن!

غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي فإنه قال: لاناقة لي في هذا ولا جمل وتنحى.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥١

وقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعتُ يدي في أيديكم! وأتى ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه من عنقه! فكأنه عند ذلك آيس من نفسه، فدمعت عيناه، ثم قال: هذا أول الغدر!

قال محمّد بن الأشعث: أرجو ألا يكون عليك بأس!

قال: ما هو إلما الرجاء؟! أين أمانكم؟! إننا لله وإننا إليه راجعون! وبكى، فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس: إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك!

قال: إني والله ما لنفسى أبكى، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكى لأهلي المُقبلين إليّ! أبكى لحسين وآل حسين!

ثم أقبل على محمّد بن الأشعث فقال: يا عبد الله، إنني أراك والله ستعجز عن أمانى! فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يُبلغ حسيناً، فإنني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً أو هو خرج غداً، هو وأهل بيته، وإن ما ترى من جزعي لذلك! فيقول إن ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير! لا يرى أن تمشي حتى تُقتل! وهو يقول إرجع بأهل بيتك ولا يغزك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل! إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذوب رأى.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلنّ، ولأعلمنّ ابن زياد أنني قد آمنتك! «١»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٢

... وأقبل محمّد بن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر فاستأذن فأذن له، فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بُكير إياه، فقال: بُعداً له! فأخبره محمّد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه، فقال عبيد الله: ما أنت والأمان؟! كأننا أرسلناك تؤمنه؟! إنما أرسلناك

تأتينا به. فسكت!

وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان، وعلى باب القصر ناسٌ جلوس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبه بن أبي معيط، وعمرو بن حُرَيْث، ومسلم بن عمرو، وكثير بن شهاب .. فإذا قُلَّةٌ باردةٌ موضوعةٌ على الباب.

فقال ابن عقيل: أستقوني من هذا الماء.

فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم!

قال له ابن عقيل: ويحك! من أنت؟

قال: أنا ابن من عرف الحقَّ إذ أنكرته! ونصح لإمامه إذ غششته! وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت! أنا مسلم بن عمرو الباهلي.

فقال ابن عقيل: لإمك التُّكل، ما أجفاك وما أظفك وأقسى قلبك وأغلظك؟! أنت يا ابن باهله أولى بالجحيم والخلود في نار جهنم مني. ثم جلس متسانداً إلى حائط ...

وروى الطبري أيضاً: أن عمرو بن حُرَيْث بعث غلاماً له يُدعى سليمان فجاءه بماءٍ في قُلَّةٍ فسقاه ...

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٣

وروى أيضاً: أن عمارة بن عقبه بعث غلاماً له يُدعى قيساً فجاءه بقُلَّةٍ عليها منديل، ومعه قدح، فصبَّ فيه ماءً ثم سقاه، فأخذ كُلمًا شرب امتلاً القدح دماً! فلما ملأ القدح المرَّة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثيِّتاه فيه! فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم شربته!». «١»

ورواية أخرى أشدُّ صدقاً وحرارةً ..! ص: ١٥٣

روى ابن أعثم الكوفي: «قال: وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال فعلم أنه قد أتى في طلبه، فبادر رحمه الله إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصبَّ عليه درعه، وأعتجر بعمامة، وتقلَّد بسيفه، والقوم يرمون الدار الحجاره، ويهلون النار في نواحي القصب. قال: فتبسَّم مسلم رحمه الله! ثم قال: يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا عنه محيد! ثم قال للمرأة: أي رحمك الله وجزاك عنى خيراً، أعلمى أنما أوتيت من قبل ابنك! ولكن افتحي الباب.

قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنه أسدٌ مُغضب!، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل منهم جماعة! «٢»

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٤

وبلغ ذلك عبيدالله بن زياد، فأرسل إلى محمَّد بن الأشعث وقال: سبحان الله يا عبدالله! بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به فأثلم (بأصحابك هذه الثلمة العظيمة! فكتب) إليه محمَّد بن الأشعث: أيها الأمير! أما تعلم أنك بعثتني إلى أسدٍ ضرغام، وسيف حسام، في كَفَّ بطل همام من آل خير الأنام؟! «١»

قال: فأرسل إليه عبيدالله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنك لن تقدر عليه إلَّا بالأمان. «١»

فجعل محمَّد بن الأشعث يقول: ويحك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، لك الأمان! ومسلم بن عقيل يقول: لاجأه إلى أمان الغدرة! ثم جعل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتلُ إلَّا حُرًّا ولو وجدت الموت كأساً مرًّا

أكره أن أُخدعَ أو أُغرَّأَ كلَّ امرئٍ يوماً يلاقى شراً

أضربكم ولا أخافُ ضراً

قال: فناده محمَّد بن الأشعث وقال: ويحك يا ابن عقيل! إنك لا تكذب ولا تُغرِّ! القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك!

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٥

قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيل رحمه الله إلى كلام ابن الأشعث، وجعل يقاتل حتى أثنى بالجراح وضعف عن القتال، وتكاثروا عليه

فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة!

فقال مسلم: ويلكم! ما لكم ترمونني بالحجارة كما تُرمى الكفار؟! وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار! ويلكم، أما ترعون حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته؟! قال: ثم حمل عليهم على ضعفه فكسرهم! وفرقهم في الدروب! ثم رجع وأسند ظهره إلى باب دار هناك، فرجع القوم إليه، فصاح بهم

محمد بن الأشعث:

ذروه حتى أكلمه بما يريد.

قال: ثم دنا منه ابن الأشعث حتى وقف قبالته وقال: ويلك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي!

فقال له مسلم: أتظن يا ابن الأشعث أنني أعطى بيدي أبداً وأنا أقدر على القتال؟! لا والله لا كان ذلك أبداً!

ثم حمل عليه حتى ألحقه بأصحابه، ثم رجع إلى موضعه فوقف وقال: ألهم إن العطش قد بلغ مني! فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولا يقرب منه!

فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إن هذا لهو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع! إحملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة!

قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصده من أهل الكوفة رجل يُقال له بكير بن حمران الأحمرى، فاختلفا بضربتين فضربه بكير ضربة على شفته العليا،

مع الراكب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٦

وضربه مسلم بن عقيل ضربه فسقط الى الأرض قتيلاً «١»

قال: فظعن من ورائه طعنه فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه، وتقدم رجل من بنى سليمان يُقال له عبيدالله بن العباس فأخذ عمامته! «٢»

ونقل «أنهم احتالوا عليه وحفروا له حفرة عميقة في وسط الطريق، وأخفوا رأسها بالدغل والتراب، ثم انطردوا بين يديه، فوقع بتلك الحفرة، وأحاطوا به، فضربه ابن الأشعث على محاسن وجهه، فلعب السيف في عرنيين أنفه ومحاجر عينيه حتى بقيت أضراسه تلعب في فمه! فأوثقوه وأخذوه أسيراً الى ابن زياد ..» «٣»

محمد بن الأشعث يسلب مسلماً عليه السلام سلاحه! ص : ١٥٦

روى المسعودى قائلاً: «وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمة يهجو فيها ابن الأشعث:

وتركت عمك «٤»

أن تقاتل دونه فشلاً، ولولا أنت كان منيعاً

وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسياً له ودروعا». «٥»

مع الراكب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٧

كلمة الحق الجريئة تزلزل قصر الخيال والضلال! ص : ١٥٧

روى ابن أعثم الكوفى: «قال: فأدخل مسلم بن عقيل على عبيدالله بن زياد فقال له الحرسى: سلم على الأمير!

فقال له مسلم: أَسَكَتَ لَأُمَّ لَكَ! مَالِكٌ وَلِلْكَلامِ؟! وَاللَّهِ لَيْسَ هُوَ لِي بِأَمِيرٍ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ! «١» وأخرى فيما ينفَعنى السلام عليه وهو يريد قتلى؟! فَإِنْ اسْتَبْقَانِي فسيكثر عليه سلامي! «٢»

فقال له عبيدالله بن زياد: لا عليك! سَلِمْتَ أَمْ لَمْ تَسَلَمْ، فَإِنَّكَ مَقْتُولٌ!

فقال مسلم بن عقيل: إِنْ قَتَلْتَنِي فَقَدْ قَتَلَ شَرُّ مَنْكَ مِنْ كَانَ خَيْرًا مِنِّي!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٨

فقال له ابن زياد: يا شاق! يا عاق! خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة!

فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد! والله ما كان معاوية خليفة بإجماع الأمة، بل تغلب على وصي النبي بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة

بالغضب، وكذلك ابنه يزيد! وأما الفتنة فإنك ألحقتها أنت وأبوك زياد بن علاج من بني ثقيف! وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة

على يدي شرّ بريته! فوالله ما خالفت ولا كفرت ولا بدلت! وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي، بن فاطمة بنت رسول الله

صلى الله عليه وآله، ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد!

فقال له ابن زياد: يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة؟! «١»

فقال مسلم بن عقيل: أحقُّ والله بشرب الخمر مني من يقتل النفس الحرام (ويقتل على الغضب والعداوة والظن) وهو في ذلك يلهو

ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً!

فقال له ابن زياد: يا فاسق! متتكت نفسك أمراً أحالك الله دونه وجعله لأهله!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٩

فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يا ابن مرجانة؟! «١»

فقال: أهله يزيد ومعاوية!

فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله، كفى بالله حكماً بيننا وبينكم!

فقال ابن زياد لعنه الله: أتظن أن لك من الأمر شيئاً؟

فقال مسلم بن عقيل: لا والله ما هو الظن ولكنه اليقين!

فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك!

فقال مسلم: إنك لاتدع سوء القتل وقبح المثلثه وخبث السريره! «٢» والله لو كان معي عشرة ممن أثق بهم، وقدرت على شربه من ماء

لطال عليك أن تراني في هذا القصر! ولكن إن عزمت على قتلي ولا بد لك من ذلك فأقم إلي رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد.

فوثب «٣» إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: أوص إلي بما تريد يا ابن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٠

عقيل! «١» فقال له مسلم: أوصيك بتقوى الله، فإن التقوى درك كل خير، ولي إليك حاجة!

فقال عمر: قل ما أحببت.

فقال: حاجتي إليك أن تسترد فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه، وتقضى عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم هذا، وأن

تستوهب جثتي إن قتلني هذا الفاسق! فتواريني في التراب، وأن تكتب للحسين: أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي!

فقال عمر بن سعد: أيها الأمير! إنه يقول كذا وكذا! «٢»

فقال ابن زياد: يا ابن عقيل! أميا ما ذكرت من دينك فإنما هو مالك تقضى به دينك، ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأما

جسدك فإننا إذا قتلناك فالخيار لنا، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك! «٣» وأما الحسين فإنه إن لم يُردنا لم نرده، وإن ارادنا

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦١

لم نكف عنه!)، ولكنني أريد أن تخبرني يا ابن عقيل، بماذا أتيت الى هذا البلد؟

شئت أمرهم، وفرقت كلمتهم، ورميت بعضهم على بعض!

فقال مسلم بن عقيل: ليس لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس من غير رضا، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملمت فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لأمر فيهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا، فإننا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج على إمام هدى، وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غضباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان! ولانعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تبارك وتعالى: «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» (١)

.. فجعل ابن زياد يشتم علياً والحسن والحسين رضي الله عنهم!

فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيمة منهم! فاقض ما أنت قاض! فنحن أهل بيت موكول بنا البلاء!

فقال عبيد الله بن زياد: إلحقوا به إلى أعلى القصر فاضربوا عنقه، وألحقوا رأسه جسده! (٢)

فقال مسلم رحمه الله: أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريش أو كان بيني

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٢

وبينك رحم أو قرابة لما قتلنتي، ولكنك ابن أبيك!

قال: فأدخله ابن زياد القصر، ثم دعا رجلاً من أهل الشام قد كان مسلم بن عقيل ضربه على رأسه ضربه منكرة، فقال له: خذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر، واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك!». (١)

أول شهداء النهضة الحسينية من بني هاشم ص : ١٦٢

«فأصعد مسلم بن عقيل رحمه الله إلى أعلى القصر، وهو في ذلك يسبح الله تعالى ويستغفره، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غزونا وخذلونا.

فلم يزل كذلك حتى أتى به إلى أعلى القصر، وتقدم ذلك الشامي ف ضرب عنقه!». (٢)

وفي رواية الطبري: «.. ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه. فدعى، فقال: إصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه! فضد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غزونا وكذبونا وأذلونا. وأشرف به على موضع الجزارين (٣) اليوم ف ضربت عنقه، وأتبع جسده رأسه!». (٤)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٣

وفخراً عند الموت! ص : ١٦٣

«.. نزل الأحمرى بكبير بن حمران (١) الذي قتل مسلماً، فقال له ابن زياد: قتلته؟

قال: نعم.

قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟

قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر! فلما أدنيت له لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وخذلونا وقتلونا! فقلت له: أدن مني، الحمد لله الذي أقادني منك! ف ضربته لم تغن شيئاً! فقال: أما ترى في خدش خدشيه وفاء من دمك أيها العبد؟! فقال ابن زياد: وفخراً عن الموت؟؟

قال: ثم ضربته الثانية فقتلته..» (٢)

وكم من آية لله أعرض عنها ابن زياد!! ص : ١٦٣

قال ابن أعثم الكوفي: «ثم نزل الشامي إلى عبيدالله بن زياد وهو مدهوش!

فقال له ابن زياد: ما شأنك؟! أقتلته؟

قال: نعم، أصلح الله الأمير! إلا أنه عرض لي عارض، فأنا له فزع مرهوب!

فقال: ما الذي عرض لك؟!

قال: رأيت ساعة قتلته رجلاً حذاي، أسود كثير السواد، كربه المنظر، وهو عاض على إصبعيه - أو قال: شفتيه - ففزعت منه فزعاً لم أفزع قط مثله!

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٤

فتبسّم ابن زياد وقال له: لعلك دُهِشت؟! وهذه عادة لم تعتدها قبل ذلك!!..» (١)

مقتل هاني بن عروة (رض) ص : ١٦٤

«قال: ثم أمر عبيدالله بن زياد بهاني بن عروة أن يخرج فيلحق بمسلم بن عقيل، فقال محمد بن الأشعث: أصلح الله الأمير، إنك قد عرفت شرفه في عشيرته، وقد عرف قومه أنني وأسماء بن خارجة جئنا به إليك فأنشدك الله أيها الأمير (إلا) وهبته لي، فإني أخاف عداوة أهل بيته! فإنهم سادات أهل الكوفة وأكثرهم عدداً!

قال: فزبره ابن زياد! ثم أمر بهاني بن عروة فأخرج إلى السوق إلى موضع يُباع فيه الغنم، وهو مكتوف.

قال: وعلم أنه مقتول فجعل يقول: وامدحجاه! واعشيرتاه!

ثم أخرج يده من الكتاف وقال: أما من شيء فأدفع به عن نفسي؟! (٢)

قال: فصكّوه، ثم اوثقوه كتافاً، فقالوا: أمدد عنقك!

فقال: لا والله، ما كنت الذي أعينكم على نفسي..» (٣)

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٥

فتقدّم إليه غلام لعبيدالله بن زياد يُقال له رشيد، (١) فضربه بالسيف فلم يصنع شيئاً!

فقال هاني: إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتك ورضوانك، اللهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي! فإني إنما تعصيت لابن بنت نبيك صلى الله عليه وآله.

فتقدّم رشيد وضربه ضربة أخرى فقتله رحمه الله..» (٢)

سحل الشهيدان في الشوارع والسوق! ص : ١٦٥

ثم قام جلاوزة ابن زياد لعنهم الله بسحل الجثتين الزكيتين في الشوارع وفي السوق، فقد روى الطبري أن عبدالله بن سليم، والمذري بن المشمل، الأسديين أخبرا الإمام الحسين عليه السلام في منطقة زرود عن لسان الأسد الذي كان يحمل خبر مقتل مسلم عليه السلام أنه «لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وحتى رأهما يُجران في السوق بأرجلهما..» (٣)

صلب الشهداء منكسين! ص : ١٦٥

«ثم أمر عبيدالله بن زياد بمسلم بن عقيل وهانىء بن عروة رحمهما الله فصيلا جميعاً منكسين، وعزم أن يوجه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية..» (٤)

«ولما صلب مسلم بن عقيل، وهانىء بن عروة، قال فيهما عبدالله بن الزبير مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٦٦

الأسدى:

إذا كنت لاتدرين ما الموت فانظري إلى هانىء بالسوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى من طمار قتيل
ترى جسداً قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحيى من فتاه حية وأقطع من ذى شفرتين صقيل
وأشجع من ليث بخفان مصحر وأجراً من ضار بغابة غيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا أحاديث من يسرى بكل سبيل
أيركب أسماء (١)

الهماليج آمنأ وقد طلبته مذحج بدخول
تطوف حواليه مراد وكلهم على رقة من سائل ومسول
فإن أنتم لم تتأروا لأخيكم فكونوا بغايا أرضيت بقليل..» (٢)

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٦٧

انتقام ابن زياد من بقية التوار! ص : ١٦٧**التائر عبدالأعلى بن يزيد الكلبى ص : ١٦٧**

«ثم إن عبيدالله بن زياد لما قتل مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة دعا بعبدالأعلى الكلبى الذى كان أخذه كثير بن شهاب فى بنى فتیان، فأتى به، فقال له:

أخبرنى بأمرك!

فقال: أصلحك الله خرجت لأنظر ما يصنع الناس، فأخذنى كثير بن شهاب!

فقال له: فعليك وعليك من الأيمان المغلظة إن كان أخرجك إلأ ما زعمت!؟

فأبى أن يحلف! فقال عبيدالله: انطلقوا بهذا إلى جبانة السبع فاضربوا عنقه بها! .. فانطلق به فضربت عنقه.

التائر عمارة ابن صلخب الأزدي ص : ١٦٧

وأخرج عمارة ابن صلخب الأزدي، وكان ممن يريد أن يأتى مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره، فأتى به أيضاً عبيدالله، فقال له: ممن أنت!؟

قال: من الأزدي.

قال: إنطلقوا به إلى قومه! فُضرت عنقه فيهم!». (١)

التائر القائد عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي «٢» ص : ١٦٧

«فارس شجاع من الشيعة في الكوفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام،

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٨

وشهد مشاهدته، وباع لمسلم وكان يأخذ البيعة له، وأمر ابن زياد بقتله». (١)

وهو أحد القادة الأربعة الذين عقد لكل منهم مسلم عليه السلام رايته، وعقد له مسلم عليه السلام على ربع كنده وربيعة وقال: ستر أمامي في الخيل. (٢)

التائر القائد العباس بن جعدة الجدلي ص : ١٦٨

«كان من الشيعة المخلصين في الولاء، وباع مسلماً، وكان يأخذ البيعة للحسين عليه السلام، ولما تخاذل الناس عن مسلم أمر ابن زياد

بالقبض عليه وحبسه، ثم بعد شهادة مسلم قُتل شهيداً». (٣)

وهو الذي عقد له مسلم عليه السلام على ربع المدينة. (٤)

التائر القائد المختار وعبد الله بن الحارث ص : ١٦٨

كان المختار (ره) وعبد الله بن الحارث بن نوفل قد خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبد الله براية حمراء وعليه

ثياب حمراء. (٥)

ولكنهما دخلا الكوفة بعد فوات الأمر وانتهاء الحصار وبعد قتل مسلم عليه السلام وهاني (رض)، «٦» فلتيا عرفا ذلك، ركز المختار

رايته على باب عمرو بن حُرث وقال: أردت أن أمنع عمراً! وأشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٩

بن حُرث ففعلا، وشهد لهما ابن حُرث باجتناهما ابن عقيل! فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب

فشتر عينه (فذهبت عينه)، «١» وبقي في السجن إلى أن قُتل الحسين عليه السلام!». (٢)

تقرير ابن زياد الأمتى إلى يزيد! ص : ١٦٩

«ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهانئاً بعث برؤوسهما مع هاني بن أبي حية الوادعي، والزيير بن الأرواح التميمي، إلى يزيد بن

معاوية وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانيء، فكتب إليه كتاباً أطال فيه - وكان أول من أطال في الكتب - فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال ما هذا التطويل وهذه الفضول؟! أكتب:

أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوة، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار

هانيء بن عروة المرادي، وإني جعلت عليهما العيون، ودستت إليهما الرجال، وكذتُهما حتى استخرجهما! وأمكن الله منهما فقدمتهما

فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هاني بن أبي حية الهمداني، والزيير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع

والطاعة والنصيحة! فليسألها أمير المؤمنين عما أحب من أمر فإن عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً! والسلام». (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٠

«فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب! عملت عمل الحازم، وصيرت صولة الشجاع الرابط الجأش! فقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت! فاستوص بهما خيراً، وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن! وخذ على التهمة! غير ألا تقتل إلا من قاتلك! واكتب إلي في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله..» (١)

وذكر ابن شهر آشوب أن يزيد لعنه الله نصب الرأسين الشريفين في درب من دمشق. (٢)

وروى اليعقوبي أن يزيد كان قد كتب الى ابن زياد يأمره بقتل الإمام الحسين عليه السلام، قال اليعقوبي: «وأقبل الحسين من مكة يريد العراق، وكان يزيد قد ولي عبيد الله بن زياد العراق، وكتب إليه: قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم، وقد بلى به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتله وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد! فاحذر أن يفوتك!». (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧١

إغلاق ورصد المناطق والمنافذ الحدودية الكوفية! ص : ١٧١

قال الشيخ المفيد (ره): «ولما بلغ عبيد الله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية، ونظم ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القططانية، وقال للناس هذا الحسين يريد العراق!»، (١) «وكان عبيد الله بن زياد أمر فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة! فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج!». (٢)

وقال الدينوري: «ثم إن ابن زياد وجه الحصين بن نمير - وكان على شرطه - في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة!، وأمره أن يُقيم بالقادسية إلى القططانية، فيمنع من أراد النفوذ من ناحية الكوفة إلى الحجاز، إلا من كان حاجياً أو معتمراً، ومن لا يتهم بممالة الحسين!». (٣)

وفي أنساب الأشراف: «حتى نزل القادسية ونظم الخيل بينها وبين خفان، وبينها وبين القططانية إلى لعل». (٤)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٢

تعبئة الكوفة، وتجميد الثغور، استعداداً لقتال الإمام عليه السلام ص : ١٧٢

ثم إن ابن زياد بالغ في إشاعة الرعب والخوف في أوساط أهل الكوفة، من خلال إجراءات إرهابية عديدة، تمهيداً لتعبئتهم وتوجيههم إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام، لعلهم بأن جُل أهل الكوفة يكرهون (١) التوجه لقتاله عليه السلام، «فقد كان يحكم بالموت على كل من يتخلف أو يرتدع عن الخوض في المعركة». (٢)

كما جمّد الثغور ووجه عساكرها إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام، فقد روى ابن عساكر «عن شهاب بن خراش، عن رجل من قومه: كنت في الجيش الذي بعثهم ابن زياد إلى حسين، وكانوا أربعة آلاف يريدون الديلم، فصرفهم عبيد الله إلى حسين ..». (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٣

الفصل الثالث: وقائع منازل الطريق بين مكة وكربلاء ص : ١٧٣

إشارة

فشلت محاولة والي مكة آنذاك عمرو بن سعيد الأشدق لإرجاع الامام الحسين عليه السلام إلى مكة بالقوة، حيث أبقى الإمام عليه

السلام الرجوع وتدافع الفريقان (رجال الركب الحسيني وجند الأشدق) واضطربوا بالسياط، فتراجع الأشدق عن قرار المنع بعد أن خشي من تفاقم الأمر عليه!

وجد الركب الحسيني في المسير نحو العراق، وكان قد مرَّ في طريقه من مكة حتى وصوله الى كربلاء بمواقع ومنازل عديدة، بقي الإمام الحسين عليه السلام في بعضها يوماً وليلة، ولبث في بعضها الآخر يوماً، ولم يبق في بعض آخر إلا ساعات قليلة، وتوقف في بعض آخر لأداء الصلاة فقط، ومرَّ على بعضها مرور الكرام بلا توقف، وأهمُّ هذه المواقع والمنازل على الترتيب هي:

١- بستان بنى عامر (أو ابن عامر) «١» ص: ١٧٣

روى أن الشاعر الفرزدق «٢» كان قد لقي الإمام الحسين عليه السلام قبل خروج الركب

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٦

الحسيني من الحرم إلى أرض الحلّ، فقد ورد عن لسان الفرزدق أنه قال:

«حججتُ بأمي في سنة ستين، فبينما أنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم إذ لقيتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام خارجاً من مكة مع أسيافه وأتراسه فقلتُ: لمن هذا القطار؟

فقال: للحسين بن عليّ عليهما السلام.

فأتيته فسلمت عليه وقلت له: أعطاك الله سؤلك، وأملكك فيما تحبُّ، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الحجِّ؟!

فقال: لولم أعجل لأخذتُ! «١»

ثم قال لي: من أنت؟

قلتُ: امرؤ من العرب!

فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك ..

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٧

ثم قال لي: أخبرني عن الناس خلفك؟

فقلتُ: الخبير سألت، قلوب الناس معك وأسيافهم عليك «١» والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء!

فقال: صدقت، لله الأمر، وكلّ يوم هو في شأن! إن ينزل القضاء بما نحبّ ونرضى فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحقّ نيتته والتقوى سريرته.

فقلت له: أجل، بلغك الله ما تحبّ، وكفاك ما تحذر.

وسألته عن أشياء من نذور ومناسك، فأخبرني بها، وحزّك راحلته، وقال:

السلام عليك. ثم افترقنا! «٢»

ويبدو أنّ مكان هذا اللقاء هو بستان بنى عامر الذي ذكره سبط ابن الجوزي في نقله خبر لقاء الفرزدق مع الإمام عليه السلام حيث قال:

«فلما وصل بستان بنى عامر

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٨

لقي الفرزدق الشاعر، وكان يوم التروية، فقال له: إلى أين يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الموسم؟!

قال: لولم أعجل لأخذتُ أخذاً! فأخبرني يا فرزدق عمّا ورائك؟

فقال: تركتُ الناس بالعراق قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية، فاتّق الله في نفسك وارجع! «١»

فقال له: يا فرزدق، إنّ هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا

الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا.

فأعرض عنه الفرزدق وسار! «٢». «٣»

ف «بستان ابن عامر هو أول منزل مرَّ به الحسين عليه السلام». «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٩

٢- التنعيم ص: ١٧٩

إشارة

وهو موضع في حلّ مكّة، على فرسخين من مكّة (١٢ كم)، وقيل على أربعة، وسَمِيَ بذلك لأنَّ جبلًا عن يمينه يُقال له نعيم، وآخر عن شماله يُقال له ناعم، والوادي نعلان، ومن موضع التنعيم يُحرم المكيون بالعمرة. «١»

قال البلاذري: «ولقى الحسين بالتنعيم غيراً قد أُقبل بها من اليمن، بعث بها بجير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله على اليمن، وعلى العير ورسٌ وحُلل، ورسله فيها ينطلقون إلى يزيد، فأخذها الحسين فانطلق بها معه، وقال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم، من أحبَّ أن يمضي معنا إلى العراق وفيناه كراه وأحسنًا صحبتته، ومن أحبَّ أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطينا من الكراه على قدر ما قطع من الأرض. فأوفى من فارقه حقه بالتنعيم، وأعطى من مضى معه وكساهم ..». «٢»

لكنَّ الشيخ المفيد (ره) روى قصة هذه العير هكذا: «وسار حتّى أتى التنعيم، فلقى غيراً قد أُقبلت من اليمن، فاستأجر من أهلها جملاً لرحله وأصحابه، وقال لأصحابها: من أحبَّ أن ينطلق معنا إلى العراق وفيناه كراه وأحسنًا صحبتته، ومن أحبَّ أن يفارقنا في بعض الطريق أعطينا كراه على قدر ما قطع من الطريق. فمضى معه قوم وامتنع آخرون..». «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٠

هل صادر الإمام عليه السلام الوركس والحلّ فعلاً؟ ص: ١٨٠

قال المحقق القرشي: «وقد أنقذ الإمام عليه السلام هذه الأموال من أن تُنفق على موائد الخمور، وتدعيم الظلم، والإساءة إلى الناس، وقد تقدّم أنّ الإمام عليه السلام قام بنفس هذه العملية أيام معاوية. «١» وقد ذهب آية الله المغفور له السيّد مهدي آل بحر العلوم إلى عدم صحة ذلك، فإنَّ مقام الإمام عليه السلام أسمى وأرفع من الإقدام على مثل هذه الأمور، «٢» والذي نراه أنه لا مانع من ذلك إطلاقاً، فإنَّ الإمام كان يرى الحكم القائم في أيام معاوية ويزيد غير شرعي، ويرى أنّ أموال المسلمين تُنفق على فساد الأخلاق ونشر العيب والمجون، فكان من الضروري إنقاذها لتنفق على الفقراء والمحتاجين، وأيّ مانع شرعي أو اجتماعي من ذلك؟». «٣»

ولقد علّق السيد ابن طاووس (ره) في ضمن خبر قصة هذه العير قائلاً: «فأخذ الهدية لأنَّ حكم أمور المسلمين إليه..». «٤» ويقول القول بأنَّ الإمام عليه السلام قد استولى على هذه الهدايا الموجهة إلى يزيد، أنّ هناك روايات عديدة تتحدث عن ورس قد انتهب من مخيم الإمام الحسين عليه السلام بعد مقتله. «٥»

هل التقى الإمام الحسين ابن عمر في التنعيم؟ ص: ١٨٠

نقل لنا التاريخ خبر آخر لقاء لعبدالله بن عمر مع الإمام الحسين عليه السلام بعد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨١

خروجه من مكة، «١» ففي أمالي الشيخ الصدوق (ره): «وسمع عبدالله بن عمر بخروجه، فقدّم راحلته وخرج خلفه مسرعاً، فأدركه في بعض المنازل.

فقال: أين تريد يا ابن رسول الله!؟

قال: العراق!

قال: مهلاً، إرجع إلى حرم جدك!

فأبى الحسين عليه السلام عليه، فلما رأى ابن عمر إباءه، قال: يا أبا عبدالله، إكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله صلى الله عليه و آله يقبله منك!

فكشف الحسين عليه السلام عن سرّته، فقبلها ابن عمر ثلاثاً وبكى وقال: أستودعك الله يا أبا عبدالله، فإنك مقتول في وجهك هذا!.. «٢»

وفي بعض المصادر: أنه أدركه على ميلين من مكة، «٣» وفي أخرى: أنه أدركه على مسير ليلتين أو ثلاث من المدينة، «٤» فقال: أين تريد؟

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٢

قال: العراق!- وكان معه طوامير وكتب-

فقال له: لا تأتهم!

فقال: هذه كتبهم وبيعتهم!

فقال: إن الله عزّ وجلّ خير نبيّه بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة ولم يُرد الدنيا، وإنكم بضعة من رسول الله صلى الله عليه و آله، والله لا يليها أحد منكم أبداً! وما صرفها الله عز وجلّ عنكم إلّا للذي هو خير لكم، فارجعوا!

فأبى وقال: هذه كتبهم وبيعتهم!

قال فاعتقه ابن عمر وقال: استودعك الله من قتيل!.. «١»

ولم نعر في مصدر من المصادر التاريخية- حسب متابعتنا- على تشخيص دقيق لمكان هذا اللقاء وتحديده، فقد كان هذا اللقاء في (بعض المنازل!) على رواية أمالي الصدوق، وكانت الإشارة إليه في مصادر أخرى تتحدث عن: ميلين من مكة! أو مسير ليلتين أو ثلاث من المدينة!

نعم: صرح المحقق السماوي (ره) ضمن استعراضه لمسیر الإمام عليه السلام من مكة الى العراق بأنّ هذا اللقاء كان في (التنعيم) حيث

قال (ره): «ثم أصبح فسار، فمانعه ابن عباس وابن الزبير فلم يمتنع، ومرّ بالتنعيم فمانعه ابن عمر، وكان على ماء له فلم يمتنع...» «٢»

غير أنّ السماوي (ره) لم يُشر إلى المصدر الذي أخذ عنه هذا التحديد والتشخيص، ولعلّه (ره) كان قد استنتج- أنّ هذا اللقاء كان في التنعيم- استنتاجاً

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٣

من أكثر من إشارة ودلالة تاريخية، أو لعلّه (ره) كان قد أراد عبدالله بن مطيع العدوي بدلاً من عبدالله بن عمر، لكنّ قلمه الشريف كتب ابن عمر بدلاً من ابن مطيع سهواً وعفواً، ذلك لأنّ ابن مطيع في لقائه الأخير مع الامام عليه السلام كان على ماء له وليس ابن عمر! والله العالم.

«لقد كان عبدالله بن عمر لساناً من الألسنة التي خدمت الحكم الأموي، بل كان بوقاً أمويّاً حرص على عزف النغمة النشاز في أنشودة المعارضة! وسعى إلى تحطيم المعارضة من داخلها، ولايعبأ بما صورّه به بعض المؤرخين من أنّه كان رمزاً من رموزها، لأنّ المتأمل المتدبر لا يجد لابن عمر هذا أيّ حضور في أيّ موقف معارضٍ جاد! بل يراه غائباً تماماً عن كل ساحة صدق في المعارضة! وإذا تأمل المحقّق ملياً وجد عبدالله بن عمر ينتمي انتماءً تاماً- عن إصرار وعناد- إلى حركة النفاق التي قادها حزب السلطة منذ البدء، ثم لم يزل يخدم فيها حتّى في الأيّام التي آلت قيادتها فيها إلى الحزب الأموي بقيادة معاوية، ثم يزيد! هذه هي حقيقة ابن عمر، وإنّ تكلف علاقات حسنة في الظاهر مع وجوه المعارضة عامّة ومع الإمام الحسين عليه السلام خاصّة، وحقيقة ابن عمر هذه يكشف عنها معاوية لابنه يزيد في وصيته إليه بلا رتوش نفاقية حيث يقول له: «فأما ابن عمر فهو معك! فالزمه ولا تدعه!». «١». «٢»

وهنا في هذا اللقاء أيضاً نجد ابن عمر يتحدّث عن لسان الأمويين بصورة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٤

غير مباشرة، فمعاوية الذي أشاع في الناس الفكر الجبري بأنّ حكمه ومايفعله بالأمة من قضاء الله الذي لايبدل! وليس للأمة إلّا التسليم أمام الإرادة الإلهية في ذلك! أذاع في الناس أيضاً من خلال كثير من وعاظ السلاطين- أمثال عبدالله بن عمر- أنّ الله اختار لآل النبي صلى الله عليه وآله الآخرة ولم يُرد لهم الدنيا بمعنى أنّ هؤلاء المصطفين لم يُرد الله لهم أن يكونوا حكاماً!! ولذا فقد صرفها عنهم لما هو خيرٌ لهم!!

والأعجب أنّ ابن عمر في ذروة اندفاعه- امثالاً لأمر الأمويين- لمنع الإمام عليه السلام من مواصلة سفره إلى العراق، ينسى نفسه ويذهل عن أنّه يخاطب أحد أفراد العترة المطهّرة- الذين هم مع القرآن والقرآن معهم لايفارقهم، والذين هم أعلم الخلق بإرادة الله في التشريع والتكوين- فيقول له: والله لايلبها أحدٌ منكم أبداً!! مخالفاً بذلك لصريح الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة المتواترة، لا أقلّ في ما أجمعت عليه الأمة عن نبيها صلى الله عليه وآله في أنّ المهديّ عليه السلام وهو من ولد فاطمة عليها السلام، ومن ولد الحسين عليه السلام، هو الذي سوف يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً!

لقد كان منتهى ما يتمناه ابن عمر- الأمويّ الهوى- هو أنّ يمنع الإمام عليه السلام من أصل القيام والنهضة، لا من السفر إلى العراق فحسب، ولذا نراه يعبر بعد فشله في مسعاه عن هذه الأمنية الخائبة فيقول: «غلبنا الحسين بن عليّ بالخروج! ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي أن لايتحرّك ما عاش!! وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس!! فإنّ الجماعة خير ..». «١»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٥

لقد كان أفضل ردّ عليّ منطلق ابن عمر هو ردّ الإمام الحسين عليه السلام نفسه حيث قال له في محاورته إياه في مكّة: «أفّ لهذا الكلام أبداً مادامت السماوات والأرض!». «١»

(٣)- الصفاح ص: ١٨٥

إشارة

«وهو موضع بين حنين وأنصاب الحرم، على يسرة الداخل الى مكّة من مشاش، وهناك لقي الفرزدق الحسين بن عليّ رضي الله عنه لما عزم على قصد العراق، قال:

لقيت الحسين بأرض الصفاح عليه اليلامق والدرق». «٢»

وروى البلاذري أيضاً قائلاً: «ولمّا صار الحسين إلى الصفاح لقيه الفرزدق ابن غالب الشاعر، فسأله عن أمر الناس وراءه، فقال له

الفرزدق: الخبير سألت، إن قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال الحسين: صدقت..» (٣)

وكذلك روى الدينوري أن الفرزدق لقي الإمام عليه السلام في الصفاح (٤) وكذلك روى ابن الأثير، (٥) والطبري، (٦) وابن مسكويه (٧).

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٦

أين لقي الفرزدق الإمام عليه السلام بالضبط؟ ص : ١٨٦

من الوقائع التي تفاوتت الروايات التاريخية تفاوتاً غير يسير فيها واقعة لقاء الفرزدق الشاعر مع الإمام الحسين عليه السلام، خصوصاً في تحديد مكان هذا اللقاء.

نجد من المؤرخين من لا يذكر المنزل لامن قريب ولا بعيد، كالإربلي (ره) حيث يقول: «وقال الفرزدق لقيني الحسين في منصرفي من الكوفة ..»، (١) ومنهم من يذكر أن هذا اللقاء كان في أرض الحرم وخارج مكة، كما مرّ في رواية الشيخ المفيد (ره) والطبري، (٢) ومنهم من يشخص مكانه في أرض الحرم كسبط ابن الجوزي حيث قال: «فلتياً وصل بستان بني عامر لقي الفرزدق الشاعر ..»، (٣) ومنهم من روى أنهما التقيا في ذات عرق، كابن عساكر، والبلاذري، (٤) ومنهم من قال في الشقوق، كابن شهر آشوب، والأربلي في قول ثانٍ، (٥) ومنهم من قال في الصفاح، كالبلاذري، وابن الأثير، والطبري، وابن مسكويه، والحموي، والدينوري، (٦) ومنهم من قال إنهما التقيا بعد خروج الإمام عليه السلام من منطقة زباله، كالسيد ابن طاووس (ره) حيث قال: «ثم إن الحسين عليه السلام سار من زباله قاصداً لما دعاه الله إليه فلقاه الفرزدق الشاعر ..». (٧)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٧

وقول السيد ابن طاووس (ره) - على فرض أن الفرزدق كان في طريقه إلى مكة - هو أبعد الأقوال، بل لا يمكن أن يؤخذ به! لأن الفرزدق لا يمكن أن يُدرك الحج إذا كان قد التقى الإمام عليه السلام - الذي خرج من مكة يوم التروية - قبل زباله من جهة الكوفة، وذلك لبعده المسافة التي تستغرق أياماً بين زباله ومكة المكرمة، فعلى هذا تكون أيام الحج قد انتهت والفرزدق عند زباله لم يصل بعد إلى مكة!

أما أقرب الأقوال وأقواها هو ما رواه الشيخ المفيد والطبري وسبط ابن الجوزي من أن هذا اللقاء كان في أرض الحرم أطراف مدينة مكة، وفي بستان بني عامر على حدّ نقل سبط ابن الجوزي، وذلك لأنّ هذا اللقاء كان في يوم التروية، فلا بدّ أن يكون مكان اللقاء على هذا القرب - قريباً جداً - من مكة حتى يستطيع الفرزدق مع أمه إدراك أعمال الحج في وقتها.

نعم، يمكن أن نحتمل إمكان أن الفرزدق لقي الإمام عليه السلام ما بعد زباله - على قول السيد ابن طاووس (ره) - فقط على فرض أن هذا اللقاء كان اللقاء الثاني بينهما - بعد عودة الفرزدق من مكة بعد أدائه الحج - وهو احتمال بعيد، لبعده المسافة بين مكة وزباله التي هي قريب من القادسية! نعم، يمكن أن يُقال بإمكان ذلك إذا كان الفرزدق قد ترك مكة مباشرة بعد انتهاء أعمال الحج، وجدّ في السير على أثر الإمام عليه السلام فلم يلو على شيء حتى أدرك الإمام عليه السلام فيما بعد زباله، ولكن لم نعر على إشارة تاريخية تفيد أن الفرزدق قد قام بهذا فعلاً!

وإذا صحّ أن هذا اللقاء - على رواية السيد ابن طاووس (ره) - كان اللقاء الثاني بينهما، بعد عودة الفرزدق من الحج، فلا يستبعد عندئذٍ ما رواه السيد (ره) من أن الفرزدق بعد أن سلّم على الإمام عليه السلام قال: «يا ابن رسول الله كيف تركن إلى أهل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٨

الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته!؟»، (١) ذلك لأنّ خبر مقتل مسلم عليه السلام آنئذٍ كان قد شاع في الديار،

أو أنّ الفرزدق على الأقلّ كان قد علم خبره من أوساط الركب الحسيني نفسه قبل سلامه على الإمام عليه السلام وقد استدلّ بعض المحقّقين «٢» على أنّ الصحيح هو أنّ لقاء الفرزدق مع الإمام عليه السلام كان في الصفاح لأنّ الفرزدق نظم في ذلك شعراً، وهو استدلال ساذج لإمكان أن ينظم هذا الشعر غير الفرزدق ثمّ ينسبه إليه!

وفي ختام البحث حول لقاء الفرزدق مع الإمام عليه السلام، يحسن هنا أن نقل نصّ المحاوره بينهما - على رواية الإربلي (ره) - عن لسان الفرزدق أنه قال: «لقيني الحسين عليه السلام في منصرفي من الكوفة، فقال: ما وراءك يا أبافراس؟ قلت: أصدّقك؟»

قال: الصدق أريد!

قلت: أمّا القلوب فمعك، وأمّا السيوف مع بني أمية! والنصر من عند الله.

قال: ما أراك إلّا صدقت! الناس عبيد المال! والدين لغو (لعق) على ألسنتهم، يحوطونه مادرت به معاشهم! فإذا مخصوا بالبلاء قلّ الديانون!.. «٣»

(٤) - ذات عرق ص : ١٨٨

إشارة

«ذات عرق مهلّ أهل العراق، وهو الحدّ بين نجد وتهمّة، وقيل: عرق جبل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ١٨٩

بطريق مكّة، ومنه ذات عرق ...». «١»

«ويعتبر الشّيئة ذات عرق ميقات العراقيين وأهل الشرق، بينما يحتاط فقهاء الإمامية بالإحرام من المسلخ وهو أبعد عن مكّة، وتبعد ذات عرق مرحلتين عن مكّة (أى حوالي ٩٢ كم).». «٢»

لقاء بشر بن غالب الأسدي «٣» مع الإمام عليه السلام! ص : ١٨٩

إشارة

قال السيد ابن طاووس (ره): «ثمّ سار حتّى بلغ ذات عرق فلقى بشر بن غالب وارداً من العراق، فسأله عن أهلها، فقال: خلّفت القلوب معك، والسيوف مع بني أمية! فقال عليه السلام: صدق أخو بني أسد، إنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد...». «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ١٩٠

إشارة: ص : ١٩٠

في لقاء الإمام عليه السلام مع كلّ من الفرزدق وبشر بن غالب، نلاحظ أنّ كلّاً من الرجلين كان قد أخبر الإمام عليه السلام أنّ القلوب في الكوفة معه وأنّ السيوف مع بني أمية! وكان هذا قبل مجيء خبر مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام! ونلاحظ أيضاً أنّ الإمام عليه السلام قد صدّق كلّاً من الرجلين! فهذا التصديق من أوثق الدلائل التاريخية على علم الإمام عليه السلام منذ البدء بأنّ أهل الكوفة سوف يخذلونه ويقتلونه، وكان عالماً منذ البدء بأنّ مصيره الشهادة.

تأمل:

أين مضى بشر بن غالب بعد لقائه بالإمام عليه السلام؟! ولماذا لم يلتحق به وينضمّ إلى ركبته؟! وهو الذي روى عنه عليه السلام خاصة من الدعاء، وفي ثمرة حبّ أهل البيت عليهم السلام، وفي الإمامة، وفي أخبار القائم عليه السلام، وفي غير ذلك، ما يكشف عن معرفته واعتقاده بأهل البيت عليهم السلام وحبّه لهم؟! هل كان معذوراً في مفارقتة الإمام عليه السلام وفي عدم نصرته؟! هذا ما لا نعلم عنه شيئاً حسب متابعتنا القاصرة، وهو ممّا سكت عنه المؤرّخون والرجاليون!

والفرزدق .. مرّة أخرى؟! ص : ١٩٠

روى البلاذري عن الزبير بن الخزّيت قال: «سمعت الفرزدق قال: لقيت الحسين بذات عرق وهو يريد الكوفة، فقال لي: ما ترى أهل الكوفة صانعين، فإنّ معي جملاً من كتبهم؟ قلت: يخذلونك فلا تذهب، فإنّك تأتي قوماً قلوبهم معك وأيديهم عليك! فلم يطعنني!». (١)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩١

وقد مرّ بنا في الإجابة عن هذا السؤال: أين لقي الفرزدق الإمام عليه السلام بالضبط؟ أن أقرب الأقوال وأقواها هو أنّ الفرزدق لقي الإمام عليه السلام في بستان بنى عامر على مشارف مكة وأوائل الأرض الحرام، لأنّ هذا اللقاء ينبغي أن يكون يوم التروية- يوم خروج الإمام عليه السلام من مكة- وينبغي أن يكون قريباً جداً من مكة، حتّى يستطيع الفرزدق إدراك أعمال الحجّ في وقتها.

هل لقي الإمام عليه السلام بذات عرق عون بن عبدالله بن جعدة؟ ص : ١٩١

وروى البلاذري أيضاً فقال: «قالوا: ولحق الحسين عون بن عبدالله بن جعدة بن هبيرة بذات عرق بكتاب من أبيه يسأله فيه الرجوع، وذكر ما يخاف عليه من مسيره! فلم يُعجبه!». (١)

يُستفاد من نصّ هذه الرواية أنّ عوناً هذا كان في مكة وسار حتى أدرك الإمام عليه السلام بذات عرق، بدليل كلمة «ولحق»، وأنّ أباه عبدالله موجود في مكة المكرمة، بدليل عبارة «يسأله فيه الرجوع».

فالظاهر أنّ الراوي قد اشتبه فذكر اسم عون بن عبدالله بن جعدة بدلاً من اسم عون بن عبدالله بن جعفر! يؤيّد هذا: أوّلًا: أنّ التاريخ حدّثنا عن التحاق عون ومحمّد ولدى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكة.

وثانيًا: أنّ التاريخ حدّثنا أيضاً أنّ بني جعدة بن هبيرة المخزومي كانوا في الكوفة، وقد كان بنو جعدة ممّن اجتمع من الشيعة في دار سليمان بن صرد الخزاعي بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام، وكتبوا إلى الإمام عليه السلام يعزّونه، ويخبرونه

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٢

بحسن رأى أهل الكوفة فيه، وحبّهم لقدومه، وتطلّعهم إليه ... (١)

فضلاً عن كلّ هذا، فإنّ هذا الخبر مما تفرّد به البلاذري، ولم نعرّضه عليه عند مؤرّخ آخر، ليساعدنا على كشف غموضه ورفع اضطرابه.

(٥) - الحاجر من بطن الرمة ص : ١٩٢

إشارة

«بضمّ الراء، وتشديد الميم .. وهو وادٍ معروف بعاليه نجد، وقال ابن دريد:

الرَّمَّةُ قاع عظيم بنجد، تنصب إليه أودية.» «٢» و«الحاجر: بالجيم والراء، وفي لغة العرب: ما يمسك الماء من شفة الوادي ..» «٣» و«بطن الرمة: منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة، وفيه يجتمع أهل الكوفة والبصرة، ويقع شمال نجد ..» «٤»
 روى الطبري قائلاً: «ولما بلغ عبيدالله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية، ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القططانة، وإلى لعل، وقال للناس: هذا الحسين يريد العراق!». «٥»
 ثم إن الحسين عليه السلام: «أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرمة، بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة، «٦» وكتب معه إليهم:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٣

(بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين. سلام عليكم، فأني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملتكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخست إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدوا، فأني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته). ..
 وأقبل قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير، فبعث به إلى عبيدالله بن زياد، فقال له عبيدالله: إصعد إلى القصر، فسب الكذاب ابن الكذاب!
 فصعد، ثم قال: أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقت بالحاجر، فأجيبوه. ثم لعن عبيدالله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب.

قال: فأمر به عبيدالله بن زياد أن يرمى به من فوق القصر، فرمى به فتقطع فمات. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٤

وقال السيد ابن طاووس (ره): «قال الراوي وكتب الحسين عليه السلام كتاباً إلى سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وجماعة من الشيعة بالكوفة، وبعث به مع قيس بن مسهر الصيداوي، فلما قارب دخول الكوفة اعترضه الحصين بن نمير صاحب عبيدالله بن زياد لعنه الله ليفتشه فأخرج قيس الكتاب ومزقه، فحمله الحصين بن نمير إلى عبيدالله بن زياد، فلما مثل بين يديه قال له: من أنت؟

قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وابنه!

قال: فلماذا خرقت الكتاب؟!

قال: لئلا تعلم ما فيه!

قال: وممن الكتاب وإلى من؟!

قال: من الحسين عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم!

فغضب ابن زياد وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم، أو تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه! وإلا قطعك إرباً إرباً!

فقال قيس: أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم! وأما لعن الحسين عليه السلام وأبيه وأخيه فأفعل!

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، وأكثر من الترحم على عليّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم، ثم لعن عبيدالله بن زياد وأباه، ولعن عتاة بنى أمية عن آخرهم! ثم قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين عليه السلام إليكم، وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه. فأخبر ابن زياد بذلك، فأمر بإلقائه من مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٥

أعلى القصر، فألقى من هناك فمات، فبلغ الحسين عليه السلام موته فاستعبر بالبكاء ثم قال: اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك إنك على كل شيء قدير. وروى أن هذا الكتاب كتبه الحسين عليه السلام من الحاجر، وقيل غير ذلك.. «١»

قيس بن مسهر (رض) أم عبدالله بن يقطر (رض)؟ ص : ١٩٥

هناك قضية لم تزل غامضة مبهمه على أكثر المتبعين لحركة أحداث النهضة الحسينية - والقضايا الغامضة في إطار هذه النهضة المقدسة كثيرة! - وهي:

هل أن الرسول الذي بعثه الإمام عليه السلام أثناء الطريق بعد الخروج من مكة إلى العراق، فألقى القبض عليه في القادسية، ثم أمر به ابن زياد فألقى مكتوفاً من أعلى القصر فقضى نحبه، هو قيس بن مسهر (رض) أم عبدالله بن يقطر (رض)؟! ولقد عبّر الشيخ المفيد (ره) عن هذا الغموض والإبهام أفضل تعبير بقوله:

«ويقال بل بعث أخاه من الرضاة عبدالله بن يقطر إلى الكوفة..». «٢»

أم أن كلا منهما كان رسولاً للإمام أثناء الطريق إلى الكوفة، وكلاهما ألقى عليه القبض في القادسية، وكلاهما أمر به ابن زياد فألقى من أعلى القصر فمضى شهيداً؟!

أم أن هناك تفاوتاً بين قصتي هذين الشهيدين العظيمين؟

من أجل استكشاف الحقيقة وإزالة الإبهام والغموض في هذا الصدد نضع

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٦

الملاحظات التالية بين يدي القارئ الكريم:

(١) - تؤكد مصادر تاريخية على أن كلا من هذين الشهيدين كان رسولاً للإمام عليه السلام إلى الكوفة، لكنها تحدد المكان الذي أرسل الإمام عليه السلام منه قيس بن مسهر (رض) إلى الكوفة وهو الحاجر من بطن الرمية، ولا تحدد المكان الذي أرسل الإمام عليه السلام منه ابن يقطر (رض) إلى الكوفة ولا زمان ذلك، فمثلاً: يقول مؤرخون: «ثم إن الحسين لَمَّا وصل إلى الحاجر من بطن الرمة كتب كتاباً إلى مسلم وإلى الشيعة بالكوفة وبعثه مع قيس..» «١» لكنهم يصدون ابن يقطر يقولون: «وكان قد سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه أصيب..» «٢»

نعم، هناك ملاحظة مهمة صرح بها الشيخ السماوي (ره) قائلاً: «وقال ابن قتيبة وابن مسكويه: إن الذي أرسله الحسين قيس بن مسهر.. وإن عبدالله بن يقطر بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم، فلما أن رأى مسلم الخذلان قبل أن يتم عليه ماتم بعث عبدالله إلى الحسين يخبره بالأمر..»، «٣» فإذا صح هذا يكون رسول الإمام عليه السلام إلى الكوفة أثناء الطريق هو قيس بن مسهر لا سواه.

(٢) - على فرض أن عبدالله بن يقطر (رض) كان أيضاً رسولاً من قبل الإمام عليه السلام إلى الكوفة بعد خروجه من مكة، فإن إرساله إلى الكوفة كان قبل إرسال قيس بن مسهر (رض) زمانياً، وقبل منطقة الحاجر من بطن الرمية مكانياً، ذلك لأنه - على الأقل - كان قد وصل إلى القادسية وأخذ وقتل بإلقائه من أعلى القصر قبل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٧

فترة من وصول قيس بن مسهر (رض) الذي قتل بعد مقتل مسلم عليه السلام، بدليل أن خبر مقتل عبدالله بن يقطر (رض) كان قد وصل الى الامام الحسين عليه السلام - بزبالة - بعد خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانى بن عروة (رض) بقليل، فنعاهم الإمام عليه السلام قائلاً:

«أميأ بعدد، فقد أتانا خبرٌ فظيع! قُتل مسلم بن عقيل، وهانى بن عروة، وعبدالله بن يقطر ..»، «١» وأميأ خبر مقتل قيس (رض) فقد بلغ الإمام عليه السلام - بعد ذلك بفترة - في عذيب الهجانات. «٢»

إذن لا مانع من أن يكون كلٌّ منهما رسولاً للإمام عليه السلام إلى الكوفة بعد خروجه عليه السلام من مكة، لكن إرسال ابن يقطر (رض) كان قبل إرسال ابن مسهر (رض)، وقد قُتلا بنفس القتل باللقاء من أعلى القصر، لكن ابن يقطر (رض) قُتل قبل ابن مسهر (رض) بفترة.

٣- هناك مصادر تاريخية تقول إنَّ عبدالله بن يقطر (رض) كان رسولاً من قبل مسلم عليه السلام، فقبض عليه بعد خروجه من الكوفة عند أطرافها قريباً من القادسية، وكان مقتله قبل مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام، فقد ورد في رواية ابن شهر آشوب أن عبيدالله بن زياد بعد أن زار شريك بن الأعور الحارثي في مرضه (في بيت هانىء بن عروة)، وجرى ما جرى من حث شريك مسلماً عليه السلام على قتل عبيدالله من خلال رمز «ما الإنتظار بسلمى أن تحيها ..»، فأوجس عبيدالله منهم خيفة فخرج: «فلما دخل القصر أتاه مالك بن يربوع التميمي بكتاب أخذه من يدى عبدالله بن يقطر، فإذا فيه: للحسين بن علي، أما بعد: فأني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة كذا، فإذا أتاك كتابي هذا فالعجل العجل، فإن الناس معك،

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٨

وليس لهم في يزيد رأى ولا هوى. فأمر ابن زياد بقتله»، «١» وكذلك روى السيد محمد بن أبي طالب في كتابه تسليمة المجالس، «٢» فإذا أضفنا إلى هاتين الروايتين ما ذكره الشيخ السماوى (ره) عن ابن قتيبة وابن مسكويه من أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد أرسل عبدالله بن يقطر (رض) مع مسلم عليه السلام، فلما أن رأى مسلم الخذلان قبل أن يتم عليه ماتم بعث عبدالله إلى الحسين يخبره بالأمر .. «٣»

يتحقق إذن على أساس ذلك تفاوت بين قصتي هذين الشهيدين (رض)، إذ يكون عبدالله بن يقطر (رض) مبعوثاً مع مسلم عليه السلام إلى الكوفة من مكة - أو رسولاً من قبل الإمام عليه السلام إلى الكوفة بعد خروجه من مكة - وحين ألقى القبض عليه كان حاملاً كتاباً من مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام، لا كحال قيس بن مسهر (رض) الذي ألقى عليه القبض وهو رسول من الإمام عليه السلام يحمل كتاباً منه إلى الكوفة، إلى مسلم عليه السلام أو إلى بعض وجوه الشيعة فيها.

والمسألة لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب والتحقيق، وباب المعرفة لا زال مفتوحاً على مصراعيه، فكم ترك الأول للآخر!

اللقاء الثاني لعبدالله بن مطيع «٤» مع الامام عليه السلام ص : ١٩٨

إشارة

قال الشيخ المفيد (ره): «ثم أقبل الحسين عليه السلام من الحاجر يسير نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبدالله بن مطيع العدوى وهو نازل به، فلما رأى الحسين عليه السلام قام إليه فقال: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، ما أقدمك؟!»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٩

واحتمله فأنزله فقال له الحسين عليه السلام:

كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إليّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم.
فقال له عبد الله بن مطيع: أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك! أنشدك الله في حرمة قريش! أنشدك الله في حرمة العرب! فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لايهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك وحرمة قريش وحرمة العرب! فلا تفعل ولا تأت الكوفة، ولا تعرّض نفسك لبني أمية.
فأبى الحسين عليه السلام إلّا أن يمضي!.. «١»

إشارة: ص : ١٩٩

كان هذا هو اللقاء الثاني لعبد الله بن مطيع العدو مع الإمام عليه السلام، إذ كان اللقاء الأول بينهما بين المدينة ومكة، عند بئر لهذا العدو كان يحفره آنذاك، «٢» وهذا العدو: «رجل من قريش، همّة العافية والمنفعة الذاتية، وحرصه على مكانة قريش والعرب أكبر من حرصه على الإسلام، وهو ليس من طلاب الحق ولا من أهل نصرته والدفاع عنه، وكاذب في دعوى موّدة أهل البيت عليهم السلام مع معرفته

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٠

بمزلتهم الخاصة عند الله تبارك وتعالى ... ونرى ابن مطيع هذا يكشف عن كذبه في دعوى حبه للإمام عليه السلام، حين انضمّ الى ابن الزبير وصار عاملاً له على الكوفة «فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم»، «١» وقاتلهم في مواجهته لحركة المختار! واستعان عليهم بقتلة الإمام الحسين عليه السلام أنفسهم، أمثال شمر بن ذى الجوشن، وشبث بن ربعي، وغيرهم! وفي أول خطبة له في الكوفة أعلن عن عزمه على تنفيذ أمر ابن الزبير في السير بأهل الكوفة بسيرة عمر بن الخطاب وسيرة عثمان بن عفان! لكنّه فوجيء بحنين أهل الكوفة إلى سيرة عليّ عليه السلام ورفضهم للسير الأخرى .. «٢»

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام يعرفه تمام المعرفة! ويعرف حقيقة دعاواه! وكان يعامله بأدبه الإسلامي السامي، فلا يكذب له دعواه في الموّدة وفي حرصه على ألا يقتل، لكنه عليه السلام لم يُطلعه على شيء من أمر نهضته إلّا بقدر ما يناسبه، ففي لقائه الأول معه لم يكشف له إلّا عن مقصده المرحلي (مكة)، ولم يكشف له عن شيء مما بعدها إلّا «إذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمري بعد ذلك!» «٣»

أو «يقضى الله ما أحب!»، «٤» أمّا في لقائه الثاني فكان لا بدّ - وقد رآه في الطريق إلى العراق - أن يكشف له عن ظاهر علّة سفره إلى العراق، أي رسائل أهل الكوفة إليه عليه السلام، ويلاحظ بوضوح أنّ الإمام عليه السلام في كلا اللقائين لم يكن يعاب بمعارضة العدو هذا وإصراره وتوسلاته، بل كان عليه السلام يمرّ به مرور الكرام!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠١

(٦) - الخزيمة ص : ٢٠١

«بضم أوله وفتح ثانيه، تصغير خزيمة، منسوبة إلى خزيمة بن خازم فيما أحسب، وهو منزل من منازل الحجّ بعد الثعلبية من الكوفة وقبل الأجر، وقال قوم: بينه وبين الثعلبية إثنان وثلاثون ميلاً، وقيل: إنه الخزيمة بالحاء المهملة..» «١»
وقيل: «الخزيمة: نسبة إلى خزيمة بن حازم، وهي قبل زرود» «٢».

قال ابن أعمش الكوفي: «وسار الحسين حتى نزل الخزيمة، وأقام بها يوماً وليلة، فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب بنت عليّ فقالت: يا أخي ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة؟!»

فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟

فقلت: خرجت في بعض الليل لقضاء حاجة فسمعت هاتفاً بهتف وهو يقول:

أَلَا يَا عَيْنُ فَاحْتَفَلِي بِجَهْدٍ وَمَنْ يَبْكِي عَلَى الشَّهْدَاءِ بَعْدِي

عَلَى قَوْمٍ تَسْوِقُهُمُ الْمَنَايَا بِمَقْدَارٍ إِلَى إِنْجَازٍ وَعَدٍ

فقال لها الحسين عليه السلام: يا أختاه! المقضى هو كائن!.. «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٢

٧- زَرُودٌ ص : ٢٠٢

إشارة

«الزَرُودُ: البُلُغُ، ولعلها سُمِّيت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة ..

وتسمى زرود العتيقة، وهي دون الخزيمية بميل، وفي زرود بركة وقصر وحوض!.. «١»

إنضمام زهير بن القين (رض) إلى الركب الحسيني! ص : ٢٠٢

قال الدينوري: «ثُمَّ سَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى زَرُودٍ، فَنَظَرَ إِلَى فِسْطَاطٍ مَضْرُوبٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ لِزُهَيْرِ بْنِ الْقَيْنِ. وَكَانَ حَاجًّا أَقْبَلَ مِنْ

مَكَّةَ يَرِيدُ الْكُوفَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ: أَنْ الْقِنَى أَكَلَمَكَ.

فأبى أن يلقاه! وكانت مع زهير زوجته، فقالت له: سبحان الله! يبعث إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تجيبه!؟

فقام يمشى إلى الحسين عليه السلام، فلم يلبث أن انصرف وقد أشرق وجهه! فأمر بفسطاطه فُقِّلِعَ، وَضُرِبَ إِلَى لَزِقِ فِسْطَاطِ الْحُسَيْنِ!

ثُمَّ قَالَ لِمَرَأَتِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ! فَتَقَدَّمِي مَعِ أَخِيكَ حَتَّى تَصَلِيَ إِلَى مَنْزِلِكَ، فَإِنِّي قَدْ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى الْمَوْتِ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

ثم قال لمن كان معه من أصحابه: من أحب منكم الشهادة فليقيم، ومن كرهها فليتقدم.

فلم يقيم معه منهم أحد! وخرجوا مع المرأة وأخيها حتى لحقوا بالكوفة!.. «٢»

وروى الطبري في تاريخه عن رجل من بني فزارة قال: «كُنَّا مَعَ زُهَيْرِ بْنِ الْقَيْنِ

مَعَ الرِّكْبِ الْحُسَيْنِيِّ (ج ٣)، ص: ٢٠٣

الْبَجَلِيِّ حِينَ أَقْبَلْنَا مِنْ مَكَّةَ نَسَائِرَ الْحُسَيْنِ! فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَسَائِرَهُ فِي مَنْزِلٍ! فَإِذَا سَارَ الْحُسَيْنُ تَخَلَّفَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ،

وَإِذَا نَزَلَ الْحُسَيْنُ تَقَدَّمَ زُهَيْرٌ! حَتَّى نَزَلْنَا يَوْمَئِذٍ فِي مَنْزِلٍ لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ نَنَازِلَهُ فِيهِ، فَنَزَلَ الْحُسَيْنُ فِي جَانِبٍ وَنَزَلْنَا فِي جَانِبٍ، فَبَيْنَا

نَحْنُ جُلُوسٌ نَتَغَدَّى مِنْ طَعَامٍ لَنَا إِذَا أَقْبَلَ رَسُولَ الْحُسَيْنِ حَتَّى سَلَّمَ ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ: يَا زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ، إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ

بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِتَأْتِيَهُ.

قال فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير!.. «١»

ثم يواصل الطبري قصة هذا الحدث قائلاً: «قال أبو مخنف: فحدثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين قالت: فقلت له: أبعث إليك

ابن رسول الله ثم لا تأتية!؟ سبحان الله، لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت!

قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه! قالت:

فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل إلى الحسين! ثم قال لامرأته: أنت طالق، إحقى بأهلك فإنني لا أحب أن يصيبك من سببي

إلّا خيراً!

ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد!

إني سأحدّثكم حديثاً: غزونا بَلَنْجَر «٢» ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: «٣» أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم؟

فقلنا: نعم.

فقال لنا: إذا أدرتكم شباب «٤» آل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم بما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٤

أصبتم من الغنائم. فأما أنا فإنني استودعكم الله! .. «١»

وفي رواية السيد ابن طاووس (ره) أنّ زهير بن القين (رض) كان قد قال لزوجته فيما قال لها: «وقد عزمْتُ على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي، وأقيه بروحي. ثم أعطاها مالها، وسلّمها إلى بعض بنى عمّها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودّعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام! ...» «٢»

زهير بن القين (رض)

هو زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي، كان رجلاً شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً، له في المغازي مواقف مشهورة ومواطن مشهودة .. حجّ سنة ستين في أهله، ثم عاد فوافق الحسين عليه السلام في الطريق .. «٣» فلحق به ولازمه حتى استشهد بين يديه في كربلاء.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٥

وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية: «السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبداً! أتترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا؟! لا أراني الله ذلك اليوم.» «١» وكانت لزهير (رض) مواقف جليّة فذّه مع الإمام عليه السلام منذ أن انضمّ إلى ركبته حتى استشهد بين يديه، يذكرها التاريخ وتقرأها الأجيال فتخشع إكباراً وتعظيماً لهذه الشخصية الإسلامية السامية، ومن هذه المواقف:

لما بلغ الركب الحسيني (ذا حسم) خطب الإمام عليه السلام أصحابه خطبته التي يقول فيها: «أما بعد، فإنه نزل بنا من الأمر ما قد ترون ..» إلخ، قام زهير وقال لأصحابه: أتتكلّمون أم أتكلّم؟

قالوا: بل تكلّم.

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقاتلك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكُنّا فيها مخلّدين، إلا أنّ فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها! فدعا له الحسين وقال له خيراً.. «٢»

وروى أبو مخنف: عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي قال: لما كانت الليلة العاشرة خطب الحسين أصحابه وأهل بيته فقال في كلامه: «هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلُّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فإنّ القوم إنّما يطلبوني»، فأجابه العباس عليه السلام وبقية أهله .. ثمّ أجابه مسلم بن عوسجة .. وأجابه سعيد .. ثم قام زهير فقال: والله لو ددْتُ أنّي قُلتُ ثمّ نُشِرتُ، ثمّ قُلتُ حتّى أُقتل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٦

كذا ألف قتلة! وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن نفسك هوّلاء الفتية من أهل بيتك! «١»

وروى أبو مخنف عن عليّ بن حنظلة بن أسعد الشامي، عن كثير بن عبد الله الشعبي البجلي قال: لما زحفنا قبل الحسين عليه السلام خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب، وهو شاك في السلاح فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار! إنّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة وعلى دين واحد وملمّة واحدة مالم يقع بيننا وبينكم السيف! فإذا وقع السيف

انقطعت العصمة، وكنا أميةً وكنتم أميةً! إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن وأنتم عاملون! إننا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيدالله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا السوء عُمر سلطانهما كله، إنهما يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمتلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل! ويقتلان أمثالكم وقراءكم أمثال حُجر بن عدى وأصحابه، وهانى بن عروة وأشباها!

قال: فسبوه وأثنوا على عبيدالله وأبيه! وقالوا: والله لانبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه! أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير! فقال لهم زهير: عباد الله! إن ولد فاطمة عليها السلام أحق بالود والنصر من ابن سميئه، فإن لم تنصروهم فأعيذك بالله أن تقتلوهم، فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فلعمري إنه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام! قال فرماه شمر بسهم وقال له: أسكت أسكت الله نامتك! فقد أبرمتنا بكثرة كلامك!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٧

فقال زهير: يا ابن البوال على عقبه! ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمه، والله ما أظنك تُحکم من كتاب الله آيتين! فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة!

قال زهير: أقبال موت تخوفني؟! والله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم! قال: ثم أقبل على الناس رافعاً صوته، وصاح بهم: عباد الله! لا يغرركم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهاه، فوالله لا تنال شفاعه محمّد صلى الله عليه وآله قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته! وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم!

قال فناداه رجل من خلفه: يا زهير، إن أبا عبدالله يقول لك:

أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لونغع النصح والإبلاغ! «١» وبعد عدّة حملات وصولات له (رض) في يوم عاشوراء، رجع فوقف أمام الإمام الحسين عليه السلام وأنشد مودعاً إياه: فدتك نفسى هادياً مهدياً اليوم ألقى جدك النبيا وحسناً والمرضى علينا وذا الجناحين الشهيد الحيا «٢»

هل كان زهير بن القين عثمانياً؟! ص : ٢٠٧

إشارة

الشائع في سيرة زهير بن القين (رض) أنه كان عثمانياً قبل التحاقه بالإمام الحسين عليه السلام، والعثماني أو عثمانى الميل والهوى يومذاك مصطلح سياسى يعنى - على الأقل - التأيد الكامل لبنى أمية في دعوى مظلومية عثمان بن عفان، ومعاداة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٨

علی عليه السلام بسبب ذلك، ويعنى - على الأكثر - الإشتراك في حرب أو أكثر ضد علی عليه السلام تحت راية المطالبة بالتأثر لدم عثمان كما في الجمل وصفين.

والظاهر أن أقدم مصدر تاريخي وردت فيه الإشارة بصراحة إلى عثمانية زهير بن القين (رض) هو تاريخ الطبرى وأنساب الأشراف للبلاذرى، فقد روى الطبرى عن أبى مخنف، عن الحارث بن حصيرة، عن عبدالله بن شريك العامري، بعض وقائع عصر تاسوعاء: كيف جاء شمر بأمان من عبيدالله بن زياد لأبى الفضل العباس وأخوته من أمه عليهم السلام، وكيف رفض العباس وإخوته عليهم

السلام هذا الأمان ولعنوا شمراً، ثم كيف أمر عمر بن سعد جيوشه بالزحف نحو معسكر أبي عبد الله عليه السلام بعد صلاة العصر ذلك اليوم، ثم كيف أمر الإمام الحسين عليه السلام أخاه العباس عليه السلام أن يأتي القوم فيسألهم عما جاء بهم، «فأتاهم العباس فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً، فيهم زهير بن القين، وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون!؟

قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم!

قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم.

قال فوقفوا، ثم قالوا: إلقه فأعلمه ذلك ثم ألقنا بما يقول.

فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت، وإن شئت كلمتهم. فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكُن أنت تكلمهم.

فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قومٌ يقدمون عليه قد قتلوا ذريته نبيه عليه السلام وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وآله وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٩

فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت!

فقال له زهير: يا عزرة، إن الله قد زكاها وهداها، فاتق الله يا عزرة، فإنني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية!

قال: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً!

قال: أفلس تستدل بموقفي هذا أتى منهم؟ أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسوياً قط، ولا وعدته نصرتي قط، «١» ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلمّا رأيته ذكرتُ به رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه، وعرفتُ ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله عليه السلام... «٢»

وأما البلاذري فقد قال: «قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكة، وكان عثمانياً، فانصرف من مكة متعجلاً، فضمه الطريق وحسيناً فكان يسايره ولا ينازله، ينزل الحسين في ناحية وزهير في ناحية، فأرسل الحسين إليه في إتيانه، فأمرته امرأته ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبى! فقالت: سبحان الله! أبعث إليك ابن بنت رسول الله فلاتأتيه؟ فلمّا صار إليه ثم انصرف إلى رحله قال لامرأته: أنت طالق! فالحق بأهلك فإنني لا أحب أن يُصيبك بسببي إلّا خيراً. ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلّا فإنه آخر العهد! وصار مع الحسين.»

«٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٠

كما أن الطبري أيضاً حدّثنا كذلك عن كراهية زهير (رض) أن ينزل مع الإمام عليه السلام نفس منازل في الطريق، فيما رواه عن أبي مخنف، عن السدي، عن رجل من بني فزارة: «كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين! فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بدءاً من أن ننازله فيه... «١»

وساعد على ذلك أيضاً ما في رواية الدينوري أن زهيراً أبى أن يذهب إلى لقاء الإمام عليه السلام حين استدعاه في زرود: «فأبى أن يلقاه.» «٢»

ولنا في كل هذا كلام: ص: ٢١٠

(١) - رواية منازل الطريق التي رواها الطبري عن (رجل من بنى فزارة!) فضلاً عن ضعف سندها- بمجهولية الفزارى- لا يستقيم محتوى متنها مع الحقيقة التاريخية والجغرافية، ذلك لأنّ زهير بن القين (رض) كان عائداً من مكة إلى الكوفة بعد الإنتهاء من أداء الحجّ، فلو فرضنا أنه قد خرج من مكة بعد انتهاء مراسم الحجّ مباشرة فإنه يكون قد خرج منها في اليوم الثالث عشر من ذى الحجة على الأقوى، وبهذا يكون الفرق الزمني بين يوم خروجه ويوم خروج الإمام عليه السلام منها خمسة أيام على الأقلّ، وإذا كان هذا فكيف يصحّ ما في متن الرواية: «كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين! ...» (٣) الدال- حسب

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١١

الظاهر- أنهم سايروا الإمام عليه السلام من مكة؟!

أما رواية البلاذري فيكفي في عدم الإعتماد عليها أنها مأخوذة عن وكالة أبناء (قالوا)!

ولو أننا افترضنا أنّ زهير بن القين (رض) بادر بعد الفراغ من أداء مناسك الحجّ «فانصرف من مكة متعجلاً»- على ما في رواية البلاذري- وجدّد السير ليلوى على شيء، فإنّ الفارق الزمني في أثره على الفارق المكاني قد لا يتغيّر، ويبقى كما هو على الأقوى، لأنّ الإمام عليه السلام- حسب متون تاريخية عديدة- كان قد خرج من مكة يحدّد السير أيضاً نحو العراق ولايلوى على شيء!

من هنا، فإننا نحتمل احتمالاً قوياً أنّ أوّل المنازل التي اشترك فيها الإمام عليه السلام مع زهير (رض) هو منزل زرود نفسه، لا بسبب أنّ زهيراً كان يتحاشى الإشتراك مع الإمام عليه السلام في المنازل قبل زرود، بل لأنّ هذا المنزل هو المنزل الأوّل الذي يمكن أن يكونا فيه معاً! يعنى أوّل المنازل التي يمكن لزهير (رض)- بسبب تعجّله!- أن يدرك الإمام عليه السلام عنده.

(٢) - من المؤرّخين من روى قصة لقاء الإمام عليه السلام مع زهير (رض) دون أن يرد في روايته أى ذكر لامتناع زهير (رض) من الذهاب إليه عليه السلام كما ذكر الدينوري: «فأبى أن يلقاه!» والبلاذري: «فأمّرت امرأته ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبى!»، هذا الامتناع المُفسّر على أساس عثمانية زهير (رض)!

فهاهو ابن أعثم الكوفيّ- المعاصر لكلّ من الطبري والدينوري والبلاذري- يروى قصة هذا اللقاء- بدون أى ذكر للعثمانية أو للإمتناع- قائلاً: «ثمّ مضى الحسين فلقية زهير بن القين، فدعاه الحسين إلى نصرته فأجابه لذلك، وحمل إليه

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٢

فسطاطه، وطلّق امرأته، وصرفها إلى أهلها، وقال لأصحابه: إنّي كنتُ غزوتُ بلنجر مع سلمان الفارسي، فلما فتح علينا اشتدّ سرورنا بالفتح، فقال لنا سلمان: لقد فرحتم بما أفاء الله عليكم! قلنا: نعم.

قال: فإذا أدركتم شباب آل محمّد صلى الله عليه و آله فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه منكم بما أصبتم اليوم. فأنا أستودعكم الله تعالى! ثمّ مازال مع الحسين حتّى قُتل.». (١)

(٣) - لم يحدّثنا التاريخ في إطار سيرة زهير بن القين (رض) عن أى واقعة أو حدث أو محاوره أو تصريح من زهير نفسه تتجلّى فيه هذه العثمانية التي أُلصقت فيه! مع أنّ الآخرين ممّن عُرفوا بعثمانيتهم كانوا قد عُرفوا بها من خلال آرائهم ومواقفهم واشتراكهم في حرب أو أكثر ضدّ عليّ عليه السلام!

(٤) - وإذا تأملنا جيّداً في مقاله عزرة بن قيس لزهير (رض) وما ردّ به زهير (رض)- على ما في رواية الطبري- يتجلّى لنا أنّ زهير بن القين (رض) لم يكن عثمانياً في يوم من الأيام! ذلك لأنّ زهير (رض) أجاب عزرة الذي اتهمه بالعثمانية فيما مضى قائلاً: «أفلسست تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم؟!» أى من أهل هذا البيت عليهم السلام رأياً وميلاً وانتماءً.

ولم يقل له مثلاً: نعم كنتُ عثمانياً كما تقول، ثمّ هدانى الله فصرت من أتباع أهل هذا البيت عليهم السلام وأنصارهم، أو ما يشبه ذلك.

بل كان في قوله: «أفلسست تستدل بموقفي هذا أني منهم» نفى ضمنى لعثمانيته مطلقاً في الماضي والحاضر، ثم إن سكوت عزرة بعد ذلك عن الرد كاشف عن تراجعها عن تهمة العثمانية، فتأمل.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٣

(٥) - إن التأمل يسيراً في أقوال زهير بن القين (رض) وفي قول زوجته وموقفها، يكشف عن أن زهيراً (رض) وزوجه كانا يعرفان حق أهل البيت عليهم السلام وتعمر قلوبهما موذبتهما، تأمل في قوله لزوجته - علي ما في رواية السيد ابن طاووس -: «وقد عزمت علي صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي»، وفي قولها له: «كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام!»، أو قوله لها - علي ما في رواية الدينوري -: «فإني قد وُطئت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام»، وقوله لأصحابه: «من أحبّ منكم الشهادة فليقيم ..»، وإخباره إياهم بحديث سلمان الفارسي (رض) - علي ما في رواية الإرشاد -: «إذا أدركتم سيد شباب آل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم ..!»

وتأمل بتعمق أكثر في قوله: «وُطئت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام، وقوله: «من أحبّ منكم الشهادة فليقيم ..»، وقوله زوجته: «أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام، وقوله لأصحابه: «من أحبّ منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد!»، تجد أن هذه العائلة الكريمة كانت على علم بأن الإمام عليه السلام سيستشهد في سفره هذا مع أنصاره من أهل بيته وأصحابه، وذلك قبل أن تظهر في الأفق معالم الإنكسار الظاهري، وخذلان أهل الكوفة، وقبل أن يصل إلى الإمام عليه السلام نبأ مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة (رض) وعبدالله بن يقطر (رض)، وهذا كاشف عن أن زهيراً (رض) كان ذا عناية واهتمام بأخبار الإمام الحسين عليه السلام ومتابعاً لأبناء مستقبل حركته وقيامه، حتى لو فرضنا أن زهيراً كغيره من الناس كان قد سمع بأخبار الملاحم المتعلقة بنهضة الحسين عليه السلام واستشهاده، أو سمع من نفس الإمام عليه السلام بعض خطبه في مكة التي كان قد أشار فيها عليه السلام إلى استشهاده.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٤

أضف الى ذلك: أن صاحب كتاب (أسرار الشهادة) نقل هذه الواقعة قائلاً:

«قيل: أتى زهير إلى عبدالله بن جعفر بن عقيل قبل أن يُقتل فقال له: يا أخي ناولني الراية!

فقال له عبدالله: أو فَيَّ قصورٌ عن حملها!؟

قال: لا، ولكن لي بها حاجة!

قال فدفعها إليه وأخذها زهير، وأتى تجاه العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام.

وقال: يا ابن أمير المؤمنين، أريد أن أحدثك بحديث وعيته!

فقال: حدّث فقد حلا وقت الحديث! حدّث ولا حرج عليك فإنما تروى لنا متواتر الإسناد!

فقال له: أعلم يا أبا الفضل أن أباك أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد أن يتزوج بأُمّك أمّ البنين بعث إلى أخيه عقيل، وكان عارفاً بأنساب العرب، فقال له: يا أخي، أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوى البيوت والحسب والنسب والشجاعة لكي أُصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا - وأشار إلى الحسين عليه السلام - ليواسيه في طفّ كربلاء! وقد ادّخرتك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر عن حلائل أخيك وعن أخواتك ...». (١)

فإذا صحّت هذه الرواية، فإنّ هذا الحديث الذي (وعاه) زهير (رض) ورواه للعباس عليه السلام، كاشف عن أن زهيراً (رض) على اطلاع منذ سنين بأخبار ووقائع البيت العلوي، وقد وعى أنباءهم وعياً! وأنه (رض) كان على قرب من أهل هذا البيت المقدّس غير متباعد عنهم!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٥

أفيمكن أن يكون مثل هذا الرجل عثمانياً؟

إننا نستبعد ذلك بقوة! وهذا مبلغ علمنا الآن! ولعل من أهل البحث والتحقيق من يأتي بعدنا، ويتتبع الإشارات التي قدمناها بتوسع أكبر وتعمق أكثر، ويصل الى مصادر لم نصل إليها، ويتنبه إلى ما لم ننتبه إليه، فيجلى أبعاد هذه القضية التاريخية بوضوح أتم، فيزيد من كمال الصورة، وكم ترك الأول للآخر!

وسلام على زهير بن القين يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حياً.

(٨) - التعلية ص : ٢١٥

إشارة

«من منازل طريق مكة من الكوفة، بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق ..». (١)

روى الطبري، عن أبي مخنف، عن أبي جناب الكلبي، عن عدى بن حرملة الأسيدي، عن عبد الله بن سليم، والميزدي بن المشمعل الأسيدي: «قالا: لما قضينا حجنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه! فأقبلنا تُرقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزورده، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين. قالوا: فوقف الحسين كأنه يريد، ثم تركه ومضى، ومضينا نحوه، فقال أحدهما لصاحبه: إذهب بنا إلى هذا فلنسأله، فإن كان عنده خبر بالكوفة علمناه. فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك.

قال: وعليكم السلام ورحمة الله. ثم قلنا: فمن الرجل؟

مع الراكب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٦

قال: أسدي.

فقلنا: نحن أسديان، فمن أنت؟

قال: أنا بكير بن المشعب. (١)

فانتسبنا له، ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك! قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة، فرأيتهما يجزان بأرجلهما في السوق!

قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين فسايرناه حتى نزل التعلية ممسياً، فجنناه فسلمنا عليه فرد علينا.

فقلنا له: يرحمك الله، إن عندنا خبراً، فإن شئت حدثنا علانية وإن شئت سراً.

قال فنظر إلى أصحابه وقال: مادون هؤلاء سراً!

فقلنا له: أرايت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟

قال: نعم، وقد أردتُ مسألته!

فقلنا: قد استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته، وهو ابن امرىء من أسدٍ منّا، ذو رأى وصدق وفضل وعقل، وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة، وحتى رأهما يجزان في السوق بأرجلهما!

مع الراكب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٧

فقال: إننا لله وإننا إليه راجعون، رحمة الله عليهما. فرد ذلك مراراً!

فقلنا: نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعه! بل نتخوف أن تكون عليك!

فوثب عند ذلك بنوعقيل بن أبي طالب!..» (١)

وروى الطبري، عن أبي مخنف، عن عمر بن خالد، عن زيد بن علي بن الحسين، وعن داود بن علي بن عبد الله بن عباس: «أن بني عقيل قالوا: لا والله، لا نبرح حتى ندرک ثأرنا أو نذوق ماذاق أخونا!». (٢)

ثم يعود إلى رواية الأسيديين، «قالا: فنظر إلينا الحسين فقال: لاخير في العيش بعد هؤلاء! قالا: فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير، قالا: فقلنا: خار الله لك! فقال: رحمكما الله.

قالا: فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع.

قال الأسيديان: ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلماينه: أكثروا من الماء! فاستقوا وأكثروا، ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زباله...» (٣)

تأمل وملاحظات: ص : ٢١٧

(١)- الملفت للانتباه والمثير للعجب في متن هذه الرواية- رواية الطبري- هو أن هذين الرجلين الأسيديين مع حسن أدبهما مع الإمام عليه السلام وعاطفتهما نحوه لم يكونا ممن عزم على نصره الإمام عليه السلام والإلتحاق بركبه! كل مافي أمرهما هو أن الفضول دفعهما إلى معرفة ما يكون من أمر الإمام عليه السلام فقط!- هذا باعترافهما كما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٢١٨

في الرواية- وقد تخليا عنه أخيراً بالفعل وفارقاه!.

(٢)- والمتأمل في نصوص محاورات الإمام الحسين عليه السلام منذ أن أعلن عن قيامه المقدس يجد أن الإمام كان لا يخاطب هذا النوع من الرجال- نوع هذين الأسيديين- بمُرّ الحقّ وصریح القضية، بل كان يسلك إلى عقولهم في الحديث عن مراميه سُبلاً غير مباشرة، يعرض فيها سبباً أو أكثر من الأسباب التي تقع في طول السبب الرئيس بما يتناسب المقام والحال!

فقوله عليه السلام صدق وحقّ: «لاخير في العيش بعد هؤلاء» أي بني عقيل، بعد أن وثبوا- لنبا مقتل مسلم عليه السلام- وقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ماذاق! لكنّ هذا لايعنى أن مواساة بني عقيل كانت هي السبب الرئيس في إصرار الإمام على التوجه إلى الكوفة، فالإمام عليه السلام لم يعلل في أي موقع أو نصّ إصراره على التوجه إلى الكوفة بطلب الثأر لمسلم عليه السلام، بل كان يعلل ذلك في أكثر من موقع ونصّ بحجة رسائل أهل الكوفة وبيعتهم، بل حتى رسائل أهل الكوفة كانت سبباً في مجموعة أسباب وقعت في طول السبب الرئيس لقيامه عليه السلام وهو إنقاذ الإسلام المحمدي الخالص من يد النفاق الأموية وتحريفاتها!

ها هو الإمام عليه السلام يوجه مسلم بن عقيل الى الكوفة وبيّثره بالشهادة! فيقول:

«إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقتضى الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء!...» (١)

ويقول عليه السلام للفرزدق: «رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنته ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا...» (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٢١٩

إذن فالقضية عند الإمام عليه السلام هي قضية نجاه الإسلام التي هي أكبر من دم مسلم عليه السلام ومن كل دم! وهذه القضية هي السبب الرئيس في إصرار الإمام عليه السلام على مواصلة السير نحو الكوفة، لاطلب الثأر لمقتل مسلم عليه السلام! ولا لأنه لاخير عنده في العيش بعد شباب بني عقيل وإن كان ذلك حقاً!

(٣)- ولايعبأ بما روى أن الإمام عليه السلام كان قد همّ بالرجوع بعد أن علم بمقتل مسلم عليه السلام وهانئ (رض) وعلم بعدم وجود

من ينصره في الكوفة! ذلك ما ذكره ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» حيث قال: «وذكروا أنّ عبيدالله بن زياد بعث جيشاً عليهم عمرو بن سعيد، وقد جاء الحسين الخبر فهمّ أن يرجع! ومعه خمسة من بنى عقيل فقالوا له: أترجع وقد قُتل أخونا، وقد جاءك من الكتب ما نتق به؟!»

فقال لبعض أصحابه: والله مالي عن هؤلاء من صبر!...»، (١)

وذكره ابن عبدربه في «العقد الفريد» حيث قال: «فبعث معه - أي مع عمر بن سعد - جيشاً وقد جاء حسيناً الخبير وهم بشراف، (٢) فهمّ بأن يرجع! ومعه خمسة من بنى عقيل...». (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٠

أمّا الطبري فله رواية أيضاً بهذا الصدد، هي: «فأقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحرّ بن يزيد التميمي، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذا المصر! قال له: إرجع فأني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه! فهمّ أن يرجع! وكان معه إخوة مسلم بن عقيل، فقالوا:

والله لانرجع حتى نصيب بئارنا أو نُقتل! فقال: لاخير في الحياة بعدكم، فسار فلقيته أوائل خيل عبيدالله، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء...». (١)

وهذه الرواية معارضة لرواية الطبري نفسه - الموافقة لما هو مشهور - من أنّ الحرّ (رض) التقى الإمام عليه السلام ما بعد شراف في ألف فارس، مأموراً من قبل ابن زياد ألا يفارق الإمام عليه السلام حتى يُقدمه الكوفة! وقد قال للإمام عليه السلام في (ذى حسم) وهو يسايره: يا حسين إنني أذكرك الله في نفسك، فأني أشهد لئن قاتلت لتُقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى! فقال له الحسين:

أفالموت تخوفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! ما أدري ما أقول لك؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، ولقيه وهو يريد نصره رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: اين تذهب، فإنك مقتول؟! فقال:

سأمضي وما بالموت عارٌّ على الفتى إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً

وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً يغش ويرغماً...». (٢)

هذه هي الهمة الحسينية العالية القاطعة! (٣) فأين هي من «فهمّ أن يرجع»؟! مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢١

نعم، ربّما استفاد بعض المؤرخين أنّ الإمام عليه السلام «همّ بالرجوع» من أنّه عليه السلام - على بعض الروايات - نظر إلى بنى عقيل فقال لهم: «ماترون، فقد قُتل مسلم؟ فبادر بنو عقيل وقالوا: والله لانرجع، أيقتل صاحبنا ونصرف؟! لا والله، لانرجع حتى نصيب بئارنا أو نذوق ماذا صاحبنا...». (١)

والأرجح أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يختبر عزم وتصميم بنى عقيل على مواصلة المسير معه - بعد نبأ مقتل مسلم عليه السلام - فسألهم «ماترون...؟»، فكانوا عند حسن معرفته بهم.

إغفاءة .. ورؤيا حقّة! ص : ٢٢١

قال السيد ابن طاووس (ره): «... ثمّ سار حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة، فوضع رأسه فرقد، ثم استيقظ فقال:

قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة!

فقال له ابنه عليّ: يا أبة! فلسنا على الحق؟!»

فقال: بلى يا بنى والله الذي إليه مرجع العباد!

فقال: يا أبة! إذن لأنبالي بالموت!

فقال الحسين عليه السلام: جزاك الله يا بُنَيَّ خير ما جرى ولدًا عن والده.. «٢» ونقلها الخوارزمي في المقتل عن ابن أعمش الكوفي بتفاوت. «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٢

وقد ذكر الشيخ الصدوق (ره) هذه الرؤيا في عذيب الهجانات، «١» وذكرها الذهبي في قصر بني مقاتل «.. ولا بأس بذلك على فرض احتمال تعدد الرؤيا.

وذكرها ابن شهر آشوب أيضاً دون أن يذكر أنها كانت رؤيا منام، بل قال: «فلما وصل الثعلبية جعل يقول: باتوا نياماً والمنايا تسرى! فقال علي بن الحسين الأكبر:

ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: إذن والله لانبألي!». «٣»

مع أبي هرة الأزدي ص: ٢٢٢

إشارة

قال ابن أعمش الكوفي: «فلما أصبح الحسين وإذا برجلٍ من الكوفة يُكنى أباهرة الأزدي، أتا فسلم عليه، ثم قال: يا ابن بنت رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد صلى الله عليه وآله؟

فقال الحسين عليه السلام: يا أباهرة، إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت! وأيم الله يا أباهرة، لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليسطن الله عليهم من يُذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة منهم فحكمت في أموالهم ودمائهم!». «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٣

إشارة: ص: ٢٢٣

إن ظاهر جواب الإمام عليه السلام لأبي هرة الأزدي هنا، وكذلك جوابه عليه السلام للفرزدق حينما سأله: «ما أعجلك عن الحج؟» حيث قال عليه السلام: «لو لم أعجل لأخذت!» يوحى بأن الإمام عليه السلام كان همه الأكبر النجاة بنفسه!! فقد صبر على أخذ ماله وشتم عرضه - على ما في جوابه عليه السلام لأبي هرة الأزدي - وحين أرادوا قتله هرب لينجو بنفسه! هذه هي حدود مظلوميته لا أكثر! وكأنه ليس هناك رفض بيعه ليزيد! ولا طلب إصلاح في أمة جده صلى الله عليه وآله! ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر! ولا قيام ونهضة!

إن الإقتصار على مثل هذه النصوص يؤدي إلى هذا الاستنتاج الخاطيء الذي وقع فيه بعض من كتب في تاريخ النهضة الحسينية، وهو: أن علّة خروج الإمام عليه السلام من المدينة المنورة ومن مكة المكرمة هو خوفه على نفسه من الإختطاف أو القتل، وأن هذا هو سرّ أسرار النهضة الحسينية!!

كذلك الحال إذا اقتصر نظر الباحث مثلاً على النصوص المتعلقة برسائل أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام، خصوصاً النصوص الواردة عنه عليه السلام في ذلك، لأن نتيجة مثل هذا النظر ستكون اعتبار رسائل أهل الكوفة هي سبب قيام الإمام عليه السلام! وهذا من أشهر الإشتباهات الحاصلة في مجرى النظر إلى قيام الإمام الحسين عليه السلام.

وكذلك الحال إذا اقتصر نظر الباحث على النصوص التي تحدّث فيها الإمام عليه السلام عن «الإستخارة»، «١» ذلك لأنّ ظاهر هذه النصوص يوحي بأنّ الإمام عليه السلام لم تكن لديه خطّة على الأرض في مسار النهضة منذ البدء! ولا علم له بما هو قادم عليه في مستقبل أيامه من مصير! بل كانت توجه حركته بوصله الإستخارة! الأمر الذي يعارض وينافي كثيراً من النصوص الأخرى الواردة عنه عليه السلام، فضلاً عن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٤

منافاته للإعتقاد الصحيح بعلم الإمام عليه السلام!

وهكذا الحال، إذا اقتصر نظر الباحث على النصوص المتعلقة بالرؤيا التي رأى فيها الإمام عليه السلام جدّه صلى الله عليه وآله، أو النصوص التي توحى بأنّه عليه السلام كان يأمل النصر والنجاح وتسلّم زمام الأمور ...

كلّ تلك النتائج القاصرة أو الخاطئة إنّما تنشأ نتيجة الأخذ الجزئي المفكك، أمّا أخذ جميع النصوص المتعلقة بهذه النهضة المقدّسة كمجموعة واحدة أخذاً كلياً موحّداً فهو أحد عناصر عصمة الإستنتاج من القصور والخطأ، كذلك فإنّ معرفة نوع المخاطب الذي يكلمه الإمام عليه السلام، وردّ متشابه قوله عليه السلام إلى محكمه، هما العنصران الآخراّن لهذه العصمة في التدبر الإستنتاج.

وبشر بن غالب الأسدي .. مرّة أخرى ص : ٢٢٤

كُنّا في «ذات عرق» قد تعرّضنا للقاء الإمام عليه السلام مع بشر بن غالب الأسدي، وعلّقنا على هذا اللقاء، وعرضنا ترجمة موجزة لهذا الرجل.

لكنّ الشيخ الصدوق (ره) في الأمالي روى أنّ هذا اللقاء كان في الثعلبية، قال (ره): «فسار الحسين عليه السلام وأصحابه، فلما نزلوا ثعلبية ورد عليه رجل يُقال له بشر بن غالب، فقال: يا ابن رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجلّ (يوم ندعوا كلّ أناسٍ بإمامهم)؟» (١)

قال: إمامٌ دعا إلى هدىّ فأجابوه إليه، وإمامٌ دعا إلى ضلالةٍ فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنّة، وهؤلاء في النار، وهو قوله عزّ وجلّ (فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السعير) (٢)

«٣» .

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٥

ولعلّ الإمام عليه السلام أراد- من خلال هذه الإجابة الحقّة- تنبيه بشر بن غالب الأسدي إلى وجوب إجابته في قيامه والإلتحاق به! ولعلّ هذا اللقاء كان لقاءً ثانياً لبشر بن غالب مع الإمام عليه السلام بعد لقاء (ذات عرق)، إذا كان بشر قد عاد باتجاه الكوفة مرّة أخرى وبسرعة!

ومع زهير الأسدي من أهل الثعلبية ص : ٢٢٥

روى ابن عساكر بسند إلى سفيان قال: «حدّثني رجل من بني أسد يُقال له:

بحير- بعد الخمسين والمائة- وكان من أهل الثعلبية، ولم يكن في الطريق رجل أكبر منه، فقلت له: مثل من كنت حين مرّ بكم حسين بن عليّ؟ قال: غلامٌ قد يفتت، قال: فقام إليه أخٌ لى أكبر مني يُقال له زهير وقال: أي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إنّي أراك في قلّة من الناس!

فأشار الحسين عليه السلام بسوط في يده هكذا، فضرب حقيبته وراءه فقال: ها إنّ هذه مملوءةٌ كتباً! ...» (١)

ومع آخر من أهل الكوفة ص : ٢٢٥

روى صاحب بصائر الدرجات (ره) بسند عن الحكم بن عتيبة قال: «لقي رجلُ الحسين بن عليّ عليهما السلام بالثعلبية وهو يريد كربلاء، فدخل عليه فسلم عليه، فقال له الحسين عليه السلام: من أى البلدان أنت؟
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٦
فقال: من أهل الكوفة.

قال: يا أخا أهل الكوفة، أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا ونزوله على جدى بالوحي! يا أخا أهل الكوفة، مُستقى العلم من عندنا، أفعلموا وجهلنا؟! هذا ما لا يكون!». «١»

لقاء ربّما كان فى الثعلبية أيضاً! «٢» ص : ٢٢٦

وروى ابن عساكر بسند عن يزيد الرّشك قال: «حدّثنى من شافه الحسين قال:
رأيتُ أبنيه مضروبه بفلاة من الأرض، فقلت: لمن هذه؟ قالوا: هذه لحسين.
قال: فأتيته، فإذا شيخ يقرأ القرآن - قال - والدموع تسيل على خديه ولحيته! قال: قلتُ: بأبى وأمى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التى ليس بها أحد؟
فقال: هذه كتب أهل الكوفة إلّى، ولا أراهم إلّا قاتلى! فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمةً إلّا انتهكوها، فيسلط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأمة. «٣»
«٤».

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٧

٩- الشقوق ص : ٢٢٧**إشارة**

«جمع: شَقَّ أو شَقَّق، وهو الناحية، منزل بطريق مكة بعد واقصه من الكوفة، وبعدها تلقاء مكة بطن ..». «١»

والفرزدق .. فى الشقوق أيضاً!! ص : ٢٢٧**إشارة**

روى ابن أعمش الكوفى قائلاً: «وسار الحسين حتى نزل الشقوق، فإذا هو بالفرزدق بن غالب الشاعر قد أقبل عليه، فسلم ثم دنى منه فقبل يده، فقال الحسين: من أين أقبلت يا أبافراس؟
فقال: من الكوفة يا ابن بنت رسول الله!
فقال: كيف خلّفت أهل الكوفة؟
فقال: خلّفت الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية، والله يفعل فى خلقه ما يشاء.
فقال: صدقت وبررت، إنّ الأمر لله يفعل ما يشاء، وربنا تعالى كلّ يوم هو فى شأن،

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٨

فإن نزل القضاء بما نحبّ فالحمد لله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإنّ حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحقّ نيته.

فقال الفرزدق: يا ابن بنت رسول الله! كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم قد قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته؟! قال: فاستعبر الحسين بالبكاء، ثم قال:

رحم الله مسلماً! فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنته ورضوانه، أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا.
قال: ثم أنشأ الحسين يقول:

فإن تكن الدنيا تُعدُّ نفيسةً فدار ثواب الله أعلى وأنبلُ

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئٍ بالسيف في الله أفضلُ

وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً فقلّة حرص المرء في الكسب أجملُ

وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخلُ

قال: ثم ودّعه الفرزدق في نفر من أصحابه، ومضى يريد مكة، فأقبل عليه ابن عمّ له من بني مجاشع فقال: أبا فراس، هذا الحسين بن عليّ!

فقال الفرزدق: هذا الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله، هذا والله (خيرة الله) ابن خيرة الله، وأفضل من مشى على وجه الأرض بعد محمد (من خلق الله)، وقد كنت قلتُ فيه أبياتاً قبل اليوم، فلا عليك أن تسمعها.

فقال له ابن عمّه: ما أكره ذلك يا أبا فراس! فإن رأيت أن تنشدني ما قلتُ فيه!

فقال الفرزدق: نعم، أنا القائل فيه وفي أبيه وأخيه وجدّه صلوات الله عليهم هذه الأبيات:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٩

هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التقى النقى الطاهر العلمُ

هذا حسين رسول الله والده أمست بنور هُدهاه تهتدى الأممُ

إلى آخر قصيدته العصماء المشهورة ...

قال: ثم أقبل الفرزدق على ابن عمّه فقال: والله، لقد قلت في هذه الأبيات غير متعرّض إلى معرفته، غير أنّي أردتُ الله والدار الآخرة.»

«١»

إشارتان ص: ٢٢٩

(١)- في متن هذه الرواية تصريح بأنّ الفرزدق كان على علم بمقتل مسلم عليه السلام (وقد قُتل في الثامن أو التاسع من ذي الحجة) وهو في الشقوق، ومعنى هذا أنّ الفرزدق كان- على أقل تقدير- في الشقوق في ما بعد الثامن أو التاسع من ذي الحجة، وعلى هذا فهو لن يُدرك الوصول إلى مكة أيام الحج قطعاً لبعد المسافة كثيراً عن مكة، من هنا لا بدّ من عدم القبول بمكان وزمان هذه الرواية وهي تصرح بهذا، وبأنّ الفرزدق ودّع الإمام عليه السلام ومضى يريد مكة! لإداء الحج!

(٢)- المشهور أنّ هذه القصيدة ارتجلها الفرزدق في مدح الإمام السجّاد عليّ ابن الحسين عليهما السلام في مكة متحدياً بذلك الطاغوت هشام بن عبد الملك، ولا مانع من أن يكون الفرزدق قد نظمها من قبل في الحسين عليه السلام كما صرح هو في هذه

الرواية- وأبياتها تصلح لممدح جميع أئمة أهل البيت عليه السلام- فلما أراد أن يمدح الإمام السجّاد عليه السلام بنفس هذه الأبيات أمام هشام أضاف إليها بيت المناسبة مخاطباً هشام بن عبد الملك:
وليس قولك من هذا بضائره العربُ تعرف من أنكرتَ والعجمُ
والله العالم بحقيقته الحال.
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٠

١٠- زُبالة ص : ٢٣٠

إشارة

«منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق، بين واقصة والثعلبية، وقال أبو عبيدة السكوني: زبالة بعد القاع من الكوفة قبل الشقوق فيها حصن وجامع لبنى غاضرة من بنى أسد، قالوا: سميت زبالة بزبلها الماء أى بضبطها له وأخذها منه ..». «١»
وقد سجّل التاريخ لنا وقائع مهمة في هذا المنزل، منها:
قال الدينوري: «فلما وافى زبالة وافاه بها رسول محمد بن الأشعث وعمر بن سعد، بما كان سأله مسلم أن يكتب به إليه فى أمره، وخذلان أهل الكوفة إياه بعد أن بايعوه، وقد كان مسلم سأل محمد بن الأشعث ذلك.
فلما قرأ الكتاب استيقن بصحة الخبر، وأفضعه قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة، ثم أخبره الرسول بقتل قيس بن مسهر الصيداوى رسوله الذى وجّهه من بطن الرمة.»

وقد كان صحبه قوم من منازل الطريق، فلما سمعوا خبر مسلم، وقد كانوا ظنوا أنه يقدم على أنصار وعُضد تفرّقوا عنه، ولم يبق معه إلا خاصته. «٢»

وقال السيد ابن طاووس (ره): «ثم سار الحسين عليه السلام حتى بلغ زبالة فأتاه فيها خبر مسلم بن عقيل، فعرف بذلك جماعة ممن تبعه، فتفرّق عنه أهل الأطماع والإرتياب، وبقي معه أهله وخيار الأصحاب.
قال الراوى: وارتجّ الموضوع بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل، وسالت مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣١
الدموع كلّ مسيل!». «١»

وكان الطبرى قد روى قصة مبعوث محمد بن الأشعث إلى الإمام عليه السلام هكذا:

«دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثلى الطائى من بنى مالك بن عمرو بن ثمامة، وكان شاعراً وكان لمحمد زوّاراً، فقال له: إلق حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذى أمره ابن عقيل، وقال له: هذا زادك وجهازك ومُتعة لعيالك. فقال: من أين لى براحله؟ فإن راحلتى قد أنضيتها! قال: هذه راحلة فاركبها برحلتها.

ثم خرج فاستقبله بزبالة لأربع ليال، فأخبره الخبر وبلغه الرسالة، فقال له حسين: كل ما حمّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا!». «٢»

تأمل وملاحظات: ص : ٢٣١

١- لم يبعث عمر بن سعد لعنه الله إلى الإمام صلى الله عليه وآله أحداً كما أوصاه مسلم عليه السلام، وماتفرّد به الدينورى فى أن هذا المبعوث كان من قبل محمد بن الأشعث وعمر ابن سعد تعارضه رواية الطبرى حيث ذكر أن إياس بن العثلى الطائى كان مبعوثاً

من قبل ابن الأشعث ولم يذكر عمر بن سعد معه، كما أنّ مسلماً عليه السلام أوصى ابن الأشعث بإرسال من يخبر الإمام عليه السلام بمعزل عن ابن سعد وقبل أن يطلب من هذا الأخير ذلك أيضاً، ثم إنَّ عمر بن سعد كان قد خان الوصيَّ في نفس مجلس ابن زياد وتنكر لها، فقد مضى في رواية أخرى للطبري - وهو المشهور أيضاً - أنّ مسلماً عليه السلام قبل أن يُقتل حين سارَّ عمر بن سعد بوصاياها، والتي كانت الأخيرة منها: «وابعث إلى حسين من يرده فإني قد كتبت إليه أعلمه أنّ الناس معه، ولا أراه إلّا مقبلاً! فقال عمر لابن زياد أتدري ما قال لي؟! إنّه ذكر كذا وكذا! قال له ابن زياد:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٢

إنّه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن!!» (١)

(٢) - مرَّ بنا قبل هذا أنّ خبر مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة (رض) قد بلغ الإمام عليه السلام في الثعلبية، ولما منع أن يتكرر ورود هذا الخبر المفجع على الإمام عليه السلام في أكثر من منزل، وبواسطة أكثر من مُخبر، فيتجدد اتقاد حزن الإمام عليه السلام ومن معه على هؤلاء الشهداء الأبرار كلّما حدّثه قادمٌ عليه بخبرهم! فيرتجّ الموضوع بالإسترجاع وبالبعاء والعيول، وتسيل الدموع لأجلهم كلّ مسيل، كما هو الوصف في رواية السيد ابن طاووس (ره)

(٣) - خبر مقتل عبدالله بن يقطر (رض): أمّا قول الدينوري: ثمَّ أخبره الرسول بقتل قيس بن مسهر الصيداوي رسوله الذي وجّهه من بطن الرمة، فهو مخالف للمشهور الذي عليه جلُّ علماء السيرة من أنّ الذي وصل إلى الإمام عليه السلام في زُبالة هو خبر مقتل عبدالله بن يقطر أخيه من الرضاة، يقول الطبري: «كان الحسين لا يمرُّ بأهل ماءٍ إلّا اتبعوه! حتّى انتهى إلى زُبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاة، مقتل عبدالله بن يقطر، (٢) وكان سرّحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنّه قد أصيب، فتلقاه خيل الحصين بن نمير بالقادسية، فسرح به إلى عبيدالله بن زياد، فقال: إصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب ثمَّ انزل حتى أرى فيك رأيي! قال: فصعد، فلمّا أشرف على الناس قال: أيها الناس، إنّي رسول الحسين بن فاطمة، بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لتنصروه وتوازرروه على ابن مرجانة، ابن سميّة الدعوى! فأمر به عبيدالله فألقى من فوق القصر إلى الأرض، فكسرت عظامه وبقي

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٣

به رمق، فأتاه رجل يُقال له: عبدالملك بن عمير اللخمي فذبحه! فلمّا عيب ذلك عليه قال: إنَّما أردتُ أن أريحه! - قال هشام: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عمَّن أخبره قال: والله ما هو عبدالملك بن عمير الذي قام إليه فذبحه، ولكنه قام إليه رجل جعِدٌ طُووال يشبه عبدالملك بن عمير - قال: فأتى ذلك الخبر حسيناً وهو بزُبالة، فأخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعدُ فإنّه قد أتانا خبرٌ فظيع! قُتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبدالله بن يقطر! وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الإنصراف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام!

قال: فتفرّق الناس عنه تفرّقاً فأخذوا يميناً وشمالاً! حتّى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة! (١) وإنّما فعل ذلك لأنّه ظنَّ أنّما اتبعه الأعراب لأنهم ظنّوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله! فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون علامٌ يقدمون! وقد علم أنّهم إذا بين لهم لم يصحبه إلّا من يريد مواساته والموت معه! ..» (٢)

(٤) - تؤكّد مجموعة من المتون التاريخية على أنّ أهل الأطماع والإرتياب تفرّقوا عن الإمام عليه السلام في زُبالة، بعدما شاع فيهم خبر مقتل مسلم عليه السلام وهاني بن عروة (رض) وعبدالله بن يقطر (رض)، وبعدهما خطب فيهم الإمام عليه السلام - أو قرأ كتاباً عليهم - فأعلمهم بانقلاب الأمر وخذلان الشيعة في الكوفة، ثمَّ إذن لهم بالإنصراف بلاذمام! - كما مرَّ بنا في رواية الطبري - أو كما نقل الخوارزمي في المقتل حيث قال: «وكان قد تبع الحسين خلقٌ كثير من المياه التي يمرُّ بها لأنهم

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٤

كانوا يظنون استقامة الأمور له عليه السلام، فلمّا صار بزُبالة قام فيهم خطيباً فقال:

ألا- إن أهل الكوفة وثبوا على مسلم بن عقيل، وهانى بن عروة، فقتلوهما وقتلوا أخى من الرضاعة، فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف من غير حرج، وليس عليه منّا ذمام!

فتفرّق الناس وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه من مكّة، وإنّما أراد أن لا يصحبه إنسان إلّا على بصيرة!»، «١» أو «فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون علام يقدمون! وقد علم أنّهم إذا بين لهم لم يصحبه إلّا من يريد مواساته والموت معه!..» «٢»

ونقول: تلك هى سُنّة القادة الربانيين فى قيامهم، إنهم يريدون العدة وكثرة الأنصار، ولكن ليس أى ناصر وكيفما كان! بل الناصر «الربى»: «٣» الشديد التمسك بإطاعة الأمر الإلهى، الذى يُقدم على تنفيذ الأمر الإلهى ناظراً إلى التكليف لا إلى النتيجة!، قد نزع قلبه من كلّ عوالت الدنيا وما فيها وأخلصه لطاعة الله تبارك وتعالى، فكانت مرضاه «الرب» عزّ وجلّ هى الهَمُّ الشاغل لقلبه لا سواها. هذه العدة من «الربيين» «٤» هى العدة التى يطلبها ويسعى إلى تكثيرها القائد الربانى فى قيامه ونهضته!

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٣٥

ومن سُنّة القادة الربانيين أيضاً أنّهم يستثمرون كلّ مناسبة لامتحان (المجموع) الذى يصحبهم، وذلك لتخليص عدّتهم الربانية من كلّ ما يعلق بها من أهل الطمع والإرتياب، حتّى تصفو هذه العدة من الإضافات الكاذبة! فتبقى الصفوة الخالصة (القوة الحقيقية) التى يخطّط القائد الربانى على أساسها نوع المواجهة وأسلوب القتال يوم الملحمة!

وهذه مسألة مهمّة وأساسية فى التخطيط الحربى، بل حتّى فى التخطيط لكل مواجهة سياسية، ذلك لأنّ التخطيط فى كلّ مواجهة على أساس (القوة الظاهرية) لا على أساس (القوة الحقيقية) سيضع القوة العسكرية أو الحركة السياسية أمام حدث هو أكبر من حجمها الحقيقى، فإذا تعرّضت هذه القوة أو الحركة لضربة قاصمة أو إنكسار كبير مثلاً فإنّ هذه الضربة أو هذا الإنكسار سيقعان على رأس (القوة الحقيقية) فقط! لأنّ الإضافات غير الحقيقية التى أحاطت بالقوة الحقيقية وشكّلت معها القوة الظاهرية ستفترق وتتلاشى عنها ساعة الشدّة كما هى عادة وطبيعة الأشياء، تاركة القوة الحقيقية وحدها عرضة لضربة أو انكسار هما أكبر من استطاعتها وتحملها!! ولذا قد تتحطّم القوة الحقيقية أو تزول تماماً قبل تحقيق الهدف المنشود من وراء وجودها!

هذا فى إطار الأثر على الأرض! أمّا فى إطار الأثر فى السماء، فإنّ اختبار العدة الظاهرية بالامتحان بعد الامتحان، وتمحيصها حتّى لا يبقى منها إلّا أهل البصائر والعزائم الراسخة، سوف يزيد من علو درجاتهم ومنازلهم الأخروية عند الله تبارك وتعالى، لأنّ لهم أجراً وفوزاً وارتقاءً لنجاحهم بعد كلّ امتحان وتمحيص! والله يختص برحمته من يشاء، والله واسع عليم!

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٣٦

(١١) - بطن العقبه ص : ٢٣٦

إشارة

«العقبه: منزل فى طريق مكّة بعد واقصه وقبل القاع لمن يريد مكّة، وهو ماء لبنى عكرمة من بكر بن وائل.» «١»

لقاء الإمام عليه السلام مع عمرو بن لوزان ص : ٢٣٦

إشارة

قال الطبرى: «.. ثمّ سار حتّى مرّ ببطن العقبه فنزل بها، قال أبو مخنف: فحدّثنى لوزان أحد بنى عكرمة أنّ أحد عمومته سأل الحسين

عليه السلام: أين تريد؟ فحدّثه، فقال له: إنّي أنشدك الله لما انصرفت، فوالله لا تقدم إلّا على الأسنّة وحدّ السيوف! فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنّة القتال ووطّأوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكرها فإنّي لا أرى لك أن تفعل!
قال: فقال له:

يا عبدالله، إنّه ليس يخفى عليّ الرأى ما رأيت! ولكنّ الله لا يغلب على أمره!
ثم ارتحل منها.. «٢»

وفى رواية الإرشاد أنّ هذا الشيخ من بنى عكرمة يقال له: عمرو بن لوذان، وفيها أيضاً أنّ الإمام عليه السلام قال له: يا عبدالله، ليس يخفى عليّ الرأى! وإنّ الله لا يغلب على أمره!
ثم قال عليه السلام: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفى! فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذلّ فرق الأمم! «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٧

أمّا الدينورى فروى هذا اللقاء هكذا: «فسار حتّى انتهى إلى بطن العقيق، «١» فلقه رجل من بنى عكرمة، فسلم عليه وأخبره بتوطيد ابن زياد الخيل ما بين القادسية إلى العُدَيْب «٢» رسداً له! ثم قال له: إنصرف بنفسى أنت! فوالله ماتسير إلّا الى الأسنّة والسيوف! ولا تتكلن على الذين كتبوا إليك، فإنّ أولئك أول الناس مبادرة إلى حربك!
فقال له الحسين: قد ناصحت وبالغت، فجزيت خيراً!
ثم سلّم عليه ومضى .. «٣»

إشارة: ص: ٢٣٧

إنّ المشورة أو الرأى الذى عرضه عمرو بن لوذان للإمام عليه السلام هنا شبيه بالرأى الذى كان قد عرضه كلُّ من عبدالله بن عباس (رض)

وعمر بن عبدالرحمن المخزومى فى مكّة، «٥» ولاحظنا أنّ الإمام عليه السلام لم يُخطيء هذه الآراء والمشورات والإقتراحات، بل أجاب أصحابها بما يؤكّد صحتها وصوابها وأنها كانت من
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٨
النصح والعقل والرأى.

لكنّ الإمام عليه السلام مع إقراره بصحة وصواب تكلم النصائح والمشورات كان يؤكّد لكلّ من أصحابها بطريقة تناسب ونوع المخاطب أنّه لا بدّ له من عدم الأخذ بتلك النصائح والإقتراحات! وذلك لأنّ منطق هؤلاء وان كان صحيحاً بمقياس حدود الظواهر إلّا أنه لا يتعدى التفكير بالسلامة والمنفعة الذاتية والنصر الظاهرى، فى حين كان الإسلام آتئذٍ يمرُّ بمنعطف حاسم النتيجة فى أن يبقى أو لا يبقى، وقد عبّر الإمام عليه السلام عن حال الإسلام الحرجة هذه أمام مروان بن الحكم بقوله:

«وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد!». «١»

كان الإسلام المحمّدى الخالص قد اشتبهت حقيقته على أكثر هذه الامّة حين اختلط عليهم - بفعل جهود حركة النفاق عامّة والحزب الأموى خاصة - اختلاطاً عجيباً مع أباطيل وتحريفات كثيرة وكبيرة افتريت عليه ودسّت فيه، حتى صار من غير الممكن فصل الإسلام المحمّدى الخالص عن (الإسلام الأموى!) إلّا إذا ارتكب الأمويون الجريمة الكبرى، جريمة سفك الدّم المقدّس، دم ابن رسول الله

صلى الله عليه وآله وإلّا لاستمرّت عملية التحريف والمزج، حتى تصل الأمة إلى حدّ لا تعرف عنده إلّا الإسلام الأمويّ! فلا يبقى من الإسلام المحمّدي إلّا اسمه!

إذن فحال الإسلام يومذاك كحال المريض الذي لا ينعف في علاجه إلّا الكي، وقديماً قيل في المثل (آخر الدواء الكي!) لما يترتب عليه من علاج حاسم!

حال الإسلام يومذاك لم يكن ينعف في علاجها منطق السياسة والمعاملة السياسيّة والدهاء السياسي، ورعاية المصالح الذاتيّة، والتفكير بالسلامة،

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٩

وحسابات الاستفادة والمنفعة والربح والخسارة الشخصية، وضوابط التخطيط للسيطرة على الحكم! حال الإسلام يومذاك ما كانت لتصل إلى علاجها الحاسم وتبلغ درجة الشفاء التام إلّا بمنطق الشهادة! ولم يكن لها مرهمٌ إلّا الدّم الأقدس، دم ابن رسول الله الذي هو دم رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه!! دم الحسين عليه السلام، الشهيد الفاتح الذي جاء من قلب (المدينة) يسعى، يحدو به الشوق إلى المصرع المختار «وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف!»، «١»

في ركب من عشاق الشهادة لا تنههم عن مصارع العشق عقلانيّة عقلاء الظاهر ولا نصائحهم ولا ملامة المحجوب عن المحبوب!

رأيتُ كلاباً تنهني أشدها على كلب أبقع! ص : ٢٣٩

إشارة

روى الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القميّ (ره) بسندٍ عن شهاب بن عبد ربّه، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لَمَّا صعد الحسين بن عليّ عليهما السلام عقبه البطن قال لأصحابه: ما أراني إلّا مقتولاً!

قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الله؟

قال: رؤيا رأيتها في المنام!

قالوا: وما هي؟

قال: رأيت كلاباً تنهني أشدها على كلب أبقع!.. «٢»

إشارة: ص : ٢٣٩

حدّثنا المتون التاريخية أنّ أهل الطمع والإرتياب كانوا قد تفرّقوا عن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٠

الإمام عليه السلام ذات اليمين وذات الشمال في منطقة زباله- بعد أن علموا بمقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة (رض) وعبد الله بن يقطر (رض)، وبعد أن خطبهم الإمام عليه السلام خطبته التي أعلمهم فيها بمقتل هؤلاء الشهداء الأبرار (رض)، ورخصهم في الإنصراف عنه- فما بقي معه إلّا الصفوة من أصحابه الذين لازموه حتّى استشهدوا بين يديه.

لكننا هنا نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام ما برح يواصل إختبار وامتحان تصميم الباقيين معه على الشهادة حتّى بعد منطقة زباله، من خلال إخبارهم بما رأى من الحقّ في عالم المنام، وما ذاك إلّا لتقوية الركب الحسيني تماماً من كلّ متردد مرتاب أو ذى طمع في دنيا أو

عافية وسلامة ربما كان لم يزل حتى تلك الساعة عالماً بالركب الحسيني، وكذلك ليزداد أهل البصائر والنبات الصادقة يقيناً على يقينهم وتصميماً على المضى إلى القتل فوق تصميمهم، ليزدادوا بذلك عند الله مثوبة ويرقون إلى منازل أعلى في عليين! ولعل الإمام عليه السلام أراد أيضاً- فى ضمن ذلك- أن يكشف لهم عن وحشية الأعداء وإصرارهم على قتله، وأشدّهم نهشاً ووحشية وإصراراً على قتله ذلك الرجل الأبقع فيهم، وهو شمر بن ذى الجوشن العامرى لعنه الله!

(١٢) - شراف ص : ٢٤٠

«شراف بين واقصه والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبنى وهب، ومن شراف إلى واقصه ميلان (٤ كم تقريباً)، وهناك بركة تُعرف باللوزة، وفى شراف ثلاث آبار كبار، رشاؤها أقل من عشرين قامه، وماؤها عذب كثير، وبها قُلبٌ كثيرة طيبة الماء يدخلها ماء المطر ..». (١)

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص : ٢٤١

قال الشيخ المفيد (ره): «ثم سار عليه السلام فى بطن العقبة حتى نزل شراف فلما كان فى السحر أمر فتياه فاستقوا من الماء فأكثروا ..». (١)

هذا ما حدّثنا التاريخ به عمّا حصل فى منطقة شراف لاغير، وإنّ لأمره عليه السلام فتياه بالإستقاء من الماء والإكثار منه أثراً كاشفاً عن علمه عليه السلام بالوقائع قبل حصولها، وقد تجلّى هذا الأثر عند لقاءهم لأوّل مرّة مع الحرّ بن يزيد الرياحى (رض) فى قوّة قتاليه مؤلّفه من ألف فارس! بعد قليل من شراف.

نعم، ذكر مؤرّخون «٢» أنّ الإمام عليه السلام أمر بالإستقاء من الماء والإكثار منه قبل ذلك فى أكثر من موضع، بل ربّما كان ذلك من عادة السير والسفر قبيل التحرك من كلّ منزل من المنازل، لكنّ الظاهر أنّ الإستقاء من الماء والإكثار منه فى شراف كان أكثر من كلّ مرّة بحيث يزيد هذه المرّة عن حاجة الركب الحسينى كثيراً.

(١٣) ذو حُسم: ص : ٢٤١

إشارة

وهو جبل يقع بين شراف وبين منزل البيضة، كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة يصطاد فيه. (٣) روى الطبرى عن الرجلين الأسديين (عبدالله بن سَلِيم والمذرى بن المشمعل) قالوا: «ثم ساروا منها- أى شراف- فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار، ثم إنّ رجلاً قال: الله أكبر!

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص : ٢٤٢

فقال الحسين: الله أكبر! ما كبرت؟

قال: رأيت النخل!

فقال له الأسديان: إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلة قط!

قالا: فقال لنا الحسين: فما تريانه رأى؟

قلنا: نراه رأى هوادى الخيل!

فقال: وأنا والله أرى ذلك! .. أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله فى ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟

فقلنا له: بلى، هذا ذو حُسم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإنّ سبقت القوم إليه فهو كما تريد.

قال فأخذ إليه ذات اليسار، قال ومِلنا معه، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هودى الخيل فتبينّاها وعدلنا، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنّ أسنتهم اليعاسيب! وكأنّ راياتهم أجنحة الطير!

قال فاستبقنا إلى ذى حُسم فسبقناهم إليه، فنزل الحسين فأمر بأبنيته فضررت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حرّ الظهر، والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسياهم!

فقال الحسين لفتيانه: إسقوا القوم واروهم من الماء! ورشّفوا الخيل ترشيفاً!

فقام فتيانه فرشّفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتّى أروهم! وأقبلوا يملؤون القصاع والأتوار والطّساس من الماء ثمّ يُدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه وسقوا آخر حتّى سقوا الخيل كلّها.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٣

قال هشام: حدّثني لقيط، عن عليّ بن الطّعان المحاربي: كنت مع الحرّ بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين مابى وبفرسى من العطش قال: أترخّ الراوية- والراوية عندى السقاء- ثمّ قال: يا ابن أخي، أنخ الجمل! فأنخته، فقال: إشرب. فجعلت كلّما شربتُ سال الماء من السقاء، فقال الحسين:

أخث السقاء- أى إعطفه قال جعلت لا أدري كيف أعمل! قال فقام الحسين فخنّته، فشربت وسقيتُ فرسى.

قال: وكان مجيء الحرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسية، وذلك أن عبيدالله بن زياد لما بلغه إقبال الحسين بعث الحصين بن نمير التميمي وكان على شُرطه، فأمره أن ينزل القادسية وأن يضع المسالح، فينظّم ما بين القفططانه إلى خفّان! وقدّم الحرّ بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسية فيستقبل حُسيناً!

قال فلم يزل موافقاً حُسيناً حتى حضرت الصلاة صلاة الظهر، فأمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذّن فأذّن، فلما حضرت الإقامة خرج الحسين في إزارٍ ورداءٍ ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيها النَّاس، إنَّها معذرةٌ إلى الله عزّ وجل وإليكم! إنّي لم آتكم حتّى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم: أن أقدم علينا فإنّه ليس لنا إمام. لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم! قال فسكوتوا عنه، وقالوا للمؤذّن: أقم. فأقام الصلاة.

فقال الحسين عليه السلام للحرّ: أتريد أن تصلّى بأصحابك؟

قال: لا، بل تصلّى أنت ونصلّى بصلاتك!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٤

قال فصلّى بهم الحسين، ثمّ إنّه دخل واجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان به، فدخل خيمته قد ضربت له، فاجتمع إليه جماعة من أصحابه، وعاد أصحابه إلى صفّهم الذي كانوا فيه فأعادوه، ثمّ أخذ كلّ رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلّها.

فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيأ للرحيل، ثمّ إنّه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر وأقام، فاستقدم الحسين فصلّى بالقوم ثمّ سلّم وانصرف الى القوم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعدُ أيها النَّاس، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكنّ أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان! وإنّ أنتم كرهتمونا وجهلتم حقّنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم!

فقال له الحرّ بن يزيد: إنّنا والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر!

فقال الحسين: يا عقبه بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ! فأخرج خرجين مملوئين صحفاً، فنشرها بين أيديهم!

فقال الحرّ: فإننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد!

فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك!

ثم قال لأصحابه: قوموا فاركبوا. فركبوا وانتظروا حتى ركب نساؤهم، فقال لأصحابه: انصرفوا بنا. فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم

وبين الانصراف، فقال الحسين للحرّ: ثكلتك أمك! ما تريد؟!

قال: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٥

عليها ما تركت ذكر أمه بالمثل أن أقوله، كائنًا من كان، ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يُقدر عليه!

فقال له الحسين: فما تريد؟!

قال الحرّ: أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد!

قال له الحسين: إذن والله لا أتبعك!

فقال له الحرّ: إذن والله لا أدعك!

فترادا القول ثلاث مرّات، ولما كثر الكلام بينهما:

قال له الحرّ: إنني لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة! فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا تردك

إلى المدينة، لتكون بيني وبينك نصفاً، حتى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه، أو إلى

عبيد الله بن زياد إن شئت، ففعل الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك. قال: فخذ هاهنا فتيسر

عن طريق العذيب والقادسيّة. (وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً).

ثم إن الحسين سار في أصحابه، والحرّ يسايره... «١»

تأمل وملاحظات: ص : ٢٤٥

(١) - تعامل الإمام عليه السلام - القائد الرباني - مع الظالمين والمغرّرين بهم والمشولين نفسياً من أبناء هذه الأمة ص : ٢٤٥

معاملة الأب الرؤوف الحاني - مالم يقع بينه وبينهم السيف - وذلك لأن غاية الإمام عليه السلام أساساً هي دعوتهم إلى الحق والهدى،

وقد تجسّدت هذه الروح الأبوية الحانية في سقايه هؤلاء القادمين بأمر ابن زياد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٦

للجعجعة به عليه السلام، وإروائهم في ساعة هم أشد ما يكونون فيها حاجة إلى الماء، وكأنه عليه السلام كان قد أحياهم بعد احتضار

من شدة العطش! - بل لقد تجلّت رأفته وحنوه عليه السلام كخليفة لله على كل خلقه أيضاً في إرواء الخيل والدواب الأخرى

وترشيفها - ولا شك أن هذه الأخلاقية الربانية حجة بالغة على أولئك القوم، تهزّ ضمائرهم هزاً عنيفاً وتدفعها دفعاً قوياً إلى التأمل

والتفكير وتستنتق الفطرة فيهم للإجابة عن هذا السؤال: أيّ الرجلين أحقّ بالاتباع والإطاعة: الإمام عليه السلام أم ابن زياد الجلف

الجافي؟!

فعللاً ضاللاً - بعد هذه الهزة في الضمير - يستبصر فيتهدى إلى الحق ويتبعه، ومغرّراً به تنكشف له حقيقة الأمر فيعرف أهل الحق وقادته،

ومشولواً في نفسه يتحرر فينطلق بقوة وعزم للانضمام إلى أهل الحق وقد كان ولم يزل يعرفهم!!

(٢) - كان الإمام عليه السلام يريد أن يدخل الكوفة حراً وبالطريقة التي يختارها هو!، وكان الحرّ يريد أن يأخذه إليها أسيراً! ص : ٢٤٦

بأمر ابن زياد! كان هذا أصل الأخذ والردّ بينهما، لكنّ ما يُلفت الإنتباه في هذه النقطة هو أنّ الإمام عليه السلام ظلّ مصرّاً على التوجّه نحو الكوفة حتّى بعد الإختيار الموسّع الذي عرضه عليه الحرّ بن يزيد (رض) في أن يتخذ طريقاً لا تُدخله الكوفة ولا تردّه الى المدينة، فيذهب حيث يشاء بين ذلك! بل كان الإختيار أوسع - على رواية ابن أعثم الكوفيّ - حيث شمل حتّى الرجوع الى المدينة إذا شاء! حين قال له الحرّ (رض): «أبا عبدالله، إنّي لم أوامر بقتالك، وإنّما أمرت أن لا أفارقك أو أقدم بك على ابن زياد! وأنا والله كارّة إن سلبنى الله بشيء من أمرك! غير أنّي قد أخذتُ ببيعة القوم وخرجت اليك! وأنا أعلم أنه لا يوافي القيامة أحد من هذه الأمة إلّا وهو يرجو شفاعته جدّك محمّد صلى الله عليه وآله! وأنا خائف إن قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة! ولكن خذ عني هذا الطريق وامض حيث شئت! حتى أكتب إلى ابن زياد أن هذا خالفني في الطريق

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٧

فلم أقدر عليه! .. «١»

إنّ إصرار الإمام عليه السلام على التوجّه نحو الكوفة حتّى بعد انتفاء حجّة رسائل أهل الكوفة عملياً - بعد وصول خبر مقتل مسلم عليه السلام وهاني (رض) وعبدالله بن يقطر (رض) إلى الإمام عليه السلام - كاشف عن أنّ رسائل أهل الكوفة إليه لم تكن السبب الرئيس في توجّهه نحو العراق! وإنّ كان صحيحاً القول إنّه عليه السلام «لم يشأ أن يدع أيّ مجال لإمكان القول بأنّه عليه السلام لم يف تماماً بالعهد لو كان قد انصرف عن التوجّه إلى الكوفة في بعض مراحل الطريق، حتّى بعد أن أغلق جيش الحرّ دونه الطريق إليها! ذلك لأنّ الإمام عليه السلام مع تمام حجّته البالغة على أهل الكوفة أراد في المقابل بلوغ تمام العذر وعلى أكمل الوجه فيما قد يتصوّر أنّ لهم حجّة باقية عليه، بحيث لا يبقى ثمّة مجال للطعن في وفائه بالعهد!». «٢»

نعم، هذا سبب من جملة الأسباب التي تقع في طول السبب الرئيس في توجّهه عليه السلام نحو العراق: وهو أنّ الإمام عليه السلام - مع علمه بأنّه مالم يبايع يُقتل - كان قد أصرّ على العراق لأنّه أفضل أرض للمصرع الذي لا بُدّ منه، لما ينطوي عليه العراق من استعدادات للتأثر بواقعة المصرع والتغيّر نتيجة لها! وقد فضلنا القول في هذا تحت عنوان (لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام العراق) في الفصل الأوّل، فراجع.

٣ - لم يقصد الإمام عليه السلام التخلّي عن نهضته بقوله في خطبته بعد صلاة الظهر: ص : ٢٤٧

«... وإنّ لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم!» أو قوله في خطبته بعد صلاة العصر: «وإنّ كرهتمونا وجهلتم

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٨

حقّنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم!».

بل كلّ ما عناه الإمام عليه السلام في هذين القولين - وفي نظائرها - هو التخلّي عن التوجّه إلى الكوفة - مادام لا يمكنه أن يدخلها إلّا أسيراً! - وهذا لا يعنى تخلّيه عن مواصلة القيام والنهضة، بل يعنى تغيير مسار حركة الركب الحسيني إلى جهة أخرى غير الكوفة، سواء بالعودة إلى مكّة المكرمة أو المدينة المنورة أو الذهاب إلى اليمن أو أي مكان آخر! هذه حدود المعنى المفهوم في قوله عليه السلام: انصرفت عنكم.

٤) من هو الحرّ بن يزيد الرياحي؟ ص : ٢٤٨

هو الحرّ بن يزيد بن ناجية بن قنّب بن عتاب [الرديف] بن هرمي بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، فهو التميمي اليربوعي الرياحي.

كان الحرّ شريفاً في قومه جاهليةً وإسلاماً، فإنّ جدّه عتاباً كان رديف النعمان، وولد عتاب قيساً وقعباً ومات، فردف قيس للنعمان ونازعه الشيبانيون، فقامت بسبب ذلك حرب يوم الطخفة.

والحرّ هو ابن عمّ الأخص الصحابي الشاعر: زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب. وكان الحرّ في الكوفة رئيساً، ندبه ابن زياد لمعارضه الحسين عليه السلام فخرج في ألف فارس! «١»

والظاهر من متون قصة لقاء الإمام عليه السلام مع الحرّ (رض) على رأس ألف فارس

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٩

قادماً من القادسية لمعارضه الإمام عليه السلام في مسيره: أنّ الحرّ (رض) كان يومذاك عارفاً ومؤمناً بمقام ومنزله أهل البيت عليهم السلام عند الله تبارك وتعالى، وكارهاً لمأمره خروجه لمعارضه الإمام عليه السلام!

فها هو يجيب الإمام عليه السلام حينما قال له: ثكلتك أمك! ما تريد؟ قائلاً: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي، وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله، كائناً من كان! ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يُقدر عليه!

ويقول للإمام عليه السلام أيضاً: وأنا أعلم أنه لا يوافي القيامة أحدٌ من هذه الأمة إلا وهو يرجو شفاعه جدك محمد صلى الله عليه و آله! وأنا خائف إن قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة! ...

وروى الشيخ ابن نما (ره) بإسناده أنّ الحرّ (رض) - بعد أن هداه الله ووفقه للانضمام إلى الإمام عليه السلام - «قال للحسين عليه السلام: لَمَّا وَجَّهَنِي عبيدالله إليك خرجت من القصر فنوديت من خلفي: أبشر يا حرّ بخير! فالتفت فلم أر أحداً فقلت: والله ما هذه بشاره وأنا أسير إلى الحسين عليه السلام!! وما أحدث نفسي باتباعك!

فقال عليه السلام: لقد أصبت أجراً وخيراً..» «١»

لكنّ الظاهر من مجموع سياق قصة خروجه إلى الإمام عليه السلام وجعجعت به هو

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٠

أنّ الحرّ (رض) لم يكن يتوقع أنّ القوم سوف ينتهي بهم الأمر إلى مقاتله الإمام عليه السلام، ولذا نراه حينما رأى في كربلاء جديّة الموقف والحال، وأنّ كلّ ما حوله يؤكّد أنّ فتيل الحرب على وشك الإشتعال، توجه إلى عمر بن سعد يسأله مستغرباً قائلاً: أي عمر! أمقاتل أنت هذا الرجل؟!

فقال عمر لعنه الله: إي والله قتالاً شديداً، أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي! فردّ عليه الحرّ (رض): أفما لكم فيما عرضه عليكم رضي؟!

قال عمر: أما والله، لو كان الأمر إليّ لفعلت، ولكنّ أميرك أبي!

فأقبل الحرّ حتّى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يُقال له قرة بن قيس، فقال له: يا قرة! هل سقيت فرسك اليوم؟

قال: لا!

قال: فما تريد أن تسقيه؟

قال قرة: فظننت والله أنه يُريد أن يتنحى ولا يشهد القتال، فكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فأسقيه.

فاعتزل ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنه أطلعني على الذي يُريد لخرجت معه إلى الحسين! فأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له مهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد؟! أتريد أن تحمل؟ فلم يجبه، فأخذه مثل الأفكل وهي الرعدة! فقال له المهاجر: إنّ أمرك

لمريب! والله ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا! ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟! فقال له الحرّ: إنّي والله أخير نفسى بين الجنّة والنار، فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطعت وأحرقت!! ثمّ ضرب فرسه فلحق الحسين عليه السلام فقال له: جعلت فداك يا ابن رسول الله!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥١

أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأرتك في الطريق وجعجت بك في هذا المكان! وما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم! ولا يبلغون منك هذه المنزلة! والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت! وأنا تائب إلى الله ممّا صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟

فقال له الحسين عليه السلام: نعم، يتوب الله عليك، فانزل.

فقال: أنا لك فارساً خيراً مني راجلاً، أقاتلهم على فرسى ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمرى!

فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك. «١»

وبهذا يتجلّى أن الحرّ (رض) لما رأى من القوم مالم يكن يتوقّعه منهم ناقش نفسه نقاشاً جاداً حاسماً- في ظرف زمّنى صعب وعسير وقصير!- ليتخذ الموقف الصحيح بين صفّ الحقّ وصفّ الباطل، وما هي إلا لحظة مصيرية حاسمة تحرّر فيها الحرّ من كلّ شلل نفسى وازدواج فى داخله، فانطلق إلى الحقّ وانضمّ إليه متبرئاً من كلّ عوالق الباطل، منيباً إلى الله تائباً إليه، فى لحظة تاريخية فريدة، وموقف ريادى لا مثيل له، جعل من إسم الحرّ الرياحى (رض) رمزاً لكلّ عشاق الحقيقة الأحرار على مرّ الدهور وتتابع الأجيال.

وكان الحرّ (رض)- كما وصفه المهاجر بن أوس- من أشجع أهل الكوفة، وقد روى «أن الحرّ لما لحق بالحسين عليه السلام قال رجل من تميم يُقال له يزيد بن سفيان: أما والله لو لحقته لأتبعته السنان!

فبينما هو يقاتل، وإنّ فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبيه وإنّ الدماء لتسيل، إذ قال الحصين: يا يزيد هذا الحرّ الذى كنت تتمناه! قال: نعم.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٢

فخرج إليه، فما لبث الحرّ أن قتله، «١» وقتل أربعين فارساً وراجلاً، فلم يزل يقاتل حتى عُرِيب فرسه، وبقي راجلاً وهو يقول:

إنّي أنا الحرّ ونجلّ الحرّ أشجع من ذى لبدٍ هزبرٍ

ولستُ بالجبان عند الكرّ لكننى الوّاقف عند الفرّ

كما روى أنه (رض) قال للإمام عليه السلام: «يا ابن رسول الله، كنتُ أوّل خارج عليك، فأنذني لى لأكون أوّل قتيل بين يديك، وأوّل من يصافح جدك غداً!- وإنما قال الحرّ: لأكون أوّل قتيل بين يديك، والمعنى يكون أوّل قتيل من المبارزين، وإلا فإنّ جماعة كانوا قد قُتلوا فى الحملة الأولى كما ذكر- فكان أوّل من تقدّم إلى براز القوم، وجعل ينشد ويقول:

إنّي أنا الحرّ وماوى الضيف أضرب فى أعناقكم بالسيف

عن خير من حلّ بأرض الخيف أضربكم ولا أرى من خيف «٢»

وروى أنه (رض) لما قُتل احتمله أصحاب الحسين عليه السلام حتى وضعوه بين يدي الحسين عليه السلام وبه رمق، «فجعل الحسين يمسح وجهه ويقول: أنت الحرّ كما سمّتك أمك! وأنت الحرّ فى الدنيا، وأنت الحرّ فى الآخرة!

ورثاه رجل من أصحاب الحسين عليه السلام، وقيل: بل رثاه على بن الحسين عليهما السلام:

لنعم الحرّ حرّ بنى رياح صبورٌ عند مختلف الرماح

ونعم الحرّ إذ فادى حسناً وجاد بنفسه عند الصباح

فيا ربّى أضفه فى جنانٍ وزوجه مع الحور الملاح «٣»

وله (رض) خطبة في القوم يوم عاشوراء قال فيها:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٣

«يا أهل الكوفة! لأمتكم الهبل والعبر! أدعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا جاءكم أسلمتموه! وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه! وأمستكم بنفسه وأخذتم بكظمه! وأحطتم به من كل جانب لتمنوه التوجه في بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم! لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً! وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجاري! يشربه اليهود والنصارى والمجوس، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابهم! فها هم قد صرعهم العطش! بئسما خلفتم محمداً في ذريته، لاسقاكم الله يوم الضمأ.» (١)

فسلام على رمز التحول الواعي السريع الجريء من ظلمات الباطل إلى نور الحق، سلام على الحرّ الرياحي يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حياً!

إنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً!

وروى الطبري عن عقبه بن أبي العيزار قال: «قام حسين عليه السلام بذي حسم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون! وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت، وأدبر معروفها، واستمرت جذاً فلم يبق منها إلّا صُبابه كصُبابه الإناء! وخسيس عيش كالمرعى الوبيل! ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟»

ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً. (٢)

قال: فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: أتتكلّمون أم أتكلّم؟

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٤

قالوا: لا، بل تكلم.

فحمد الله فأثنى عليه، ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقاتلك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلّدين، إلّا أنّ فراقها في نصرك ومواساتك لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها!!

قال: فدعا له الحسين، ثم قال له خيراً... (١)

لكنّ السيّد ابن طاووس (ره) ذكر أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة في أصحابه، ثم ذكرها، وذكر مقالة زهير (رض)، ثم أضاف قائلاً: «وقال الراوي: وقام هلال بن نافع البجلي (٢) فقال: والله ما كرهنا لقاء ربنا! وإنّا على تباتنا وبصائرنا، نوالى من والاك ونعدى من عاداك.»

قال: وقام بُرير بن خضير فقال: والله يا ابن رسول الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة! (٣)

تأمل وملاحظات: ص: ٢٥٤

(١) يُلاحظ المتأمل في هذه الخطبة القصيرة البليغة الوافية التي خطب الإمام عليه السلام أصحابه بها: ص: ٢٥٤

أنّ الإمام عليه السلام ما فتأ يواصل امتحان عزائم أنصاره من خلال تذكيرهم هذه المرّة بتغيّر الأمور وتنكّر الدنيا وإدبار معروفها! وأنّ ما يستقبلهم من

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٥

مجري حركة الأحداث لا يحمل لهم إلا المكاره!

لكنّ المُلفتَ للإنتباه هنا هو أنّ الإمام عليه السلام في هذه الخطبة أيضاً كان يحثّ أصحابه ويحزّضهم على التمسك بنصرته! فهاهو يذكّرهم بأنّ ما بقى من الدنيا ليس إلا كماءٍ ضئيل في قعر إناء صغير! والأيام الباقية من هذا العمر في ظلّ حكومة الطاغوت أيام لاعزة فيها، عيشها خسيس كالمرعى الوبيل! في عالم لا يعمل فيه بالحقّ، ولا يتناهى فيه عن الباطل! فالأولى للمؤمن أن يرفض هذا العيش الذليل النكد، رغباً في لقاء الله تحت رايه قائم بالحقّ، فإنّ أفضل الموت القتل في سبيل الله، وهو الشهادة والسعادة! وإنّ أسوأ حياة حياةٌ بذلٌ تحت قهر الظالمين، إنها التعاسة والبرم!

وهنا كان أنصاره عليه السلام قد أدركوا مراده من هذه المقالة، وعلموا أنّه محزون لقلّة ناصره! وأنّه أراد أن يختبر نيّاتهم وعزائمهم في المضىّ معه حتى الشهادة! فبادر زهير بن القين (رض) عن لسان جميع الأنصار- ثمّ تصدّى بالقول نافع بن هلال (رض) وبرير بن خضير (رض) كما في رواية ابن طاووس (ره)- لتطمين الإمام عليه السلام بأنّهم ثابتون على نيّاتهم وبصائرهم، وعلى عهدهم في موالة من والاه، ومعاداة من عاداه، وأنهم موقنون بأنّ الله قد منّ عليهم بالإمام عليه السلام إذ فتح لهم باب الجهاد بين يديه ليفوزوا بالشهادة وهي أقصى أمتية المؤمنين الصادقين!

والإنسانية لم تزل إلى اليوم- وتبقى إلى قيام الساعة- تقرأ قصة هذا المشهد الرائع من مشاهد مسيرة الركب الحسيني، فتقف إجلالاً وإكباراً لمقاله كلّ من نافع وبرير رضوان الله تعالى عليهما، وتأمل بخشوع وإعجاب لا ينقضى في المعاني السامية لأنشودة الفداء والمواساة التي تضمّنتها مقالة زهير بن القين رضوان الله تعالى عليه: «والله، لو كانت الدنيا لنا باقية، وكُنّا فيها مخلّدين، إلّا أنّ فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها!!».

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٦

٢) ويستفاد أيضاً من قوله عليه السلام: ص : ٢٥٦

«ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّقاً فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً» أنّ المؤمنين جميعاً- في كلّ عصر- في مثل هذه الحال أمام تكليف عام بالقيام لله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على تغيير واقع حياة الأمة الإسلامية على أساس ما أمر الله تعالى به.

٣) من هو نافع بن هلال الجملي؟ ص : ٢٥٦

«هو نافع بن هلال بن نافع بن جمل بن سعد العشيرة بن مذحج، المذحجي الجملي، كان نافع سيّداً شريفاً سرياً شجاعاً، وكان قارئاً، كاتباً، من حملة الحديث، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وحضر معه حروبه الثلاث في العراق. وخرج إلى الحسين عليه السلام فلقه في الطريق، وكان ذلك قبل مقتل مسلم، وكان أوصى أن يتبع بفرسه المسمى بالكامل، فأُتبع مع عمرو بن خالد وأصحابه الذين ذكرواهم (مجمع بن عبد الله العائدي (رض) وابنه عائذ (رض)، وسعد (رض) مولى عمرو، وواضح التركي (رض) مولى الحرث السلماي).» (١)

لقد كان نافع (رض) من ذوى البصائر، هاهي مقالته بين يدي الإمام عليه السلام في ذي حُسم تشهد له بذلك: «والله ما كرهنا لقاء ربّنا! وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا نوالى من والاك ونعادى من عاداك!»، «٢» ولما بلغ الإمام الحسين عليه السلام قتل قيس بن مسهر الصيداوى (رض) استعبر باكياً، ثمّ قال: «اللهم اجعل لنا ولشيعتنا عندك منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك، إنك على كلّ شيء قدير.

قال: فوثب إلى الحسين عليه السلام رجل من شيعة يقال له هلال بن نافع الجلي

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٧

(والصحيح هو: نافع بن هلال الجملي كما قدمنا) فقال: يا ابن رسول الله! أنت تعلم أن جدك رسول الله لم يقدر أن يشرب الناس محبته، ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب! وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر! يلقونه بأحلى من العسل، ويخلفونه بأمر من الحنظل! حتى قبضه الله إليه.

وإن أباك علياً رحمه الله عليه قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين، حتى أتاه أجله فمضى إلى رحمة الله ورضوانه.

وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة! فمن نكث عهده وخلع بيعته فلن يضر إلا نفسه، والله مغلغله عنه! فيتر بنا راشداً معافاً، مشرقاً إن شئت، وإن شئت مغرباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإننا على نياتنا وبصائرنا، نوالى من والاك ونعادي من عاداك!». «١»

وكان نافع (رض) على مرتبة عالية من الأدب والوفاء ومعرفة حق الإمام الحسين عليه السلام عليه وعلى جميع المسلمين، روى الطبري أنه لما اشتد على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه العطش في كربلاء - قبل يوم عاشوراء - «دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين رجلاً، وبعث معهم بعشرين قربة، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً، واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: من الرجل؟ فجيء، ما جاء بك؟

قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلا تمونا عنه!

قال: فاشرب هنيئاً!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٨

قال: لا والله، لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه! فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقى هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء!

فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله: املؤا قربكم. فشد الرجال فملؤا قربهم. وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال فكفؤهم ثم انصرفوا إلى رحالهم ..». «١»

وخرج الإمام عليه السلام ليلته عاشوراء في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات، فبعثه نافع بن هلال الجملي، فسأله الحسين عليه السلام عما أخرجه؟

قال: يا ابن رسول الله، أفرعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغى!

فقال الحسين عليه السلام: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم

الخيال يوم تحملون ويحملون.

ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع ويقول: هي هي! والله وعد لا تخلف فيه! ثم قال له: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدميه يقبلهما ويقول: ثكلتني أمي! إن سيفي بألف، وفرسي مثله! فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يملاً عن فرزي وجزي!». «٢»

وقد جسد نافع (رض) صوراً رائعة من صور الشجاعة يوم عاشوراء، منها: لما استشهد عمرو بن قرظ الأنصاري (رض)، خرج أخوه علي بن قرظ وكان مع عمر بن سعد، فهتف بالإمام الحسين هتافاً سيئاً ثم حمل على الإمام عليه السلام فاعترضه

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٩

نافع بن هلال المرادي قطعنه فصرعه، فحمله أصحابه فاستنقذوه .. «١»

وكان نافع (رض) يقاتل يومئذ وهو يقول: أنا الجملي أنا على دين عليّ، فخرج إليه رجل يُقال له مزاحم بن حريث فقال: أنا على دين عثمان!

فقال له: أنت على دين الشيطان! ثم حمل عليه فقتله، فقال عمرو بن الحجاج بالناس: يا حمقى! أتدرون من تقاتلون؟! فرسان مصر! قوماً مستميتين! لا يبرزن لهم منكم أحد، فإنهم قليل، وقل ما يقولون! والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم! فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت. وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم! «٢» وكان نافع (رض) قد كتب إسمه على أفواق نبله! فجعل يرمى بها مسمومة! وهو يقول: أنا الجملي أنا على دين علي. فقتل إثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح! فضرب حتى كسرت عضداه، وأخذ أسيراً، أخذه شمر بن ذي الجوشن لعنه الله ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً (رض) حتى أوتى به عمر بن سعد، فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعت بنفسك؟! قال: إن ربي يعلم ما أردت! والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: والله لقد قتل منكم إثني عشر سوى من جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد! ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني! فقال شمر لعمر: أقتله أصلحك الله!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٠

قال عمر: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله!

فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: أما والله، لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل مناينا على يدي شرار خلقه. فقتله! «١»

فسلام على نافع بن هلال يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حياً!

(٤) - أما بُرَيْرُ بن خُصَيْرِ الهمدانيّ المَشْرَقِيّ (رض) ص : ٢٦٠

فقد كان شيخاً تابعياً ناسكاً، قارئاً للقرآن، وكان من شيوخ القراء في الكوفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وكان من أشراف أهل الكوفة من الهمدانيين.

ونقل: أنه لما بلغه خبر الحسين عليه السلام سار من الكوفة إلى مكة ليجتمع بالحسين عليه السلام، فجاء معه حتى استشهد. «٢» ومن مقالاته مع الإمام عليه السلام الكاشفة عن قوة بصيرته قوله (رض): «والله يا ابن رسول الله، لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة!»،

ومن المواقف الكاشفة عن قوة يقينه (رض) ما رواه الطبري أن الإمام الحسين عليه السلام أمر بفسطاطٍ فُضِرَ، ثم أمر بمسكٍ فميث في جفنه عزيمة أو صحفة ثم دخل الإمام عليه السلام ذلك الفسطاط فظلّى بالنورة، وعبدالرحمن بن عبد ربه وبرير بن خضير الهمداني على باب الفسطاط تحتك مناكبهما! فازدحما أيهما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦١

يطلق على أثره! «فجعل برير يهازل عبدالرحمن! فقال له عبدالرحمن: دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل! فقال له برير: والله لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شائياً ولا كهلاً، ولكن والله إنني لمستبشراً بما نحن لاقون! والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم! ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم!..» «١»

ونقل أنه «لما بلغ من الحسين عليه السلام العطش ما شاء الله أن يبلغ، استأذن برير الحسين عليه السلام في أن يكلم القوم فأذن له، فوقف قريباً منهم ونادى: يا معشر الناس، إن الله بعث بالحق محمداً بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها! وقد حيل بينه وبين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أفجزاء محمد هذا؟!»

فقالوا: يا بُرير، قد أكثرت الكلام فاكفف! فوالله ليعطشَ الحسين كما عطش من كان قبله! فقال الحسين عليه السلام: أكفف يا بُرير». (٢)

وروى الطبري عن عفيف بن زهير بن أبي الأحنس، وكان قد شهد مقتل الحسين عليه السلام قال: «خرج يزيد بن معقل من بني عميرة بن ربيعة ...

فقال: يا برير بن خضير، كيف ترى الله صنع بك؟!

قال: صنع الله والله بي خيراً، وصنع الله بك شراً!

قال: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذاباً! هل تذكر وأنا أماشيكت في بني لوزان، (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٢

وأنت تقول: إن عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وإن معاوية بن أبي سفيان ضالُّ مُضَلُّ، وإن إمام الهدى والحق علي بن أبي طالب؟!

فقال له برير: أشهد أن هذا رأي وقولي.

فقال له يزيد بن معقل: فإني أشهد أنك من الضالين!

فقال له برير بن خضير: هل لك أن أباهلك؟ ولندعُ الله أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المُبطل، ثم اخرج فلأبارك! قال فخرجا فرعنا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المحقُّ المُبطل، ثم برز كل واحدٍ منهما لصاحبه فاختلعا ضربتين، فضرب بُرير بن خضير ضربة خفيفة لم تضره شيئاً! وضربه برير بن خضير ضربة قَدَّت المغفر وبلغت الدماغ! فخرَّ كأنما هوى من حالق! وإن سيف ابن خضير لثابتٌ في رأسه، فكأني أنظر إليه ينضضه من رأسه!

وحمل عليه رضئ بن منقذ العبدى فاعتنق بريراً، فاعتركا ساعة، ثم إن بريراً قعد على صدره! فقال رضئ: أين أهل المصاع والدفاع؟! قال فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه، فقلت: إن هذا برير ابن خضير القاريء الذي كان يُقرئنا القرآن في المسجد! فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره، فلما وجد مسَّ الرمح برك عليه فعصَّ بوجهه وقطع طرف أنفه! فطعنه كعب بن جابر حتى ألقاه عنه، وقد غيب السنان في ظهره، ثم أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله ..». (١)

فسلام على برير بن خضير يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حياً!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٣

(١٤) - البيضة: ص: ٢٦٣

إشارة

«بكسر الباء، ماء بين واقصة إلى العذيب، متصلة بالخزن، لبني يربوع». (١)

وروى الطبري: عن أبي مخنف، عن عقبه بن أبي العيزار قال: «إنَّ الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحرِّ بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرِّم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله! ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحزموه حلاله! وأنا أحقُّ من غير، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رُسُلُكم ببيعتكم: أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإنَّ تممتم علي

بيعتكم تُصيوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَى وَآلِهِ وَسَلَّمَ، نفسى مع أنفسكم، وأهلى مع أهليكم، فلکم في أسوء، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتكم بيعتى من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بُنكر! لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى مسلم، والمغرور من أغترّ بكم! فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم! ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغنى الله عنكم! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..» (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٤

إشارة: ص : ٢٦٤

هذه الخطبة من أشهر وأقوى خطب الإمام الحسين عليه السلام في منازل الطريق بين مكة وكربلاء، وقد تضمنت أقوى الأدلة على أن المسلمين جميعاً أمام تكليف عام بوجوب النهوض لمواجهة السلطان الجائر المستحلّ لحرم الله، الناكث لعهد الله، المخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، العامل في عباد الله بالإثم والعدوان! فالإمام عليه السلام يروى عن جدّه صلى الله عليه وآله أنه قال: «من رأى»: أى كل من رأى، فلا تختصّ الحال بواحدٍ دون آخر ...

ثم ما أعجب قوله صلى الله عليه وآله: «لم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله!»، فالإنكار القلبي فقط هنا لا ينجي صاحبه - كما هو ظاهر المتن - من الدخول في نفس مصير السلطان الجائر!

ونشاهد في هذه الخطبة أيضاً أن الإمام عليه السلام قد أشار إلى مسؤوليته موقعه الخاص في الأمة، فهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإمام منصوب عليه، منصوب من قبل الله تعالى، مفترض الطاعة، فهو «أحقّ من غير» على السلطان الجائر بالقيام ضده والنهضة لإسقاطه، إنه عليه السلام القائم بالحق في وقته.

وهو الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين، فلجميع المسلمين فيه أسوء حسنة «فلکم في أسوء»، فعليهم عامة وعلى من سمع نداءه خاصة أن يقوموا معه وينصروه لإسقاط الطاغوت فيصيبوا بهذا رشدهم وخير دنياهم وآخرتهم.

فإن لم يفعلوا ونقضوا العهد وخلعوا البيعة فما ذلك بجديد مستغرب منهم! ولا بجديد على الإمام عليه السلام، فقد عرف ذلك منهم فيما مضى بما صنعوه بأبيه وأخيه ثم بدين عمه مسلم صلوات الله عليهم .. وهم بذلك يُخطئون حظهم ويضيعون

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٥

نصيبهم من الفرصة السانحة التي من الله بها عليهم في الجهاد بين يدي إمام مفترض الطاعة لإسقاط الطاغوت! .. والإمام عليه السلام على كل حال في غنى عن الناكثين .. إنه الشهيد الفاتح الذي سيتحقق الفتح بدمه أساساً لا بدم سواه! لو كانوا يعلمون!

(١٥) - عذيب الهجانات ص : ٢٦٥

إشارة

«العذيب: تصغير العذب: وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة إثنان وثلاثون ميلاً. وقيل هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة ..» (١)

يواصل الطبرى روايته عن عقبه بن أبى العيزار التي حدّثنا فيها عن خطبة الإمام عليه السلام بأصحابه في ذى حُسم، وحدّثنا فيها أيضاً عن جواب زهير بن القين (رض) عن لسان جميع الأنصار (رض)، فيقول الطبرى:

«... وأقبل الحرّ يسايره، وهو يقول له: يا حسين، إني أذكرك الله في نفسك! فإني أشهد لئن قاتلت لثقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى!

فقال له الحسين عليه السلام: أباالموت تخوفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ولقيه وهو يريد نصرته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: أين تذهب فإنك مقتول؟! فقال:

سأمضي ومابالموت عازٌّ على الفتى إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً يغشَّ ويرغماً (٢)

قال: فلما سمع ذلك منه الحرُّ تنحى عنه وكان يسير بأصحابه في ناحية، وحسين في ناحية أخرى، حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات- وكان بها هجائن النعمان ترعى هنالك- فإذا هم بأربعة نفرٍ قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون «١» فرساً لنافع بن هلال، يُقال له الكامل، ومعهم دليلهم الطرماح بن عدى على فرسه وهو يقول:

يا ناقتي لاتدعري من زجري وشمري قبل طلوع الفجر

بخير رُكبانٍ وخير سفرٍ حتى تحلى بكريم النَّجرِ (٢)

الماجد الثَّحرِ رحيب الصدرأتى به الله لخير أمرٍ

ثُمَّتَ أبقاء بقاء الدَّهرِ (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٧

قال: فلما انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الأبيات فقال: أما والله إنى لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قُتلنا أم ظفرنا!

وأقبل إليهم الحرُّ بن يزيد فقال: إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممّن أقبل معك، وأنا حابسهم أو رادهم!

فقال له الحسين عليه السلام: لأمنعهم ممّا أمنع منه نفسى! إنّما هؤلاء أنصارى وأعوانى، وقد كنت أعطيتنى ألاً تعرض لى بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد!

فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك!

قال عليه السلام: هم أصحابى، وهم بمنزلة من جاء معى، فإنّ تممت على ما كان بينى وبينك وإلا ناجزتك!

فقال فكفّ عنهم الحرّ.

خبر مقتل قيس بن مسهر الصيداوى (رض) ص: ٢٦٧

قال: ثم قال لهم الحسين: أخبرونى خبر الناس وراءكم؟! فقال له مجمع بن عبد الله العائدى- وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه:-

أما أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم ومثلت غرائرهم! يُستمال ودّهم ويُستخلص به نصيحتهم! فهم ألبّ واحد عليك! وأما سائر

الناس بعدُ فإنّ أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك!

قال: أخبرنى فهل لكم علمٌ برسولى إليكم؟

قالوا: من هو؟

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٨

قال: قيس بن مسهر الصيداوى!

فقالوا: نعم، أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أبيك، ولعن

ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك! وأخبرهم قدمك! فأمر به ابن زياد فألقى من طمار القصر!

فترقرقت عينا الحسين عليه السلام ولم يملك دمه، ثم قال:

منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلماً وأجمع بيننا وبينهم فى مستقرٍ من رحمتك

ورغائب مذخور ثوابك!». «١»

مجموعة المجاهدين الذين التحقوا بالإمام عليه السلام في عذيب الهجانات ص : ٢٦٨

إنّ نفر الذين التحقوا بالإمام عليه السلام في عذيب الهجانات لم يكونوا أربعة كما ذكرت رواية الطبري، بل كانوا ستة، هم: عمرو بن خالد الأسدي الصيداوي (رض)، ومولاه سعد (رض)، ومجمع بن عبدالله العائذي (رض)، وابنه عائذ (رض)، وجنادة بن الحرث السلماني (رض)، وواضح التركي (رض) مولى الحرث السلماني، «٢» وكان معهم أيضاً غلام لنافع بن هلال أتبعهم بفرسه المدعوّ الكامل، «٣» وكان الطرمّاح بن عدى معهم كما هو ظاهر من رواية الطبري.

عمرو بن خالد الأسدي الصيداوي (رض) ص : ٢٦٨

كان عمرو - أبو خالد - (رض) شريفاً في الكوفة، مخلص الولاء لأهل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٢٦٩

البيت عليهم السلام، قام مع مسلم عليه السلام، حتّى إذا خانت أهله الكوفة لم يسعه إلّا الإختفاء!، فلما سمع بقتل قيس بن مسهر الصيداوي (رض) وأتته أخبار أنّ الحسين عليه السلام صار بالحاجر خرج إليه (مع بقية المجموعة التي ذكرناها)، وأخذوا دليلاً لهم الطرمّاح بن عدى الطائي، وكان جاء إلى الكوفة يمتار لأهله طعاماً، فخرج بهم على طريق متكبّه، وسار سيراً عنيفاً من الخوف لأنهم علموا أنّ الطريق مرصود. «١»

وقد مرّ بنا - في رواية الطبري الماضية - تفصيل قصة لقائهم بالإمام عليه السلام في عذيب الهجانات، وما جرى بين الإمام عليه السلام وبين الحرّ الرياحي (رض) بسببهم، وكيف ساء لهم الإمام عليه السلام عن قيس بن مسهر الصيداوي (رض)، وكيف أخبروه بمقتله ... وروى أنه: لَمّا التحم القتال يوم عاشوراء، شدّ هؤلاء مقدمين بأسياهم في أوّل القتال على الأعداء، فلما غلوا فيهم عطف عليهم الأعداء فأخذوا يحوزونهم، وقطعواهم من أصحابهم، فلما نظر الحسين عليه السلام إلى ذلك ندب إليهم أخاه العباس عليه السلام! فنهد إليهم وحمل على القوم وحده يضرب فيهم بسيفه قدماً! حتّى خلص إليهم واستنقذهم، فجاؤا معه وقد جرحوا، فلما كانوا في أثناء الطريق رأوا أنّ القوم تدانوا إليهم ليقطعوا عليهم الطريق، فانسلّوا من العباس، وشدّوا على القوم بأسياهم شدّة واحدة على مابهم من الجراحات! وقاتلوا حتّى قُتلوا في مكان واحد، فتركهم العباس ورجع إلى الحسين عليه السلام فأخبره بذلك فترحم عليهم الإمام عليه السلام وجعل يكرّر ذلك. «٢»

فسلام على عمرو بن خالد الصيداوي يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيّاً!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ٢٧٠

سعد (رض) مولى عمرو بن خالد الصيداوي (رض) ص : ٢٧٠

كان هذا المولى سيّداً شريف النفس والهيمّة، تبع مولاه عمراً في المسير إلى الإمام الحسين عليه السلام والقتال بين يديه حتّى قُتل شهيداً، وقد ذكرنا خبره مع مولاه، وكيف جاء معه، وكيف قتلوا في كربلاء. «١»

فسلام على سعد يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيّاً!

مجمع بن عبدالله العائذي (رض) وابنه عائذ (رض) ص : ٢٧٠

هو مجمع بن عبدالله بن مجمع بن مالك بن أياس بن عبدمناة بن عبيدالله بن سعد العشيرة، المذحجى العائذى. كان عبدالله بن مجمع العائذى صحابياً، وكان ولده مجمع (رض) تابعياً من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ذكرهما أهل الأنساب والطبقات.

وكان مجمع (رض) مع ابنه عائذ (رض) قد التحقا بالإمام عليه السلام فى عذيب الهجانات كما مرّ، واستشهدا مع عمرو بن خالد الصيداوى (رض) وجنادة بن الحرث السلماني (رض) فى مكان واحد- كما مرّ بنا فى ترجمه عمرو بن خالد- لكنّ صاحب الحدائق الوردية ذكر أنّ ابنه عائذاً استشهد فى الحملة الأولى. «٢»

فسلام على مجمع بن عبدالله العائذى يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً! وسلام على ابنه عائذ يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً!

جنادة بن الحرث السلماني (رض) ص : ٢٧٠

هو جنادة بن الحرث المذحجى المرادى السلماني الكوفى، كان من مشاهير

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٧١

الشيعة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان خرج مع مسلم عليه السلام أوّلًا، فلما رأى الخذلان خرج إلى الحسين عليه السلام مع عمرو بن خالد الصيداوى (رض) وجماعته، «١» وكان من قصة إلتحاقهم بالإمام عليه السلام فى عذيب الهجانات، ثم استشهداهم فى مكان واحد ما قد مرّ بنا قبل ذلك.

فسلام على جنادة بن الحرث السلماني يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً!

واضح التركي (رض) مولى الحرث المذحجى السلماني ص : ٢٧١

كان واضح غلاماً تركياً شجاعاً قارئاً، وكان للحرث السلماني، فجاء مع جنادة بن الحرث، «٢» والتحق بالإمام عليه السلام فى عذيب الهجانات كما مرّ.

قال الشيخ السماوى (ره): «والذى أظنُّ أنّ واضحاً هذا هو الذى ذكر أهل المقاتل أنّه برز يوم العاشر إلى الأعداء فجعل يقاتلهم راجلاً بسيفه وهو يقول:

البحر من ضربى وطعنى يصطلى والجو من عثير نلقى يمتلى

إذا حسامى فى يمينى ينجلى ينشق قلب الحاسد المبجل

قالوا: ولما قُتل استغاث، فانقضَّ عليه الحسين عليه السلام واعتنقه وهو وجود بنفسه، فقال: من مثلى وابن رسول الله صلى الله عليه وآله واضح خدّه على خدى! ثم فاضت نفسه رضى الله عنه». «٣»

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٧٢

فسلام على واضح التركي يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً!

إقتراح الطرماع وجواب الإمام عليه السلام ص : ٢٧٢

روى الطبري، عن أبي مخنف قال: حدّثني جميل بن مرشد من بني معن، عن الطرماع بن عدى: «أنه دنا من الحسين فقال له: والله إنّي لأنظر فما أرى معك أحداً!، ولو لم يقا تلّك إلّما هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم وقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مالم ترّ عيناى فى صعيد واحدٍ جمعاً أكثر منه! فسألْتُ عنهم فقيل: اجتمعوا ليُعرضوا، ثمّ يُسرّحون إلى الحسين!

فأشدك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبراً إلّا فعلت! فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتّى ترى من رأيك ويستين لك ما أنت صانعٌ فسِرّ حتّى أنزلك مناع جبلنا الذى يُدعى (أجا).

امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله إن دخل علينا ذلُّ قطُّ!!
فأسير معك حتّى أنزلك القرية، «١» ثمّ نبعث إلى الرجال ممّن بأجأ وسلّمى «٢» من طيء، فوالله لا يأتى عليك عشرة أيّام حتّى يأتىك طيء رجالاً وركباناً! ثمّ اقمّ فينا ما بدا لك، فإنّ هاجك هنيج فأنازعيم لك بعشرين ألف طائى يضربون بين يديك مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٧٣
بأسيا فهم! والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عينٌ تطرف!
فقال له عليه السلام:

جزاك الله وقومك خيراً، إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الإنصراف! ولاندرى علام تنصرف بنا وبهم الأمور فى عاقبه! «١»

قال الطرماع بن عدى: فودّعته، وقلت له: دفع الله عنك شرّ الجنّ والإنس، إنّي قد امترتُ لأهلى من الكوفة ميرة، ومعى نفقة لهم، فأتيهم فأضع ذلك فيهم، ثمّ أقبل إليك إن شاء الله، فإنّ ألحقك فوالله لأكوننّ من أنصارك!
قال: فإنّ كنت فاعلاً فعجل رحمتك الله!

قال فعلمتُ أنّه مستوحشٌ إلى الرجال حتّى يسألنى التعجيل! قال فلما بلغتُ أهلى وضعتُ عندهم ما يصلحهم وأوصيتُ! فأخذ أهلى يقولون: إنك لتصنع مرّتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم! فأخبرتهم بما أريد، وأقبلتُ فى طريق بنى ثعل حتّى إذا دنوتُ من عذيب الهجانات استقبلنى سماعه بن بدر فنعاه إلى! فرجعت. «٢»

إشارة ص: ٢٧٣

فى عذيب الهجانات كان مجمع بن عبد الله العائذى (رض) قد أخبر الإمام عليه السلام عن حال أهل الكوفة- عن لسانه ولسان من معه- قائلاً: «أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ومُلئت غرائرهم، يُستمال ودّهم ويستخلص به مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٧٤

نصيحتهم، فهم ألْب واحد عليك! وأما سائر الناس بعدُ فإنّ أفئدتهم تهوى إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك!..
ومن قبل هذا كان الفرزدق وبشر بن غالب وغيرهم قد أخبروا الإمام عليه السلام بذلك! ثمّ ها هو الطرماع يقول له: «وقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مالم ترّ عيناى فى صعيد واحدٍ جمعاً أكثر منه! فسألْتُ عنهم فقيل: اجتمعوا ليُعرضوا ثمّ يُسرّحون إلى الحسين!» فالأنباء تتابعت على الإمام عليه السلام بذلك، وفى عذيب الهجانات لم يعد ثمة شكّ فى أنّ الكوفة قد انقلبت على عهدنا مع الإمام عليه السلام رأساً على عقب، بل وقد عبّأها ابن زياد عن بكره أبيها واستعرض عساكرها ليسرّح بهم إلى الحسين عليه السلام!

لكننا نجد الإمام عليه السلام يُصرُّ على التوجّه إلى أهل الكوفة قائلاً: «إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على

الإنصراف! ..»، وعلى رواية ابن نما (ره):

«إنّ بيني وبين القوم موعداً أكره أن أخلفهم، فإنّ يدفع الله عنّا فديماً ما أنعم علينا وكفى، وإنّ يكن ما لا بدّ منه ففوز وشهادة إن شاء الله!». (١)

هنا نعود لنكرّر القول ونؤكد على هذه الحقيقة مرّة أخرى: وهي أنّ من الصحيح القول إنّ الإمام عليه السلام لم يشأ أن يدع لأهل الكوفة أيّة مؤاخذه عليه يمكن أن يتذرّعوا بها لو أنّه كان قد انصرف عن التوجّه إليهم أثناء الطريق، لأنّهم يمكن أن يدعوا أنّ الأخبار التي بلغت الإمام عليه السلام عن حال الكوفة لم تكن صحيحة أو دقيقة! وأنّ أنصاراً له كثيرين فيها كانوا ينتظرونه في خفاء عن رصد السلطة! ولذا كان عليه السلام قد قال للطّرماح: «بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الإنصراف!». أو «إنّ بيني وبين القوم موعداً أكره أخلفهم!».

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٥

لكنّ أصحّ القول: هو أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بما لا بدّ من وقوعه «وإنّ يكن ما لا بدّ منه ففوز وشهادة إن شاء الله!»، لقد كان عليه السلام يعلم منذ البدء أنه سوف يُقتل حتى لو كان في جحر هامه من هوامّ الأرض، وكان عليه السلام يعلم أنّ أهل الكوفة قاتلوه «هذه رسائل أهل الكوفة إليّ ولا أراهم إلّا قاتليّ!»، إذن فإصراره عليه السلام على العراق دون غيره هو إصرار على الأرض المختارة للمصرع المحتوم! الأرض التي ستهبّ منها- بعد مقتله- عواصف التغيير والتحوّلات الكبرى التي لا تهدأ حتى تسقط دولة الأمويين! الأرض التي ستمتدّ منها وتتسع جميع آفاق الفتح الحسيني!

(١٦) - قصر بني مقاتل ص : ٢٧٥

إشارة

«قال السكّوني: هو قرب القطقانة وسلام ثمّ القرّيات. وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة التميمي». (١)
روى ابن أعثم الكوفي قائلاً: «وسار الحسين عليه السلام حتّى نزل في قصر بني مقاتل، فإذا هو بفسطاط مضروب، ورمح منصوب، وسيف معلّق، وفرس واقف على مذوده! فقال الحسين عليه السلام: لمن هذا الفسطاط؟
فقال: لرجل يُقال له عبيدالله بن الحرّ الجعفي.

قال فأرسل الحسين برجل من أصحابه يُقال له الحجاج بن مسروق الجعفي فأقبل حتّى دخل عليه في فسطاطه فسلم عليه فردّ عليه السلام ثم قال: ما وراءك؟

فقال الحجاج: والله، ورائي يا ابن الحرّ، والله قد أهدى الله إليك كرامه إن قبلتها!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٦

قال: وما ذاك؟

فقال: هذا الحسين بن عليّ رضي الله عنهما يدعوك إلى نصرته! فإنّ قاتلت بين يديه أجزت، وإنّ متّ فإنّك استشهدت!
فقال له عبيدالله: والله ما خرجت من الكوفة إلّا مخافة أن يدخلها الحسين بن عليّ وأنا فيها فلا أنصره، لأنّه ليس له في الكوفة شيعة ولا أنصار إلّا وقد مالوا إلى الدنيا إلّا من عصم الله منهم! فارجع إليه وخبره بذاك.

فأقبل الحجاج إلى الحسين فخبره بذلك، فقام الحسين ثمّ صار إليه في جماعه من إخوانه، فلما دخل وسلم وثب عبيدالله بن الحرّ من صدر المجلس، وجلس الحسين فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد يا ابن الحرّ، فإنّ مصركم هذه كتبوا إليّ وخبروني أنّهم مجتمعون على نصرتي، وأنّ يقوموا دوني ويقاتلوا عدوي، وإنّهم

سألوني القدوم عليهم فقدمت، ولست أدري القوم على مازعموا؟ فإنهم قد أعانوا على قتل ابن عمي مسلم بن عقيل رحمه الله وشيعته! وأجمعوا على ابن مرجانة عبيدالله بن زياد مبايعين ليزيد بن معاوية!

وأنت يا ابن الحرّ فاعلم أنّ الله عزّ وجلّ مؤاخذك بما كسبت وأسلمت من الذنوب في الأيام الخالية، «١» وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبة تغسل بها ما عليك من الذنوب، أدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن أعطينا حقنا حمدنا الله على ذلك وقبلناه، وإن منعنا حقنا ورُكبتنا بالظلم كنت من أعوانى على طلب الحقّ.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٧

فقال عبيدالله بن الحرّ: والله يا ابن بنت رسول الله، لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنك أشدهم على عدوك! ولكني رأيت شيعةك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفاً من بني أمية ومن سيوفهم! فأنشدك الله أن تطلب مني هذه المنزلة! وأنا أواسيك بكل ما أقدر عليه، وهذه فرسى ملجئة، والله ما طلبت عليها شيئاً إلا أذفته حياض الموت، ولا طلبت وأنا عليها فلحقت، وخذ سيفي هذا فوالله ما ضربت به إلا قطعاً!

فقال له الحسين رضى الله عنه:

يا ابن الحرّ ما جئناك لفرسك وسيفك! إنما أتيناك لنسألك النصره، فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلاحاجة لنا في شيء من مالك! ولم أكن بالذي اتخذ المضلّين عضداً لأنني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: من سمع داعية أهل بيتي ولم ينصرهم على حقهم إلا أكبه الله على وجهه في النار!

ثم سار الحسين رضى الله عنه من عنده، ورجع إلى رحله، فلما كان من الغد رحل الحسين .. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٨

وفي رواية الدينوري: «.. فأتاه الرسول، فقال: هذا الحسين بن عليّ يسألك أن تصير إليه! فقال عبيدالله: والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة من رأيت خرج لمحاربتة، وخذلان شيعته، فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره! فلست أحب أن يراني ولا أراه!

فانتعل الحسين حتى مشى، ودخل عليه قتبته، ودعاه إلى نصرته!

فقال عبيدالله: والله إنني لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد في الآخرة! ولكن ما عسى أن أغني عنك؟! ولم أخلف لك بالكوفة ناصرًا! فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطئة، فإن نفسي لم تسمح بعد بالموت! ولكن فرسى هذه المُلحقة، والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته! ولا طلبني وأنا عليها أحد إلا سبقته! فخذها فهي لك.

قال الحسين عليه السلام: أمّا إذا رغبت بنفسك عنّا فلاحاجة لنا إلى فرسك!.. «١»

إشارة ص : ٢٧٨

في لقاء الإمام عليه السلام مع عبيدالله بن الحرّ الجعفي تتجلى بشكل مفتح آثار مرض الوهن (حبّ الدنيا وكرهية الموت!) والشلل النفسى الذى تفضّى بدرجة واسعة وعميقة وخطيرة في هذه الأمية، بعد ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله نتيجة المنعطفات الإنحرافية التى مرّت بها الامية، بفعل حركة النفاق طيلة خمسين سنة! ها هو ابن الحرّ الجعفي يعترف قائلاً: «والله إنني لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٩

في الآخرة!»، وهو يعلم - بحكم العقل والشرع - أنّ درجة وجوب نصره الإمام عليه السلام على كلّ مسلم تشتدّ كلما اشتدت حاجة الإمام عليه السلام إلى من ينصره! لكنّه يجيب الإمام عليه السلام بمنطق الوهن المتمثل بحبّ الدنيا وكرهية الموت والتناقل إلى الأرض قائلاً: «ولكن ما عسى أن أغني عنك؟! ولم أخلف لك بالكوفة ناصرًا! فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطئة! فإن نفسي

لم تسمح بالموت! ..».

ونرى الإمام عليه السلام الذي دعاه إلى التوبة وإلى الالتحاق بركب الربانيين يرُدُّ عليه- بعد أن أظهر الجعفي ثقافه الى الأرض وتشبته بالحياة الدنيا- قائلاً:

«أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلاحاجة لنا إلى فرسك!» أو «يا ابن الحرّ! ما جنناك لفرسك وسيفك، إنّما أتيناك لسألك النصره! فإن كنت بخلت علينا بنفسك فلاحاجة لنا في شيء من مالك، ولم أكن بالذي اتخذ المضلين عضداً!».

نعم، فالقائد الرباني ليست حاجته الأساس إلى وسائل وأسلحه وأموال، وإن كان ذلك من العدة، بل حاجته الأساس إلى الإنسان الرباني، المشتاق إلى لقاء ربه، المبادر إلى طاعته، المخفّ إلى مرضاته، المسارع إلى نصره أوليائه، المؤثر آخرته على دنياه.. ذلك لأن أفضل العدة وأقوى الأسلحة على مرّ الزمان هو الإنسان الرباني الذي يُجرى الله على يديه الانتصارات المعنوية الكبيرة والفتوحات الإلهية المبينة!

ونرى أيضاً خليفه الله في عصره، ووليه الأعظم، الإمام الحسين عليه السلام يعامل هذا الواهن المشلول روحياً عبيدالله بن الحرّ الجعفي- الذي خرج من الكوفة حتى لا ينصر الحسين عليه السلام ولا يكون ضده!- برحمته العامة ورأفته! فيحذره من أن يكون ممن يسمع واعيه أهل البيت فلا ينصرهم فيكبه الله على وجهه في النار!

معالمة الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٠

ما أخسر صفقة الجعفي هذا! وما أحراره بالحسرة العظمى! «١» على ما فرط في حظ نفسه، وفي الفرصة النادرة التي كانت قد أتحت له للالتحاق بركب الربانيين العشاق الشهداء الذين لم يسبقهم سابق ولا يلحق بهم لاحق!

هل التحق الصحابي أنس الكاهلي بالإمام عليه السلام في قصر بني مقاتل؟ ص : ٢٨٠

قال البلاذري: «وكان أنس بن الحارث الكاهلي سمع مقالته الحسين لابن الحرّ، وكان قدم من الكوفة بمثل ما قدم له ابن الحرّ، فلما خرج «٢» من عند ابن الحرّ

معالمة الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨١

سلم على الحسين وقال له: والله ما أخرجني من الكوفة إلّا ما أخرج هذا من كراهة قتالك أو القتال معك! ولكن الله قذف في قلبي نصرتك! وشجعني على المسير معك!

فقال له الحسين: فأخرج معنا راشداً محفوظاً.. «١»

ونقول: إن هذا التردد الذي اعترى قلب هذا الصحابي الجليل القدر (رض)- كما تصف رواية البلاذري- لا يتلائم مع ما رواه جماعة من أهل السير عن هذا الصحابي الكبير (رض) أنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

إنّ ابني هذا- يعني الحسين- يُقتل بأرض يُقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره!

قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل مع الحسين!.. «٢»

كما لا يتلائم ما ذكره البلاذري من أنّ مكان لقائه بالإمام عليه السلام في قصر بني مقاتل مع ما يوحيه ظاهر رواية ابن عساكر، وما ذكره ابن حجر العسقلاني «٣» من أنه خرج إلى كربلاء فقتل مع الحسين!

وفي إِبصار العين أنه «كان جاء الى الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء، والتقى معه ليلاً فيمن أدركته السعادة!.. «٤»

وهذا الصحابي الجليل هو: «أنس بن الحرث بن نبيه بن كاهل بن عمرو بن صعيب بن أسد بن خزيمه، الأسدي الكاهلي، كان صحابياً كبيراً ممن رأى

معالمة الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٢

النبي صلى الله عليه وآله وسمع حديثه ... روى أهل السير: أنه لما جاءت نوبته استأذن الحسين عليه السلام في القتال فأذن له - وكان شيخاً كبيراً - فبرز وهو يقول:

قد علمتُ كاهلها ودودان والخنديون وقيس عيلان

بأن قومي آفة للأقران» (١)

وقد ذكر الشيخ باقر شريف القرشي أن الصحابي الجليل أنس بن الحارث الكاهلي (رض) قد لازم الإمام الحسين عليه السلام وصحبه من مكة. «٢» ولعل الشيخ القرشي عثر على وثيقة تاريخية تقول بذلك - أو لعل هذا من سهو قلمه الشريف - لأن الذي عليه أهل السير أن أنس بن الحارث الكاهلي (رض) قد التحق بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكة (في العراق) «٣» أو عند نزوله كربلاء.

لقاء الإمام عليه السلام مع الرجلين المشرقين ص : ٢٨٢

إشارة

روى الشيخ الصدوق (ره) بسنده عن عمرو بن قيس المشرقي قال: «دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عمّ لي، وهو في قصر بني مقاتل، فسلمنا عليه، فقال له ابن عمّي: يا أبا عبد الله، هذا الذي أرى خضاباً أو شعرك؟

فقال: خضاب! والشيب إلينا بني هاشم يعجل!

ثم أقبل علينا فقال: جئنا لنصرتي؟

فقلت: إنني رجل كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس، ولا أدري ما يكون، وأكره أن أضيع أمانتي!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٣

وقال له ابن عمّي مثل ذلك!

قال لنا: فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سواداً! فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يُغثنا كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يُكبه على منخريه في النار!». «١»

إشارة: ص : ٢٨٣

لو كان هذان المشرقيان صادقين فيما اعتذرا به! أو كانا صادقين في رغبتهما في الالتحاق بالإمام عليه السلام! لكان بإمكانهما على الأقل - وهما ابنا عمّ - أن يختارا أحدهما للالتحاق بالإمام عليه السلام لنصرته، والآخر منهما للبقاء وأداء الأمانات إلى أهلها!

لكنه الوهن (حبّ الدنيا وكرهية الموت) والشلل النفسي المتفشى في هذه الأمة، له ذرائع ومعاذير لا تنتهي!

إنّ سؤالهما عن الخضاب! كاشف عن انحطاط اهتمامهما، فبدلاً من أن يسألا الإمام عليه السلام عن نهضته ومسارها ومصيرها وكلّ ما يرتبط بها! كان سؤال أحدهما:

«يا أبا عبد الله، هذا خضاب أم شعرك؟»!

ثم ها هو الإمام عليه السلام يشملهما برحمته ورأفته الغامرة، فيحدّثهما من أن يكونا ممن يستمع واعيته فلا يجيبه، ويرى له سواداً فلا يُغيثه وينصره! فيكون حقاً على الله أن يُكبه على منخريه في النار!

ما أعظمك وأرحمك يا مولانا يا أبا عبد الله الحسين!!

رؤيا المنيا أيضاً .. بين قصر بنى مقاتل وبنوى! ص : ٢٨٣

روى الطبري، عن أبي مخنف، عن عبدالرحمن بن جندب، عن عقبه بن معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٤

سمعان قال: «لَمَّا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَمْرَ الْحُسَيْنِ بِالِاسْتِقَاءِ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَمَرْنَا بِالرَّحِيلِ ففعلنا .. فلَمَّا ارْتَحَلْنَا مِنْ قَصْرِ بَنِي مِقَاتِلٍ وَسَرْنَا سَاعَةً خَفِقَ الْحُسَيْنُ بِرَأْسِهِ خَفَقَةً، ثُمَّ انْتَبَهَ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .. ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً! .. فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ! يَا أَبَتِ، جُعِلَتْ فِدَاكَ، مِمَّ حَمَدْتَ اللَّهَ وَاسْتَرَجَعْتَ؟

قال: يَا بَنِيَّ إِنِّي خَفَقْتُ بِرَأْسِي خَفَقَةً، فَعَنَّ لِي فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ فَقَالَ: الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنِيَا تَسْرِي إِلَيْهِمْ! فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفَسْنَا نَعَيْتَ إِلَيْنَا! قال له: يَا أَبَتِ لَا أَرَاكَ اللَّهَ سَوْءًا، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد! قال: يَا أَبَتِ، إِذَا لَانْبَالِي نَمُوتُ مُحَقِّينَ! فقال له: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ خَيْرٍ مَا جَزَى وَلَدًا عَنْ وَالِدِهِ.. «١»

(١٧) - بنوى: ص : ٢٨٤

«وبسواد الكوفة ناحية يُقال لها بنوى، منها كربلاء التي قُتل بها الحسين رضى الله عنه» «٢» و «بنوى: تقع شرق كربلاء .. وهى الموضع المعروف بباب طويريج شرقى كربلاء ..». «٣» معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٥

كان الإمام الحسين عليه السلام قد ارتحل بالركب الحسيني من منطقة قصر بنى مقاتل آخر الليل، «فلَمَّا أَصْبَحَ نَزَلَ فَصَلَّى الْغَدَاةَ، ثُمَّ عَجَلَ الرُّكُوبَ، فَأَخَذَ يَتَاسَرُ بِأَصْحَابِهِ يُرِيدُ أَنْ يَفْرَقَهُمْ! فَيَأْتِيهِ الْحَزُّ بْنُ يَزِيدَ فَيُرَدِّمُهُمْ فَيُرَدِّمُهُمْ! فَيَجْعَلُ إِذَا رَدَّهِمْ إِلَى الْكُوفَةِ رَدًّا شَدِيدًا امْتَنَعُوا عَلَيْهِ فَارْتَفَعُوا! فَلَمْ يَزَالُوا يَتَاسَرُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بَنِي نِيْنُوِي الْمَكَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْحُسَيْنُ.

قال فإذا راكب على نجيب له وعليه السلاح متنكب قوساً مُقبلاً من الكوفة! فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَى الْحَزِّ بْنِ يَزِيدَ وَأَصْحَابِهِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ! فَدَفَعَ إِلَى الْحَزِّ كِتَابًا مِنْ عِيْدَاللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَجَعَجِعَ بِالْحُسَيْنِ حِينَ يَبْلُغُكَ كِتَابِي وَيَقْدَمُ عَلَيْكَ رَسُولِي، فَلَا تُنْزِلْهُ إِلَّا بِالْعَرَاءِ! فِي غَيْرِ حَصْنٍ وَعَلَى غَيْرِ مَاءٍ! وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَلْزِمَكَ وَلَا يَفَارِقَكَ حَتَّى يَأْتِيَنِي بِإِنْفَاذِكَ أَمْرِي، وَالسَّلَامُ.

قال فلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ لَهُمُ الْحَزُّ: هَذَا كِتَابُ الْأَمِيرِ عِيْدَاللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَأْمُرُنِي فِيهِ أَنْ أَجْعَلَ بِكُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَأْتِيَنِي فِيهِ كِتَابَهُ، وَهَذَا رَسُولُهُ وَقَدْ أَمَرَهُ أَنْ لَا يَفَارِقَنِي حَتَّى أَنْفِذَ رَأْيَهُ وَأَمْرَهُ!

فَنظَرَ إِلَى رَسُولِ عِيْدَاللَّهِ يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ مِنَ الْمَهَاصِرِ - أَبُو الشَّعْثَاءِ الْكِنْدِيُّ ثُمَّ النَّهْدِيُّ «١» - فَعَنَّ لَهُ، فَقَالَ: أَمَا لَكَ بِنِ الْبَدِيِّ؟! معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٦

قال: نعم. وكان أحد كنده.

فقال له يزيد بن زياد: ثكلتك أمك، ماذا جئت فيه؟! قال: وما جئت فيه؟! أظعت إمامي ووفيت ببيعتي!

فقال له أبوالشعثاء: عصيت ربك وأظعت إمامك في هلاكك نفسك! كسبت العار والنار! قال الله عز وجل «وجعلنا منهم أئمة يدعون

إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون» (١)

فهو إمامك!

قال وأخذ الحرُّ بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية! فقالوا: دعنا نزل في هذه القرية يعنون نينوى، أو هذه

القرية يعنون الغاضرية، (٢) أو هذه الأخرى يعنون الشفئية! (٣)

فقال: لا والله ما استطع ذلك! هذا رجلٌ قد بُعث إليَّ عيناً!

فقال له زهير بن القين: يا ابن رسول الله! إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعد من ترى مالا قيل لنا

به!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٧

فقال له الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال.

فقال له زهير بن القين: سرت بنا إلى هذه القرية حتى تنزلها فإنها حصينة، وهي على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم، فقتلهم أهون

علينا من قتال من يجيء من بعدهم!

فقال له الحسين: وأية قرية هي؟

قال: هي العقر! (١)

فقال الحسين: أَللَّهِمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَقْرِ!

ثُمَّ نَزَلَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّانِي مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ ٤١هـ. (٢)

وفي رواية الدينوري: .. فقال له زهير: فها هنا قرية بالقرب منّا على شطّ الفرات، وهي في عاقول (٣) حصينة، الفرات يحدق بها إلّا من

وجه واحد!

قال الحسين: وما اسم تلك القرية؟

قال: العقر

قال الحسين: نعوذ بالله من العقر!

فقال الحسين للحرّ: سرت بنا قليلاً، ثم نزل!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٨

فسار معه حتى أتوا كربلاء! فوقف الحرّ وأصحابه أمام الحسين ومنعوه من المسير، وقال: إنزل بهذا المكان، فالفرات منك قريب!

قال الحسين: وما اسم هذا المكان؟

قالوا له: كربلاء!

قال عليه السلام: ذات كرب وبلاء! ولقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفّين وأنا معه، فوقف فسأل عنه، فأخبر باسمه، فقال:

ها هنا محطّ ركابهم، وها هنا مهراق دمائهم! فسئل عن ذلك، فقال: ثقل لآل بيت محمد، ينزلون ها هنا!

ثم أمر الحسين بأثقاله، فحطّت بذلك المكان يوم الأربعاء، غزّة المحرّم من سنة إحدى وستين. (١)

وفي رواية السيّد ابن طاووس (ره): «ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ وَرَكِبَ وَسَارَ، وَكَلَّمَا أَرَادَ الْمَسِيرَ يَمْنَعُونَهُ تَارَةً وَيَسَايِرُونَهُ أُخْرَى،

حتى بلغ كربلاء، وكان ذلك في اليوم الثاني، من المحرّم، فلما وصلها قال: ما اسم هذه الأرض؟ فقيل: كربلاء.

فقال عليه السلام: أَللَّهِمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَرْبِ وَالْبَلَاءِ! ثم قال: هذا موضع كرب وبلاء! إنزلوا، ها هنا محطّ رحالنا، ومسفك دمائنا،

وهنا محلّ قبورنا! بهذا حدّثني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله! فنزلوا جميعاً. (٢)

وفي تذكرة الخواص: «فلما قيل للحسين: هذه أرض كربلاء. سمّها وقال: هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرائيل رسول الله وأننى

أَقْتُلْ فِيهَا!». «٣»

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٩

وفي المقتل المنسوب إلى أبي مخنف: «وساروا جميعاً إلى أن أتوا أرض كربلاء وذلك يوم الأربعاء، فوقف فرس الحسين عليه السلام، فنزل عنها وركب أخرى فلم تتبع خطوة واحدة! ولم يزل يركب فرساً بعد فرس حتى ركب سبعة أفراس وهن على هذه الحال! فلما رأى ذلك قال: يا قوم ما اسم هذه الأرض؟

قالوا: أرض الغاضرية.

قال: فهل لها إسم غير هذا؟

قالوا: تُسَمَّى نينوى.

قال: أهْلُ لها إسم غير هذا؟

قالوا: شاطيء الفرات.

قال: أهْلُ لها إسم غير هذا؟

قالوا: تُسَمَّى كربلاء.

فعند ذلك تنفّس الصعداء! وقال: أرض كرب وبلاء! ثم قال:

إنزلوا، هاهنا مناخ ركابنا، هاهنا تُسْفَك دماؤنا، هاهنا والله تُهْتَك حريمنا، هاهنا والله تُقْتَل رجالنا، هاهنا والله تذبح أطفالنا، هاهنا والله تُزار قبورنا، وبهذه التربة وعدني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ولاخلف لقوله. ثم نزل عن فرسه ...». «١»

أسماء بقيّة الأنصار الملتحقين بالإمام عليه السلام أثناء الطريق ص : ٢٨٩

إشارة

كُنّا قد تعرّضنا خلال البحث إلى ذكر مجموعة من أنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين مرّ لهم ذكر في بعض وقائع الطريق من مكة إلى كربلاء، وترجمنا لكلّ منهم في موقعه المناسب من سياق البحث، كزهير بن القين (رض)، وبرير بن معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٠

خضير (رض)، ونافع بن هلال الجملي (رض)، وعمرو بن خالد الصيدأوى (رض)، ومجمع بن عبد الله العائذي (رض) وآخرين غيرهم.

غير أن هناك عدداً آخر من أنصاره عليه السلام كانوا قد التحقوا به أيضاً أثناء الطريق، منهم من لم نأت على ذكره في موقع إلتحاقه لأنه لم يكن له شأن يُذكر في جريان سياق أحداث الطريق، ومنهم من لم تحدّد كتب التواريخ أو التراجم مكان إلتحاقه، وقد آثرنا أن نجتمع أسماء هؤلاء الأبرار رضوان الله تعالى عليهم في قائمة واحدة، نبدأها بالذين حدّدت مواقع إلتحاقهم، ثمّ نتبعهم الآخرين (رض):

سلمان بن مضارب البجلي (رض) ص : ٢٩٠

ذكره المحقّق السماوي (ره) قائلاً: «كان سلمان ابن عمّ زهير لحاً، فإن القين أخو مضارب، وأبوهما قيس، وكان سلمان حجّ مع ابن عمّه سنه ستين، ولما مال في الطريق مع الحسين عليه السلام وحمل ثقله إليه مال معه في مضربه.

قال صاحب الحدائق: إن سلمان قُتل فيمن قتل بعد صلاة الظهر، فكأنه قُتل قبل زهير...». «١»

وقال السيّد الخوئي (ره): «سلمان بن مضارب: ابن قيس، ابن عمّ زهير بن القين، عدّه بعضهم من المستشهدين مع زهير بن القين يوم

الطفّ..» (٢).

وقال النمازي (ره): «سلمان بن مضارب بن قيس، ابن عمّ زهير بن القين، من أصحاب مولانا الحسين صلوات الله عليه المستشهدين بالطفّ، كان مع زهير، فلما عدل زهير إلى الحسين عليه السلام عدل معه، وقُتل يوم عاشوراء رضوان الله تعالى مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩١

عليه، كما ذكره العلامة المامقاني في رجاله، وكذا ذكره في عطية الذرة..» (١)
وبهذا يتضح عدم صحة قول الدينوري (٢) أنه لم يعدل مع زهير أحد من أصحابه أو لم يُقم معه.

وهب بن وهب (ابن الحباب الكلبى) ص : ٢٩١

روى الشيخ الصدوق (ره) في أماليه يصف وقائع حرب يوم عاشوراء وتتابع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في الخروج إلى البراز قائلاً: «وبرز من بعده (٣) وهب بن وهب، وكان نصرانياً أسلم على يد الحسين عليه السلام هو وأمه، فاتبعوه إلى كربلاء، فركب فرساً وتناول بيده عود الفسطاط (عمود الفسطاط)، فقاتل وقتل من القوم سبعة أو ثمانية، ثم استوسر فأتى به عمر بن سعد لعنه الله، فأمر بضرب عنقه، ورمى به إلى عسكر الحسين عليه السلام، وأخذت أمه سيفه وبرزت! فقال لها الحسين عليه السلام: يا أمّ وهب، إجلسي فقد وضع الله الجهاد عن النساء، إنك وابنتك مع جدّي محمّد صلى الله عليه وآله في الجنة..» (٤)
ويبدو أنّ العلامة المجلسي (ره) يرى أنّ وهب هذا هو نفسه: وهب بن عبدالله بن حباب الكلبى، لنقرأ هذه الفقرة من مقتل البحار: «ثم برز من بعده (٥) وهب بن عبدالله بن حباب الكلبى، وقد كانت معه أمه يومئذ.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٢

فقلت: قم يا بُنّي فانصر ابن بنت رسول الله!

فقال: أفعل يا أمّاه ولا أقصر!

فبرز وهو يقول:

إنّ تنكروني فأنا ابن الكلب سوف تروني وترون ضربي

وحملتى وصولتى في الحرب أدرك تأرى بعد ثأر صحبى

وأدفع الكرب أمام الكرب ليس جهادى فى الوغى باللعب

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة، فرجع إلى أمه وأمراته، فوقف عليهما فقال: يا أمّاه أرضيتي؟

فقلت: ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين عليه السلام!

فقلت إمرأته: بالله لا تفجعنى فى نفسك!

فقلت أمه: يا بُنّي لا تقبل قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن رسول الله فيكون غداً فى القيامة شفيحاً لك بين يدي الله.

فرجع قائلاً:

إنّي زعيمٌ لك أمّ وهبٍ بالطعن فيهم تارة والضرب

ضرب غلام مؤمنٍ بالربّ حتى يُذيق القوم مرّ الحرب

إنّي امرؤ ذو مرّةٍ وعصبٍ ولست بالخوار عند النكب

حسبى إلهى من عليم حسبى

فلم يزل يقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً وإثنى عشر راجلاً! ثم قطعت يدها، فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبى

وأُمّى! قاتل دون الطيبين حرم رسول الله. فأقبل كى يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت:

لن أعود أو أموت معك! فقال الحسين عليه السلام: جزيتم من أهل بيت خيراً! إرجعي إلى النساء رحمك الله.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٣

فانصرفت، وجعل يُقاتل حتى قُتل رضوان الله عليه، قال فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه، فبصر بها شمر، فأمر غلاماً له فضربها بعمودٍ كان معه، فشدخها وقتلها، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين.

ورأيت حديثاً أنّ وهب هذا كان نصرانياً، فأسلم هو وأمّه على يد الحسين، فقتل في المبارزة أربعة وعشرين رجلاً وإثني عشر فارساً، ثم أخذ أسيراً، فأُتِيَ به عمر بن سعد فقال: ما أشدّ صولتك؟! ثم أمر فضربت عنقه، ورمى برأسه إلى عسكر الحسين عليه السلام، فأخذت أمّه الرأس فقبّلته، ثم رمت بالرأس إلى عسكر ابن سعد، فأصابت به رجلاً فقتلته! ثم شدت بعمود الفسطاط، فقتلت رجلين! فقال لها الحسين عليه السلام: إرجعي يا أمّ وهب، أنت وابنك مع رسول الله فإنّ الجهاد مرفوع عن النساء. فرجعت وهي تقول: إلهي لا تقطع رجائي! فقال لها الحسين عليه السلام: لا يقطع الله رجائك يا أمّ وهب..» (١)

ونقل السيد إبراهيم الزنجاني يقول: «وقيل إنّ وهب كان عمره خمساً وعشرين سنة، وإسم زوجته هانية، وكان لها سبعة عشر يوماً منذ عرسه، وله عشرة أيام منذ دخل في دين الإسلام على يد الحسين عليه السلام من المنزل الثامن: الثعلبية في طريق كربلاء..» (٢)

نعيم بن العجلان الأنصاري الخزرجي (رض) ص : ٢٩٣

قال المحقق السماوي (ره): «كان النضر والنعمان ونعيم إخوة، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ولهم في صفين»

مواقف فيها ذكر وسمعة، وكانوا شجعاء

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٤

شعراء، مات النضر والنعمان، وبقي نعيم في الكوفة، فلمّا ورد الحسين عليه السلام إلى العراق خرج إليه وصار معه، فلمّا كان اليوم العاشر تقدّم إلى القتال، فقتل في الحملة الأولى..» (١)

وقد ورد عليه السلام في زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على نعيم بن عجلان الأنصاري..» (٢)

زاهر بن عمر الأسلمي الكندي – صاحب عمرو بن الحمق (رض): ص : ٢٩٤

قال النمازي (ره): «قال العلامة المامقاني: هو زاهر بن عمر الأسلمي الكندي، من أصحاب الشجرة، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله، وشهد الحديبية وخيبر، وكان من أصحاب عمرو بن الحمق الخزاعي، كما نصّ على ذلك أهل السير، وقالوا: إنه كان بطلاً مجرّباً، شجاعاً، مشهوراً، محبباً لأهل البيت، معروفاً، وحجّ سنة ستين، فالتقى مع الحسين عليه السلام فصحبه، وكان ملازماً له حتى حضر معه كربلاء، واستشهد بين يديه..» (٣)

لكنّ المحقق السماوي (ره) لم يذكر أنّ له صحبة، بل قال: «زاهر بن عمرو الكندي: كان زاهر بطلاً مجرّباً وشجاعاً مشهوراً، ومحبباً لأهل البيت معروفاً، قال أهل السير: إنّ عمرو بن الحمق لمّا قام على زياد قام زاهر معه، وكان صاحبه في القول والفعل، ولمّا طلب معاوية عمرواً طلب معه زاهراً، فقتل عمرواً وأفلت زاهر، فحجّ سنة ستين، فالتقى مع الحسين عليه السلام فصحبه وحضر معه كربلاء.

وقال السروي: قُتل في الحملة الأولى..» (٤)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٥

وقد ورد عليه السلام في زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي..» (١)

نقول: إذا كان مفاد عبارة «وحجّ سنة ستين» أنّه أتمّ الحجّ فإنّ زاهراً يكون قد التحق بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكة في منزل

من منازل الطريق، وإذا كان مفادها أنه أتى إلى مكة قاصداً الحجَّ، فالتقى مع الإمام عليه السلام في مكة وصحبه ولازمه، فإنَّ زاهراً يكون- على هذا- ممَّن انضمَّ إلى الإمام عليه السلام في مكة، وخرج معه منها، ولم يتمَّ حجَّه.

أبو ثمامة عمرو بن عبدالله الهمداني الصائدي (رض) ص : ٢٩٥

قال المحقق السماوي (ره): «كان أبو ثمامة تابعياً، وكان من فرسان العرب ووجوه الشيعة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين شهدوا معه مشاهدته، ثم صحب الحسن عليه السلام بعده، وبقي في الكوفة، فلما توفي معاوية كاتب الحسين عليه السلام، ولما جاء مسلم بن عقيل إلى الكوفة قام معه، وصار يقبض الأموال من الشيعة بأمر مسلم فيشتري بها السلاح، وكان بصيراً بذلك، ولما دخل عبيد الله الكوفة وثار الشيعة بوجهه، وجهه مسلم فيمن وجهه، وعقد له على ربيع تميم وهمدان .. ولما تفرق عن مسلم الناس بالتخذييل اختفى أبو ثمامة، فاشتدَّ طلب ابن زياد له، فخرج إلى الحسين عليه السلام، ومعه نافع بن هلال الجملي، فلقياه في الطريق وأتيا معه. وروى أبو مخنف: أنَّ أبا ثمامة لما رأى الشمس يوم عاشوراء زالت، وأنَّ الحرب قائمة، قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبدالله، نفسي لنفسك الفداء! إنني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تُقتل حتى أُقتل دونك إن شاء الله، وأحبُّ أن مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٦

ألقى الله ربي وقد صلَّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها، فرجع الحسين رأسه ثم قال:

ذكرت الصلاة! جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها ..

قال: ثمَّ إنَّ أبا ثمامة قال للحسين وقد صلَّى: يا أبا عبدالله، إنني قد هممتُ أن ألحق بأصحابي، وكرهت أن أتخلف وأراك وحيداً من أهلِكَ قتيلاً. فقال له الحسين عليه السلام: تقدِّم، فإننا للاحقون بك عن ساعة! فتقدَّم فقاتل حتى أثخن بالجراحات، فقتله قيس بن عبدالله الصائدي ابن عمِّ له كان له عدوًّا، وكان ذلك بعد قتل الحرِّ. «١»
وقد ورد عليه السلام في زيارة الناحية المقدَّسة: «السلام على أبي ثمامة الصائدي عمر بن عبدالله الصائدي». «٢»

الحباب بن عامر بن كعب بن تميم اللأه بن نعلبة، التميمي (رض) ص : ٢٩٦

قال المحقق السماوي (ره): «كان الحباب في الكوفة من الشيعة، وممَّن بايع مسلماً، وخرج إلى الحسين عليه السلام بعد التخاذل عن مسلم فصادفه في الطريق، فلزمه حتى قُتل بين يديه. قال السروي: قتل في الحملة الأولى». «٣»

جندب بن حجير الكندي الخولاني (رض): ص : ٢٩٦

قال المحقق السماوي (رض): «كان جندب من وجوه الشيعة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، خرج إلى الحسين عليه السلام فوافقه في الطريق قبل اتصال الحرِّ به، فجاء معه إلى كربلاء.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٧

قال أهل السير: إنَّه قاتل فُقتل في أول القتال.

وقال صاحب الحداثق: إنَّه قُتل هو وولده حجير بن جندب في أول القتال. «١»

ولم يصحَّ لي أنَّ ولده قُتل معه، كما أنَّه ليس في القوائم ذكر لولده، فلهذا لم أترجمه معه. «٢»

وقد ورد عليه السلام في زيارة الناحية المقدَّسة: «السلام على جندب بن حجير الخولاني». «٣»

سويد بن عمرو بن أبي المطاع الأنماري الخنمي (رض) ص : ٢٩٧

لم نعثر في كتب التواريخ والتراجم - حسب متابعتنا - على مكان إلتحاق هذا الشهيد بركب الإمام الحسين عليه السلام، إذ لم يُذكر فيمن التحق بالإمام عليه السلام في مكّة، كما لم يُذكر فيمن التحق به عليه السلام في كربلاء، فالظنّ أنّه ممّن التحق بالإمام عليه السلام في الطريق بين مكّة وكربلاء، ولذا فقد أوردنا ذكره هنا احتياطاً.

قال المحقّق السماوي (ره): «كان سويد شيخاً شريفاً عابداً كثير الصلاة، كان شجاعاً مجزباً في الحروب، كما ذكره الطبري والداودي ...». (٤)

ولقد كان آخر من بقي من أنصار أبي عبد الله الحسين عليه السلام (من غير الهاشميين) بشر بن عمرو الحضرمي وسويد بن عمرو بن أبي المطاع «وقال أهل السير: إنّ بشراً الحضرمي قُتل، فتقدّم سويد، وقاتل حتّى أُتخن بالجراح وسقط على وجهه، فظنّ بأنه قُتل، فلمّا قُتل الحسين عليه السلام وسمعهم يقولون: قُتل الحسين،

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٨

وجد به إفاقته، وكان معه سكين خبأها، وكان قد أخذ سيفه منه، فقاتلهم بسكينه ساعة، ثمّ إنهم عطفوا عليه، فقتله عروة بن بكار التغلبي، وزيد بن ورقاء الجهني». (١)

سعيد بن عبد الله الحنفي (رض) ص : ٢٩٨

ولم نعثر في كتب التواريخ والتراجم - حسب متابعتنا أيضاً - على مكان إلتحاق هذا الشهيد بالإمام عليه السلام إلّا ما ذكره المحقّق السماوي (ره) بقوله: «ثمّ بعثه مسلم بكتاب إلى الحسين، فبقي مع الحسين حتّى قُتل معه»، «٢» ولا يعلم من هذه العبارة متى بعثه مسلم عليه السلام، أكان ذلك قبل بعثه عابس بن أبي شبيب الشاكري (رض) أم بعده بقليل أو كثير؟ ولذا فالأقوى أنّه التحق بالإمام عليه السلام في مكّة، لكنّ الإحتمال باقٍ في أنّ إلتحاقه بالإمام عليه السلام ربّما كان في الطريق بعد خروج الإمام عليه السلام من مكّة.

وهذا الشهيد (رض) من أفاضل شهداء الطفّ، وقد مرّت بنا ترجمته في الجزء الثاني من هذه الدراسة. «٣»

ويكفيه فضلاً وشرفاً - فضلاً عن شرف الشهادة - ما ورد في حقّه من سلام مفصل وثناء عاطر في زيارة الناحية المقدّسة:

«السلام على سعد بن عبد الله الحنفي القائل للحسين وقد أذن له في الإنصراف: لا والله، لا نخليك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبه رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو أعلم أنّي أقتل ثمّ أحيى ثمّ أحرق ثمّ أذرى، ويفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارتكتك حتّى ألقى حمامي

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٩

دونك! وكيف أفعل ذلك وإنّما هي موته أو هي قتله واحده؟! ثمّ بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً!

فقد لقيت حمامك وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكرامة في دار المقامة، حشرنا الله معكم في المستشهدين! ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين». (١)

الحمد لله

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

كَلَامِنَا لِاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فِي تَلْخِصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَامَةِ فَيْضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الْبَابُ ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللهُ" - كان أحدًا من جهايدة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العداله الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كمشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فائى / بنايه "القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنيه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفّي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمّى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

